كاشف الإلباس

عن فيضة الختم أبي العباس

لمؤلفه

فريد دهره في العلم والدين وشيخ أوانه في تربية المريدين

خاتمة المحققين وحجة العارفين ابن الشيخ الحاج عبد الله

إبراهيم لا يزال بفضل مولاه في جمال جلاله يهيم

سنة ١٣٢٠ هـ سنة ١٣٩٥ هـ

ملتزم الطبع والنشر

الإهداء

إلى كل الصوفية عامة والتجانية خاصة

نهدي إليهم كتاب "كاشف الالباس" الذي

يعتبر لب اللباب في علم التصوف .

يقول العلامة الصوفي أبو سليمان الداراني :

القلب الصوفي قد رأى الله عز وجل وكل شيء يرى

الله لا يموت وكل كلمة خطها الصوفية كانت خالدة

كالقلب الصوفي خالدة لا تموت لأنها ارتبطت بالله

واستهدفت رضاه واقتبست من هواه وأشرقت

بحبه وأضاءت بنوره .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول الآخر الظاهر الباطن القائل « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » والقائل « يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » وما يذكر إلا أولوا الألباب وفوق كل ذى علم عليم والصلاة والسلام على النور الساطع والبرق اللامع منبع الفيض الإلهى ومقتبس نوره البهى سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم القائل بلغوا عنى ولو آية والقائل فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع .

وبعد :

فإن التصوف مادة موصولة بالله قائمة به فانية فيه وراجعة إليه سبحانه وتعالى والمتصوفون خواص عباده وحراس دينه وملته وحملة كتابه وشريعته فى كل زمان ومكان وأقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم ومعارفهم وفيوضاتهم وأعمالهم ومقاماتهم كلها فى الله وإلى الله وهو سبحانه وتعالى مربيهم ومعلمهم وهاديهم ومرشدهم إلى الصراط السوى المستقيم وبهذا الارتباط الذى كله وجد وحب وأنس وقرب واستغراق فى ذات الله تبارك وتعالى أصبح الصوفى أينما تولى فثم وجه الله لا يرى سواه ويقول بعضهم : التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به .

وقد سئل سيدنا ومولانا وأستاذنا أبو العباس التجانى رضى الله عنه عن حقيقة التصوف فأجاب رضى الله عنه بقوله : اعلم أن التصوف هو

امتثال الأمر واجتناب النهى فى الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى .

ولسنا هنا اليوم بصدد الدفاع عن الصوفية لأن الله دافع عنهم إذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ودافعوا بالتالى عن أنفسهم لما تبرءوا من كل مايخالف الشريعة مما ينسب إليهم يقول مولانا أبو العباس التجانى إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه وماذا بعد الحق إلا الضلال وعلى هذا فإننا نزف إليكم معاشر أصحاب الشيخ وأحبابه عموما وخصوصا بشرى عظيمة وهى اعادة طبع كتاب كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبى العباس بعد التصحيح التام من نسخته الأصلية وهذا الكتاب فى الحقيقة يستحق أن يكتب بماء الذهب لما احتوى عليه من علوم وأسرار وفيوضات وأنوار رضى الله عن مؤلفه فقد أوجز وأفاد ونفع به البلاد والعباد فقد جمع فيه كل ما افترق فى كتب المتصوفين بل هو جامع لزبدة هذه الكتب المؤلفة فى هذا الفن . ويقول صاحبه إن من دقق النظر وأنصف يعلم يقينا أنه ألفه الشيخ التجانى بيده رضى الله عنه نفعنا الله به وبمؤلفه أمين .

وقبل الختام أشكر أخى العزيز السيد الشيخ التجانى على سيس الذى بذل جهده وسعى لانجاز هذا العمل المبرور والسعى المشكور وهو اعادة طبع هذا الكتاب بعد التصحيح وتخريج أحاديثه الواردة فيه من أمهات كتب الحديث مثل صحيح الإمام البخارى وكذا صحيح الإمام مسلم وكتب السنن الأربعة الترمذى وأبى داود وابن ماجه والنسائى وكتب السنة الأخرى التى تزيد عن ثلاثين كتابا وكذا من كتاب اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ليسهل للقارئ الوصول إلى

الحديث نفسه أو بلفظ آخر حسب الروايات والله ولى التوفيق وهو سبحانه وتعالى نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينظر إليه نظرة الرضى والقبول وأن يكون خدمة مقبولة لجناب مولانا وشيخنا ووسيلتنا إلى الله شيخ الإسلام ومرشد الأنام قطب الإرشاد وغوث العباد الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله التجانى رضى الله عنهما آمين إنه سميع قريب مجيب .

وكتب الحسن على سيس
بمدينة كولخ
لست خلون من ذى القعدة
الحرام سنة ١٤٢١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سر الذات وترجمان الأسماء والصفات سيدنا محمد خير البريات وعلى آله وأصحابه ينابيع الفضل والفيوضات ،

وبعد فهذه نبذة يسيرة من ترجمة المؤلف رضى الله عنه فهو الشيخ بجميع مراتبه ، ولسان وقته ونور زمانه ، ونسيج وحده محل نظر الله من خلقه والباب المفتوح لكل من يريد الولوج لحضرة قدسه فريد دهره فى العلم والدين ، وشيخ أوانه فى تربية المريدين ، علم المهتدين وخاتمة المحققين فى القرن الرابع بعد الألف بهجة الليالى والأيام وحجة العارفين الأعلام غرة الأمة المحمدية ، وناصر الطريقة الأحمدية ، الإبراهيمية الحنفية ، وزُبدة رجالها الأجلة ، مطلع شمس العلوم والمعارف ومجمع بحرى الحلوم والعوارف ، الحرز المنيع والكهف الرفيع درة تاج الصّدّيقين الكرام وواسطة العقد النفيس من الأقطاب الأعلام الرافع رايات المكارم بين الأنام الجامع لما افترق من علوم القوم بأسرها من أول هذه الأمة إلى آخرها أخى الأخلاق الحسنة المرضية ، والشمائل القدسية المحمدية ، المنتهى فى العلوم الحقانية الوهبية والمعارف الربانية الرحمانية إلى المرتبة التى يقصر عن وصفها الإطناب والإسهاب فضلاً وتفضيلاً من الكريم الوهّاب عديم النظير والمثال ، فى الحال والمئال ، مَن تسنم قنن المجد والصفاء والكمال ، بالوراثة المحمدية والتربية الأحمدية الختمية ، المتوج بتيجان الجواهر الحسنة الأنيقة ، صاحب

الإشارات الخفية ، والإفادات العظيمة ، والعبارات المفهمة (شيخنا) ووسيلتنا إلى الله القطب الفرد الربانى والعارف الكبير الصمدانى (الشيخ إبراهيم) بن الحاج عبد الله التجانى ابن السيد محمد بن مدمب بن بكر ابن محمد الأمين بن صنب بن الرضى رضوان الله عنهم أجمعين ونفعنا به وأحباءنا آمين . وهو رضى الله عنه ولد يوم الخميس بعد العصر عند انتصاف رجب الفرد سنة ١٣٢٠ وتاريخ ولادته (ولد صاحب الفيضة قطب أهل عصره) رئيسًا بإسقاط الألف الآخر بطيبة وهى قرية بناها والده رضى الله عنه ويكفيك فى فضلها والتحقق باسمها كونها مسقطاً لرأس هذا الإمام الخليل ذى الشأن العظيم الجليل ونشأ فى حجر والده رضى الله عنه ذا عفاف وديانة وتقى ومروءة وصيانة وأدب وورع وقرأ عليه القرآن حتى حفظه حفظًا جيدًا برواية ورش عن نافع يافعًا وقد ظهرت منه النَّجابة فى صغره ثم شمر عن ساعد الجد والاجتهاد فى تحصيل العلوم الرسمية المنطوق منها والمفهوم حتى استفاد وأفاد وبلغ فيها المُنى والمراد وتبحّر فيها وتفنن بجميع فنونها حائزًا قصب السبق فى أقرب مدة وأقامه الله رحمة للعباد ونفعًا لكل حاضر وباد وتولى تعليمه والده المذكور ذو القدم الراسخ والصيت المشهور حتى تلقى منه بحمد الله فرائد الفوائد وصلات الأسرار والأذكار والعوائد ثم فتح الله عليه فتحًا تامًا وأعطاه علومًا وهبية لَدنية حتى تضلع منها ولم يقرأها على أحد بل قد علّمه إياها الذى هو بكل شئ عليم بالهام ربانى ولم يزل مشتغلاً بالإفادة والاستفادة حتى كثر عنده الراغبون وانتفع بمدرسته المتعلمون وتخرج على يديه علماء فضلاء عاملون وقد شهد له بذلك أهل الدراية والعرفان فعادت بَركته على جميع الاخوان وعَلَتْ رُتبته على سائر الأقران وقد (تلقى الطريقة التجانية) عن فريد دهره وحُجة أهل

عصره وزمزم أوراده وأسراره ومجمع أنواره وأذكاره شيخه ووالده العالم العلاّمة والقدوة الدراكة الفهامة خليفة الشيخ التجانى بلاريب وحامل راية طريقته فى بلاد الغرب ألا وهو الشيخ الإمام وأحد الأولياء الأعلام الجامع بين الشريعة والحقيقة فصار بذا خريت الطريقة الحاج (عبد الله ابن السيد محمد) لا يزال ربه الكريم يرقيه إلى المقام الأحمد ثم بعد ذلك تاقت نفسه الكاملة الأبية المطمئنة المرضية ونهضت هِمّته العلية التى لو توجهت إلى الجبال الراسيات لَدكت فى الحين إلى اجتناء ثمار العلوم الحقانية والأذواق الملكوتية والأسرار الجبروتية حتى بلغ فيها مبلغًا لا مطمع لأحد فيه لبعده لا من قبله ولا من بعده ولله دَر القائل ذى الخطاب المستحسن اللذيذ والعلاّمة الشاعر الخنذيذ وهو موناك التندغى فى نونيته مادحًا بها هذا الشيخ رضى الله عنه :

قطب التجانية الشهير وتاجها وإمامها وجدوده تيجانها
ذو الرتبة العليا التى تنحط عنـ ـها العارفون ولو سَما عرفانها
وبه الشريعة قد تمكن صيتها وبه الحقيقة قد سَما بنيانها
كلتاهما لولاه أقفر رسمها بين الوَرَى وَتَدَكْدَكَت أركانها

ثم انتصب لإفادة الخَلْق بالعلوم اللدنية الوهبية والمعارف الربانية لياليه وأيامه صباحه ومساؤه . أما الكتاب والسنة والأدب والتعليم والإرشاد والفصاحة والبلاغة والبراعة فقد تَسمنها واستبد بها حتى إن غيره طفيلى مائدته فيها وشهد له بذلك أدباء هذا الزمان مابين القاصى منهم والدان وإذا تكلم جَثَت فصحاء العرب على الرُّكب بين يديه رافعى رؤوسهم ومصغى أسماعهم إليه ويصير قس بن ساعدة باقلا لديه وبيده زمام جميع العلوم النقلية والعقلية ويتصرف كيف شاء فى معانيها

ويستخرج دررها ارتجالاً من معادنها وأما الحقائق الربانية والمعارف القدسية والأحوال الذاتية فهو حامل رايتها ومفتاح أبوابها ومِشْكاتها ومِصْباحها وزجاجتها وله فضائل كثيرة ومزايا جمة وأما (مفاخره) وكثرة نفعه لخليقة ربه الناطق منها والجامد فلا يفى بها القلم واللسان وقد رضع ثدى الفضل والأدب والاجتهاد فى طلب رضى المولى الحَنان المَنان ومواساة المساكين والفقراء والزَّمنى فشبّ على حب ذلك الرضاع حتى طار صيته وشاع ذكره فى الآفاق وقد رست عنده رايات السبق فى ذلك كله بلا نزاع ولا شقاق ومازال مانح الفضائل ومعطى المنن والفواضل فى كل آنٍ وزمان وسواكب أفضاله وجوده وإحسانه غادية رائحة إلى كل مكان وبالجملة ففضائله لا تُحصى ولا يأتى بها الاستقصا وقد قصر عن استيفاء محاسنه الأرقام ولو تكسرت فى الكواغد جميع الأقلام وأما جَودة (نظمه) ونثره وماله من أجناس البديع والبيان وفصاحة القلم واللسان فقد قصر عنه سَحبان وحَسّان (وله تآليف عديدة) وتقارير كثيرة وأجوبة مفيدة وتقاييد مقنعة جامعة لما افترق من نصوص الأيمة الهداة السراة الثقاة فمن تآليفه :

(كاشف الإلباس ، عن فيضة الختم أبى العباس ، مع تذييله) ومنها (مسرة المجامع ، فى مسائل الجامع) ومنها (الخمر الحلال ، فى مدح سيد الرجال) . ومنها (تيسير الوصول ، إلى حضرة الرسول) ومنها (طيب الأنفاس ، فى مدائح الختم أبى العباس) ومنها (روض المحبين ، فى مدح سيد العارفين) ومنها (النور الربانى ، فى مدح السيد أحمد التجانى) ومنها (روح الأدب ، لما حوى من حكم وأدب) ومنها (نور البصر ، فى مدح سيد البشر) ومنها (السر الأكبر ، والكبريت الأحمر) ومنها (تحفة الأطفال ، فى حقائق الأفعال فى الصرف) ومنها (الفيض

الأحمدى ، فى المولد المحمدى) ومنها (تبصرة الأنام ، فى جواز رؤية البارى فى اليقظة والمنام) ومنها (روح الحب ، فى مدح القطب) . وناهيك منه شهادة بفضله وسمو مقداره ورفعة همته أن جعله الله منهلا للواردين ومؤملا للمريدين السالكين وغياثًا للمستغيثين وظفرًا للعافين وقوتًا للمرملين وماخصه الله به من وقوع الفيضة التى ذكرها القطب المكتوم والخاتم المحمدى المعلوم شيخنا وممدنا أبو الفيض مولانا أحمد بن محمد التجانى على يده وقد شاعت وتواترت بأنها تقع فى آخر الزمان وقد وصل على يديه إلى كمال المعرفة العيانية الشهودية ألوف بعد ألوف ويأتيه فى كل يوم خلق كثير وفودًا على وفود بيضانًا وسودانًا يدخلون فى طريقتنا التجانية ذات المنح الربانية والمواهب العرفانية أفواجًا أفواجًا من جميع أقطار الأرض ولا يأخذ عنه أحد هذا الورد الجسيم إلا وقد انتفع وفاز منه بالمَدَد الربانى وحلول مواطن العرفان ولله در صاحب النونية المتقدم ذكره حيث يقول :

ياخير من زجر العتاق لبابه   وتنافست فى زوره ركبانها
إن الخلائق فوزها فى زوركم   وبترك زورتها لكم حرمانها
فازت بنفحتك الخلائق واقتفى   سودانها فى زوركم بيضانها
حزن الطريق النتم لمريدكم   لا صخرها يخشى ولا صَفوانها
أنت الإمام إمامها وطبيبها   خريتها لقمانها سلطانها
ولأنت تبعها وقيصرها انو   شروانها ونجاشها خاقانها

وهو رضى الله عنه القائم بأعباءِ التربية النبوية المحمدية فى وقته وحامل لواء الترقية الأحمدية الإبراهيمية وهيكل الأسرار والأذواق والأنوار والأحوال والمقامات والتجليات الختمية وناهيك لهذا القول

شهادة أن قد أتاه بعض من رؤساء أبناء ساداتنا وأشياخنا العلويين الذين هم أساس الطريقة للانخراط فى سلكه والاهتداء بهَدْيه والتعلق بأذياله ولأخذ الورد التجانى كأبناء شيخنا ووسيلتنا إلى الله الشيخ محمد الحافظ الذى بيده انتشرت الطريقة فى المغرب الأقصى وأبناء خليفته وصهره السيد محمد بضم الميم الأولى وسكون الثانية وأبناء الشيخ مولود فال وأبناء الشيخ محمد عال وأبناء الشيخ محمد الحنف ورباهم أحسن تربية وأرشدهم إلى أقوم صراط وطريقة وألقاهم بين يدى مولاهم بأحسن حالة داخلين فى حِرز حظيرته سَكَارى بخمر حضرته فاتين عن وجودهم باقين به هنيئًا ثم هنيئًا لهؤلاءِ السادات الأعلام لما تعلقوا بأشياخ هذا الشيخ المرشد المربى المرقى الهمام ولم تحجبهم البنوة للمشائخ عن كامل العصر والوصول إليه لأن البنوة للمشائخ هى التى حجبت وعاقت كثيرًا من أهل العصر كغيرهم من أهل العصر القديم اللهم اكشف عنا الحجاب وأزل عنا العلائق والعوائق كما كشفته وأزلته عن ذوى الألباب أهل التصديق واليقين ورقنا إلى أرفع مقام فى المعرفة كل حين والفوز كل الفوز لمن أدرك هذا الشيخ وصاحبه وصدق به أو رآه وسلّم له ولم يعاده وتواتر وشاع فى جميع أقطار الأرض بأنه لا نظير له فى تربية الخلق وارشادهم إلى الحضرة القدسية العليا :

حلف الزمان ليأتين بمثله ... كذبت يَمينك يازمان فكفِّر

ولله دَر القائل فى الثناء عليه :

شيخ إذا ربى يكون كأحمد ... وإذا تكلّم كان مثل الأصمعى

وفى هذا المعنى يقول أخوه وصنوه العلاّمة الفهامة المدقق والشاعر

المفلق العارف بالله الحاج محمد « زينب » بن الشيخ الحاج عبد الله رضى الله عنه :

ولتعلموا أن الإمام قد نصب   ماينفع العباد فيضًا ينسكب
على يدى واسطة التجانى   برهام ذى الأنوار والعرفان
فكل من يحب منكم ربه   يرضاه شيخًا بتروى سيبه
شاهد حب ربه محبته   شاهد بغضه كذاك بغضته
وارث سر شيخنا التجانى   عن جده خير بنى عدنان
قد جدد الدين بعيدما اندثر   وسنة المختار من بنى مضر
الفى طريق شيخنا التجانى   بقطرنا ساقطة المبانى
الفى طريق شيخنا المكنون   قد بيع بالأموال والعيون
فرم من بنيانه ماقد هدم   وطال فى الجو بناء كالعلم
أقامه الله لنفع الخلق   ونفى كل مهلك بالحق

إلى أن قال :

تعلقن به إذا أردته   ولتتركن كل شغل رمته
وإنما سلاسل الشيوخ   قد نسخت به مع الفخوخ
ربى المريدين على نهج حسن   مثل التجانى شيخنا معطى المنن
قد نبهت به عيون النائمين   وأبصرت به قلوب الغافلين
بالذكر والسنة أسند الإمام   أفعاله فى كل مسلك يرام
فاستسلموا له شيوخ الوقت   إلا رجعتم لعظيم المقت
لأن فى أسرار ابراهيما   فى ذى الطريق موقعًا عظيما
فنحن نشهد له بالسبق   ونحن من أولاده فى الحق

إلى أن قال :

بين يديه أيها المريد   تأدبن يرفدك ما يفيد

وطالما ربى شيوخًا حادوا عن منهج الرشاد ثم انقادوا
قد جاءَ بالتربية الصحيحة من سنن محكمة صريحة
همته تنهض حال من أراد إلهه فاصحبه إن رمت المراد

إلى آخرها وهى طويلة ؛ وأما الحياء وحسن المعاشرة مع الخلق فى الصفح والعفو والسخاء والصبر والعدل والصمت والوقار والمحبة والأمانة والعبادة والوفاء والشفقة وحسن الخلق مع كل مخلوق لله تعالى والاستنان بسنة خير البرية وسر الحكمة فلا يجارى فيها ولا يضاهى بل هو قطب محرابها ومفتاح أبوابها وأما حسن منظره وصفاء ظاهره فيغنى عن مخبره فكما حاز ظاهره الجمال الالهى كذلك حاز باطنه الكمال الذاتى لا أحرمنا الله لذة مشاهدته ومجالسته فى الحس والمعنى ومن نوره وجماله وطلاقة وجهه يقتبس البدر المنير فى الليل الداج وله رضى الله عنه فى حسن المعاملة مع الخلق واعطاء كل ذى حق حقه وكل ذى حظ حظه والتخلّق بأخلاق ربه البارى الكريم المعطى الهادى الرءوف الرحيم ما يبهر عقول الحاذقين وهو رضى الله عنه حافظ لشروط الآخرة فى القرب والبعاد وراع لحقوق الوداد وقد بلغ الغاية فى التضرع والخضوع والزهد وتقوى الله فى السر والجهر وعدم معاملته لغير الله وحسن الظن بالله وتفويض الأمور إليه حتى شهد له بذلك الخاص والعام والقريب والبعيد وقد خصه الله تبارك وتعالى فى حب رسول الله ﷺ وأهل بيته بمقام لم يُدرك ولا يُرام وفى ذلك يقول أعجوبة الزمان المشار إليه بالبنان العلاّمة القاضى محمد عبد الله بن مصطفى العلوى .

جزى الله إبراهيم خيرًا عن الألى لهم من على نسبه الأصل والعلا
تراهم يقيمون الزمان بداره ويعلون فى تلك الإقامة منزلا
فلا ظمأ يخشون ثم ولا طوى ولا ضجر يخشون منه ولا قلا

ولا ذلة يخشون أيضًا ولا ازدرا ولا خيبة يخشون أيضا ولا ولا

إلى أن قال :

عليه من آيات الخلافة آية من الله لا تخفى على من تأملا
على وجهه نور من الله ساطع أبَى الله إلا أن يتم ويكملا
تضلع من عبدين الله دره ودرهما لله نهلا ومنهلا
ففى فيضة العرفان شابه آخرًا ونافع علم فيه شابه أولا

وأما (سخاؤه) رضى الله عنه وإحسانه وفيضان عطاياه الجمة ومواهبه الربانية وجوده وكرمه كالبحر والصيب الثجاج فيترك حاتمًا نسيًا منسيًا لازالت مطارف شكره تنشر ومآثره تُتلى وتُذكر وكان (سكناه) أول أمره فى دار والده بكولخ وحين أيده الله بنصر من عنده وجعل الناس يأتونه من بلاد شتى وأعطاه الله تعالى مالم يُعط من قبله من قومه وضاقت به البقعة لكثرة المتعلقين بأذياله بارك الله فيهم بنى قصرًا خارج كولخ يسمى بمدينة الجديد مسكن القطب الفريد وبنى فيها زاوية أسست يوم الاثنين المبارك لأربعة عشر بقيت من ذى القعدة الحرام فى سنة ١٣٤٩ وأتمها بمدة قليلة لم تجر العادة فى صنع مثلها على تلك المدة ولكن صاحبها كان لله وكان الله له وكفى وهى معمورة بالخمس وقراءة الوظيفة وذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وفى جميع الأوقات سرًّا وجهرًا ومشهورة عند الناس بزاوية أهل الذكر وفى الثناء على المدينة والزاوية يقول القاضى المذكور آنفًا :

أمسجد إبراهيم أسست بالتقوى وأرضك لا تأثيم فيها ولا لغوا
لصحب أبى العباس فيك تحلق تنال من العليا به الرتبة القصوى
وللدين نشر لا يزال بطيها وللشئ حظ فى الذى فى اسمه يطوى

ويوخذ منها فى البديهة إنها   لمنهايرى للدين فى الوسط المأوى

وقد صرفت العنان يائسًا عن درك عشير العشر من كمالاته ومناقبه ومآثره وكرم أخلاقه ولكنه من وقف على فرائده التى لمعت وغرائب فوائده التى فيه اجتمعت رأت عينه من آثاره ما يشعر بتقديمه وإيثاره وأنا على ذلك من الشاهدين :

يابن الكرام ألا تدنوا فتبصر ما   قد حدثوك فما راءٍ كمن سَمِعا

وأما أبوه رضى الله عنه فهو حجة الإسلام ومصباح الظلام حامى الشريعة ومحيى هذه الطريقة بعد خبو أنوارها ورافع بنيانها ومنارها بعد هدم أساسها القدوة الأورع الآخذ بالأحوط السميذع من جمع به ماتشتت وتفرق المولى فى أكابر رجال هذه الطريقة المثلى الشيخ الأكبر والولى الكبير الأشهر الصوفى السنى شيخنا ومولانا الحاج عبد الله بن السيد محمد وهذا الشيخ محرر جميع الفنون مابين الفروع والأصول لا سيما الكتاب والحديث وقد وقفت على كتاب لصاحب الترجمة رضى الله عنه يقول أن الوالد هذا قد فسر القرآن لرجال ماينيف على مائة مرة وقد حج وزار وجاهد فى الله أحسن مجاهدة ونبه عيون النائمين ومن بركة هذا السيد الجليل أتانا كل خير وفضل وسعادة فجزاه الله عنا خيرًا ومناقبه وقوته فى الدين وزهده وورعه أكثر من أن تُعد وتُحصى نفعنا الله به وجميع أودائنا النفع الحقيقى وأفاض علينا بركاته ونفحاته إلى يوم الدين آمين يارب العالمين .

وأما أمه رضى الله عنها فهى الدرة اليتيمة الثمينة والجوهرة النفيسة الصالحة الناسكة الصادقة الفاضلة النجيبة الواقفة بحقوق الربوبية فى الحال والمقال ذات السيرة السنية والمآثر السنية والأعمال الصالحة

والأفعال المرضية المشكورة ذات البركة الغزيرة والأنوار الساطعة الراسخة التمكين واليقين والآخذة بالحبل المتين مولاتنا عائشة بنت السيد إبراهيم وهى رضى الله عنها مذ جعلها الله تحت يد والد هذا الشيخ إلى هلم جرا ما زالت معنية برضاه مجتهده فى البرور له ولم تفعل قط ما يغضبه أو يسوءه أو ما يغير خاطره أو خواطر الاخوان والجيران وما رفعت صوتها فوق صوته وكانت تفعل معه كل الجميل وتسعى فى كل مايرضيه ولم تخالفه فى شئ ما أصلا ومتى أشار إليها امتثلت ولم تزل معاشرتها هكذا حتى انتقل هو من هذه الدار إلى المقر الأسنى راضيا عنها شاكرًا لسعيها وقد شهد لها بذلك الخاصة والعامة والأحباب والأعداء وهى الآن فى قيد الحياة متعنا الله ببقائها آمين وقد أخبرنى من أثق بكلامه وهو السيد الأغر والعلامة العارف بالله الأكبر سيدى وأنيسى ابن الشيخ الحاج عبد الله أبو بكر بأن الوالدة هذه أخبرته مشافهة بأنها فى أول شهر من حمل هذا الشيخ رأت فى منامها كأنها واقفة على شئ وتحتها جب فإذا القمر قد انشق من جهة المشرق وسقط عليها وخافت على نفسها وفزعت جدًا لأجل ذلك وفى صباح تلك الليلة أتت لوالد هذا الشيخ وقصت عليه الخبر فزجرها عنه فقال لها دعى ذلك فاسكتى عنه واكتميه ولا تخاطبى أحدًا فى ذلك بعد وقد أخبرته أيضًا بأنها لما ولدته ناداها الوالد فقال لها ألك رجاء فى ابنك هذا قالت فقلت نعم فقال لها ومارجوتِ فيه قالت أرجوا فيه الخير وأنه يكون نجيبًا وفاضلا وبارًا إن شاء الله وقال لها الوالد نعم وأنا عزمت على ذلك وعالم به إن طول الله عمره ومتعنا ببقائه وقد أخبرنى مَن أثق بكلامه بأنه سمع من فم والد هذا الشيخ مشافهة يقول فى هذه الوالدة بأنه لابد تلد من يرثه وراثة كاملة تامة قال وإلا فلا يمكن ذلك لأحد بعد لأن النساءَ التى سلفن ليس

فيهن من هى أفضل منها وأما مناقبها وفضائلها وبرورها واحسانها وحسن خلقها مع كل مخلوق لله تعالى فكلمات إلهية لا تنفد ولا تفى بها وجوه الأوراق طول الأبد وهذا الذى قررنا هو ماسمح به الوقت لعدم الفراغ وجاءت به القريحة خوفًا من التطويل واحترازًا مما تعيا به العقول مع أن ماكتمنا بالنسبة إلى ماقررنا كنسبة قطرة ماء إلى البحر صونا للأسرار ولئلا تطلع عليها الأجانب ونرجوا من الله تعالى أن يعيننا فى وقت آخر بتأليف مستقل فى مآثر هذا الشيخ وماخصه الله به بين أبناء جنسه وأهل عصره وما ذلك على الله بعزيز وأسأل الله تعالى متوسلا بحضرتى النبوة والولاية وبالحرف المنفصل والمتصل أن ينفعنا وجميع أحبائنا واخواننا بهذا الشيخ نفعًا خاصًا عامًا تالدًا أبد الآباد وعادت علينا نفحاته وبركاته وأفاض علينا بحور فيوضاته وامداداته آمين يارب العالمين .

ووافق الفراغ من هذه النبذة ضحى يوم الأربعاء لإحدى عشرة بقت من ذى الحجة الحرام عام ١٣٥٢ بمدينة كولخ عمرها الله وحرسها آمين .

وقيدها الفقير إلى الله تعالى الراجى من المولى كمال الصفاء والارتقاء إلى درجات النجباء على سيس بن السيد الحسن بن عندل بن السيد إبراهيم رضوان الله عنهم أجمعين .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين من أفاض على أوليائه بحور الأنوار ، واختصهم بصفاءِ الأحوال والأسرار ، وشغلهم بذكره بالعشى والإبكار ، وجمعهم فى شمل الحبيب المختار ، وتعرف لهم فعرفوه فخرجوا من دائرة الجهل والإنكار ، واختارهم لخدمته ومحبته وصحبة أصفيائه الأبرار ، وجذبهم إلى حضرة قدسه فهاموا فى مطالعة الجلال ، ومعاينة الجمال ، فغابوا عنها بشهود الكمال ، والصلاة والسلام على الوسيلة الأعظم ، وعين المعارف الأقوم ، المتجلى له بكمال الذات ، فصار مرتبة جامعة للأسماء والصفات ، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته الهادين المهتدين ، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، خصوصًا سبطه ووارث أسراره ممد الأقطاب والأولياءِ والعارفين ، ومستند الأكابر والصلحاءِ والشهداء والبدلاءِ والصديقين ؛ (أما بعد) فيقول العبد الفقير المضطر إلى رحمة مولاه الرحيم ، الجاهل المعترف بجهله وقصوره ابن (الشيخ الحاج عبد الله إبراهيم) لا يزال بفضل مولاه فى جمال جلاله يهيم ، قد كثر فى هذه البلاد لكثرة الجهل والبلادة والحسد والعناد ، الإنكار على أهل الفيضة التجانية المهديون إلى نهج الرشا ، وماهو إلا الإنكار على شيخهم الهادى الممد للعباد ، منذ ظهور هذه الفيضة التجانية ، الأحمدية المحمدية ، الإبراهيمية الحنيفية ، بمحض فضل الحضرة الرحمانية ، فتصاممت عنهم مليًا ، وإن كان ما يأتون به شيئًا فريًا ، لكونى من جملة حزب الفيضة ، جعلنا الله ممن لا يساوى الأقطار منهم البيضة ، مخافة الرد عنى والانتصار للنفس ، مكتفيًا بمدافعة حضرة القدس فهى تدافع عن نفسها وعن

المؤمنين بها ، جعلنا الله من عبيدها المستندين لها ، إلى أن مر برهة من الزمان ، وهم على ماهم عليه من الإنكار والزور والبهتان ، فسنح لى أن أجمع شيئًا من كلام الأيمة الأجلاء ، فى بيان مذاهب الأصفياء ، فاستعنت بالله تعالى وشرعت فى تأليف هذا الكتاب الميمون ، مستمدًا من فيض حضرة شمس الدين ، مولانا التجانى صاحب المقام المكين ، إذ الرد عليهم رد عن الشيخ الختم التجانى إذ هو صاحبها ومفيضها على الأصحاب ، بواسطة جده من حضرة رب الأرباب ، فصار فرضًا على واجبًا لكونى خديمًا لذلك الجناب ، ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب فى كل باب ثلاثة فصول وخاتمة (المقدمة) فى تحرير وجه الصواب ؛ فى قوله الشيخ زروق عن شيخه الحضرمى قد انقطعت التربية بالاصطلاح الخ « الباب الأول » وفيه ثلاثة فصول : (الفصل الأول) فى حقيقة التصوف وأصل تلقين الأذكار (الفصل الثانى) فى فضيلة الذكر وأنه أقرب الطرق إلى الوصول إلى الله (الفصل الثالث) فى الاجتماع للذكر وقراءَة القرآن « الباب الثانى » وفيه ثلاثة فصول : (الفصل الأول) فى ذكر الفيضة التجانية وما قال صاحبها رضى الله عنه وما قال رجال طريقته فيها بعده وما يؤيده من الكتاب والسنة (الفصل الثانى) فى أن علوم الأذواق المستند فيها على الكتاب والسنة (الفصل الثالث) فى مدار التربية فى الطريقة التجانية « الباب الثالث » وفيه ثلاثة فصول : (الفصل الأول) فى التحذير من الإنكار ومن يجوز له (الفصل الثانى) فى وجوب طلب الشيخ المربى وصفته وحال المريد معه (الفصل الثالث) فى تحقيق الرؤية التى تدعى الرجال وما قال العلماءُ فى رؤية ذات البارى جل وعلا « الخاتمة فى مستندنا فى طريق الختم التجانى » وفى علومها وأسرارها وأسأل الله بلسان التضرع وخطاب التذلل أن

يكون خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفعنى وينفع به إخوانى المؤمنين إلى يوم الدين وسميته (كاشف الإلباس ، عن فيضة الختم أبى العباس) وهذا أوان الشروع فى المقصود ، بعون الملك المعبود ، فأقول وبالله التوفيق ، وهو الهادى بمنه إلى سواءِ الطريق .

* * *

ATC for SHEIKH MAHY CISSE

ATC for SHEIKH MAHY CISSE

مقدّمة

قال سيدى زروق فى تأسيس القواعد مانصه : قال شيخنا أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه : ارتفعت التربية بالاصطلاح ، ولم يبق إلا الإفادة بالهمة والحال ، فعليكم باتباع الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان الخ ما سيأتى قريبا ، وهذا الكلام لا يفهمه من لاذوق له ولا علم ولا صدق بأن التربية انقطعت انقطاعا كليا ، وذلك فى المائة التاسعة ، ولم يرد ذلك زروق ولا شيخه ، وإنما مراده كما قال ابن عجيبة العلاّمة ، شارح الحكم فى إيقاظ الهمم ، ونصه : فإن قلت قد قال الحضرمى : قد انقطعت التربية بالإصطلاح ومابقى إلا الهمة والحال ، فعليكم بالكتاب والسنة . قلت : لم يقصد الحضرمى انقطاعها على الأبد . وحاشا الحضرمى من أن يتحكم على الله ويعجز قدرته ، ما أراد أن فى زمانه مدّعين كثيرين ، فحذّر أهل زمانه منهم ؛ ومعرفة الحضرمى وزروق رضى الله عنهما تنافى هذا القصد ، وعلى تقدير صدورها منهما فليسا بمعصومين ، فكل كلام يُردّ ويقبل إلا كلام صاحب الرسالة ﷺ ، وقد وجد بعد الحضرمى رجال كانوا من أهل التربية النبوية بالحال والمقال والهمة لا يمكن عددهم ، وهم موجودون فى زماننا هذا ، مشهورون كنارٍ على عَلَم ، قد هدى الله على أيديهم خلقا كثيرا ، وخرّج على أيديهم من الأولياء مالا يعلمهم إلا مَنْ مَنَّ الله عليه بمعرفتهم اهـ منه بلفظ مؤلفه .

ومما يؤيد صاحب الإيقاظ أن القولة صدرت منهما فى القرن التاسع وقبل بروز الختم التجانى حامل راية التربية ، ولا يشكّ فى كونه مربيا من له أدنى تصديق أو تسليم ، وكذلك الشيخ (السيد المختار الكنتى) ومن تخرّج على يديهما من الرجال الكمل الذين بلغوا مبلغ الشيوخ المربين المرقين .

وقد قال العلامة العارف بالله سيدى (عبيدة بن محمد الصغير مؤلف كتاب ميزان الرحمة) فى مدح الشيخ التجانى رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين :

بلا خلوة ربى وربوا بخلوة فشتان مابين اليزيدين منهلا

قال السيد العربى بن السائح رضى الله عنه : ومرادنا من كون التربية فى هذه الطريق خالية عن التزام الخلوة والاعتزال عن الناس ونحو ذلك مما فيه تشديد على النفس ، وتضييق التنبيه على أن التربية فيها جارية على طريقة السلف الصالح من الصدر الأوّل ، التى هى الطريقة الأصلية ، وهى طريقة الشكر والفرح بالمنعم سبحانه والرياضة القلبية لا على الطريقة الأخرى التى استنبطها واصطلح على التسليك بها من بعد القرون الثلاثة نظرًا لما اقتضته العوارض الوقتية ، وهى طريقة المجاهدة والمكابدة والرياضة البدنية ، وفرق بينهما ، فإن السير فى الأولى سير القلوب ، وفى الثانية سير الأبدان ، ومعلوم أن الأهمّ الذى عليه المدار فى طريق الوصول إلى حضرة الله تعالى هو سير القلوب بالنظر فى أحوال القلب وما يصلحه وما يفسده على سنن الاعتدال والتقييد بالشريعة المطهرة والسنة الشريفة المنوّرة ، لا على التضييق على النفس بالتقشف والاستخشان فى المأكل والملبس والكدّ والتعب من غير التفات إلى أحوال القلب على الحدّ الذى تقرّر ، وإنما آثر من بعد القرون الثلاثة

التسليك بالطريقة الثانية لما كثرت الأهواء وتشعبت الآراء ، فاستعانوا بذلك على تطهير النفس وتزكيتها ليستنير القلب ويتخلص من كدرات الهوى ، وقد حذروا مع ذلك من الغلوّ فيه بالخروج عن حدّ الإتباع إلى حدّ الابتداع .

قال الشيخ أبو عبد الله بن عباد : وليس طريق تزكية النفس بقطع جميع الأرفاق عنها وردّها إلى الاجتزار بأكل الحشيش والنخالة والمبالغة فى التقشف والتقلل مع قطع النظر عن أحوال القلب وهممه وقصوده وإرادته ، وترك الالتفات إلى ما يمدح منها وما يذمّ ، فذلك كله غلوّ وبدعة ، وقد غلط فى هذا طوائف من الناس عملوا عليه فى رياضتهم ومجاهدتهم ، ولم يقصدوا بذلك إخلاص العبودية لربهم ، فأدّاهم ذلك إلى اختلال عقولهم ، وانحلال قوى أبدانهم ، ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة ، وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف الأمة ا هـ .

وقال أيضا أبو المواهب السيد العربى بن السائح فى الجواب الشافى مانصه : والقائمون بأعباء التربية فى طريقتنا - والحمد لله - كثيرون ، لم يخلُ منهم منذ توفى سيدنا الشيخ رضى الله عنه قطر ولا زمان ، بل ظهر منهم عدد فى حياته رضى الله عنه ، إلا أنهم لا يتظاهرون بذلك لما لا يخفى من حكم الوقت فلا يعثر عليهم إلا من قيض الله تعالى له الانتفاع بهم ، وذلك لما خصوا به ببركة أستاذهم من حالة الكمال المسماة عند المحققين من أهل هذا الشأن بالغيرة على الحقّ ، وهى كتمان السرائر والأسرار ، وهى حالة الأخفياء الأبرياء من الملامتة المجهولة حقائقهم ، فلا يظهر منهم أمر يعرف به أن لله عناية بهم ، لأنهم جارون مع العامة على ماعليه العامة من ظواهر الطاعات التى لم تجر العادة أن يسموا بها من أهل الله تعالى ، وهذا أمر أقامهم الله تعالى فيه ، وفضيلة حلاهم بها شعروا أو لم يشعروا ا هـ .

وقال أيضا كما فى البغية بعد كلام : ومحصل هذه المسئلة أن أهل هذه الطريقة المحمدية يوجد فى أفرادها من يفتح له فى التربية بها : أى بتلقين وردها وجميع أذكارها بالشروط المشروطة والكيفيات المضبوطة ، بحيث لا يخرج عما حدّه الشيخ فى ذلك مما تلقاه عن النبى ﷺ لأنها طريق محمدية أعطاها النبىّ ﷺ للشيخ منه إليه ، وضمن لأهلها ما ضمنه من الأسرار والخيرات والبركات ، ولا سبيل إلى الخروج عما أعطاه النبىّ ﷺ وترتب ضمانه عليه ، فافهم ذلك ، وفى هذا القدر الذى نبهنا عليه من ذلك هنا كفاية والله ولىّ التوفيق والهداية .

وذكر شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا الختم التجانى رضى الله عنه مايدلّ على أن فى طريقته وتلامذته مشائخ التربية فى قوله الثابت عنه ، ونصه كما فى الجامع : إذا فتح الله على أصحابى فالذى يجلس منهم عندى فى البلد الذى أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك ، فقال له بعض أصحابه : منك أو من الله ؟ فأجابه : من الله من غير اختيار منى ، ذكر هذا فى يوم الأحد الثانى من شهر الله شعبان عام ١٢٢٤ ثم قال فى يوم الاثنين : الخوف المذكور هو على من أذن له من أصحابى فى التصرّف والتربية للخلق اهـ المراد بلفظه .

ونصّ كلام سيدى زروق كما فى تأسيس القواعد : خاتمة ؛ قال شيخنا أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه : ارتفعت التربية بالاصطلاح ولم يبقَ إلا الإفادة بالهمة والحال ، فعليكم باتباع الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان وذلك جار فى معاملة الحقّ والنفس والخلق ، فأما معاملة الحقّ فبثلاث : إقامة الفرائض ، واجتناب المحرّمات ، والاستسلام للحكم . وأما معاملة النفس فبثلاث : الإنصاف بالحقّ ،

وترك الانتصار لها ، والحذر من غوائلها فى الجلب والدفع والردّ والقبول والإقبال والإدبار . وأما معاملة الخلق فبثلاث : توصيل حقوقهم لهم ، والتعفف عما فى أيديهم ، والفرار مما يغير قلوبهم إلا فى حقّ واجب لا محيد عنه ، وكل مريد مال لركوب الخيل أو آثار المصالح العامة ، أو اشتغل بتغيير المنكر فى العموم أو التوجه للجهاد دون غيره من الفضائل أو معه حال كونه فى فسحة منه ، أو أراد استيفاء الفضائل أو تتبع عورات إخوانه وغيرهم أو متعللا بالتحذير أو عمل بالسماع على وجه الدوام أو أكثر الجمع والاجتماع لا لتعلم أو تعليم أو مال لأرباب الدنيا بعلة الديانة أو أخذ بالرقائق والدقائق دون المعاملة ، وما ينبه عن العيوب ، أو تصدّى للتربية من غير تقديم شيخ أو إمام أو عالم ، أو اتباع كل ناعق وقائل بحق أو باطل من غير تفصيل لأحواله ، أو إستهان منتسبا لله وإن ظنّ عدم صدقه بعلامة أو مال للرخص أو التأويلات ، أو قدّم الباطن على الظاهر ، أو اكتفى بالظاهر عن الباطن ، أو أتى من أحدهما بما لا يوافق عليه الآخر ، أو اكتفى بالعلم عن العمل ، أو بالعمل عن الحال والعلم ، أو بالحال عنهما ، ولم يكن له أصل يرجع إليه فى علمه وعمله وحاله وديانته من الأصول المسلمة فى كتب الأئمة ككتب ابن عطاء الله فى الباطن ، وخصوصا التنوير ، ومدخل ابن الحاج فى الظاهر ، وكتاب شيخه ابن أبى جمرة ومن تبعهما من المحققين ، فهو هالك لانجاة له ، ومن أخذهما فهو ناج مسلم إن شاء الله ، والعصمة منه والتوفيق .

« وقد سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ - الآية ، فقال : إذَا رأيْتَ شُحًا مُطاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وإعْجابَ كُلِّ ذِى

رَأيٍ بِرأيِهِ فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَّةِ نَفْسِكَ » (١) . وقال عليه الصلاة والسلام فى صحف إبراهيم « وَعَلَى العاقِلِ أنْ يَكُونَ عارِفًا بِزَمَنِهِ ، مُمْسِكًا لِلِسانه ، مُقْبِلاً على شأنِهِ ؛ وَعلى العاقِلِ أنْ يَكونَ لَهُ أرْبَعُ ساعات : ساعَةٌ يحاسِبُ فِيها نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٌ يُناجِى فيها رَبَّهُ ، وَساعَةٌ يُفْضِى فِيها إلى إخْوانِهِ الَّذينَ يُبَصِّرُونَهُ بِعُيُوبِهِ وَيَدُلّونَهُ على رَبِّهِ ، وَساعَةٌ يَخَلّى فيها بَيْنَ نَفْسِه وَبَيْنَ شَهَواتِها المُباحَةِ » أو كما قال : رزقنا الله ذلك وأعاننا عليه ، ووفقنا ، وصحبنا بالعافية فيه ، فإنه لا غنى لنا عن عاقبته ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الملاحم باب الأمر والنهى ١٢١/٤ ح رقم ٤٣٤١ حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود العتكى ثنا ابن المبارك عن عتبة بن أبى حكيم قال حدثنى عمرو بن جارية اللخمى حدثنى أبو أمية الشعبانى قال سألت أبا ثعلبة الخشنى فقلت : يا أبا ثعلبة كيف تقول فى هذه الآية « عليكم أنفسكم » قال أما والله لقد سألت عنها خبيرًا سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأية فعليك - يعنى بنفسك - ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام [الصبر] الصبر فيه مثل قبض على جمرة للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله » وزاد فى غيره قال : يارسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال أجر خمسين منكم » وسكت عنه أبو داود . طبعة دار الحديث القاهرة .

وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب التفسير فى سورة المائدة جـ ٥ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ رقم ٣٠٥٨ - حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا عتبة بن أبى حكيم إلى آخر سند أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ط / دار الحديث بالقاهرة تحقيق إبراهيم عطوة .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الفتن باب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ ١٣٣٠/٢ - ١٣٣١ ح رقم ٤٠١٤ حدثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد حدثنى عتبة بن أبى حكيم إلى آخر سند أبو داود ولفظه ط عيسى الحلبى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

وسلم تسليما . ومن تأمل كلامه بنفسه من أوّله إلى آخره عرف وجه المراد ، ولذا قال العارف بالله السيد العربى بن السائح : والمراد بالتربية فى هذا المحطّ هو التربية بالاصطلاح الذى أحدثه من بعد أهل القرون الثلاثة ، وهى التى ذكر الشيخ زروق عن بعض أشياخه أنها انقطعت ، وتابعه على ذلك المحقق اليوسى رحمه الله تعالى ، وليس المراد عندهم أن التربية بمعنى الإرشاد بالكتاب والسنة وتلقين الذكر ونحوه ، مما يزيح الباطل من النفس ، ويقطع العلائق والعوائق عنها بسبب استعانتها على ذلك بمدد الشيخ وهمته على حسب ما أذن له من حضرة الله فى سرّه ، أو حضرة رسوله ﷺ يقظة أو مناما قد انقطعت ، حاشا أهل الله من ذلك ، وانظر الذهب الإبريز ، انتهى كلامه بلفظه .

ونصّ كلام الشيخ عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه فى الذهب الإبريز فى الجواب عن المسئلة : إن المقصود من التربية هو تصفيه النفس وتطهيرها من رعوناتها حتى تطيق حمل السرّ ، وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها ، وقطع علائق الباطل عن وجهتها ، ثم قطع الباطل عنها تارة يكون بصفائها فى أصل خلقتها بأن يطهرها الله بلا واسطة ، وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون ، فقد كان الناس فى تلك القرون متعلقين بالحقّ باحثين عليه ، إذا ناموا ناموا عليه ، وإذا استيقظوا استيقظوا عليه ، وإذا تحركوا تحركوا فيه حتى إن من فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم إلا النادر متعلقة بالله ورسوله ، باحثة عن الوصول إلى مرضاته ، فلهذا كثر فيهم الخير ! وسطع فى ذواتهم نور الحقّ ، وظهر فيهم من العلم والبلوغ درجة الاجتهاد مالا يكيف ولا يطاق ، فكانت التربية فى هذه القرون غير محتاج إليها ، وإنما يلقى الشيخ مريده وصاحب سرّه ووارث نوره ، فيكلمه فى أذنه فيقع الفتح

للمريد بمجرّد ذلك لطهارة الذوات وصفاء العقول وتشوّقها إلى نهج الرشاد ، وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه : أعنى قطع الظلام من الذوات ، وذلك فيما بعد القرون الفاضلة ، حيث فسدت النيّات وكسدت الطويات وصارت العقول متعلقة بالدنيا ، باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات واستيفاء اللذّات ، فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقى مريده ووارثه فيعرفه ، وينظر إليه فيجد عقله متعلقا بالباطل ونيل الشهوات ، ويجد ذاته تتبع العقل فى ذلك ، فتلهو مع اللاهين وتسهو مع الساهين وتميل مع المبطلين ، وتتحرّك الجوارح فى ذلك حركة غير محمودة من حيث إن العقل الذى هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحقّ ، فإذا وجده على هذه الحالة أمره بالخلوة وبالذكر وبتقليل الأكل ، فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم فى عداد الموتى ، وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذى كان فى لسانه ، وبتقليل الأكل يقلّ البخار الذى فى الدم فتقلّ الشهوة ، فيرجع العقل إلى التعلق بالله وبرسوله ، فإذا بلغ إلى هذه الطهارة والصفاء ، أطاقت ذاته حمل السرّ ، فهذا هو غرض الشيوخ من التربية وإدخال الخلوة ، ثم بقى الأمر على هذا مدة إلى أن اختلط الحقّ بالباطل والنور بالظلام ، فصار أهل الباطل يربون من يأتيهم بإدخال الخلوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحقّ ، وقد يضيفون إلى ذلك عزائم واستخدامات ، تفضى بهذا إلى مكر من الله تعالى واستدراجات ، وكثر هذا الأمر فى الأعصار التى أدركها الشيخ زروق رضى الله عنه وأدركها شيوخه ، فظهر لهم من النصيحة لله ولرسوله أن يشيروا على الناس بالرجوع عن هذه التربية التى كثر فيها المبطلون ، وأن يقفوا بالناس فى ساحة الأمن التى لا خوف فيها ولا حزن ، وهى اتباع السنة والكتاب اللذين لا يضلّ من اهتدى بهما ،

فكلامهم رضى الله عنهم خرج مخرج النصيحة والاحتياط ، ولم يريدوا رضى الله عنهم الانقطاع رأسا للتربية الحقيقية ، وحاشاهم من ذلك ، فإن نور النبىّ ﷺ باق وخبره شامل وبركاته عامة إلى يوم القيامة اهـ .

قلت : والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيها إشارات وتصريحات فى التبشير بهذه الطائفة الظاهرين على الحقّ ولم تخصّ بزمان دون زمان ، ولا مكان دون مكان ، وقال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٨١] قال الشيخ العلاّمة العارف بالله سيدى الصاوى فى حاشيته على قول الجلال : وهم أمة محمد ﷺ كما فى الحديث : أى وهو قوله ﷺ « لا تَزالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتى ظاهِرِينَ على الحَقّ إلى أنْ يأتِىَ أمْرُ الله » [(١)] . وعن معاوية قال وهو يخطب :

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الإعتصام (١٠) باب قول النبى ﷺ لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل علم ح رقم ٧٣١١ حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتهم أمر الله وهم ظاهرون ط مكتبة الإيمان بالمنصورة أمام جامعة الأزهر سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة باب قوله ﷺ لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ١٥٢٣/١ ح رقم ١٩٢٠ - حدثنا سعيد بن منصور وأبو الربيع العتكى وقتيبة بن سعيد قالوا حدثنا حماد وهو ابن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا بضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك وليس فى حديث قتيبة وهم كذلك » .

وفى الباب عن معاوية بلفظ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول لاتزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس . ط / عيسى الحلبى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ٩٥/٤ ح رقم =

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِى أُمَّةٌ قائمَةٌ بأمْرِ الله لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حتَّى يأتِىَ أمْرُ الله وَهُمْ على ذلكَ » وهذه الطائفة لا تختصّ بزمان دون زمان ، ولا مكان دون مكان ، بل هم فى كل مكان وفى كل زمان ، فالإسلام دائما يَعلو ولا يُعلَى عليه ، وإن كثر الفُساق وأهل الشرّ فلا عبرة بهم ولا صَولة لهم ، وفى هذا بشارة لهذه الأمة المحمدية بأن الإسلام فى علوّ وشرف وأهله كذلك إلى قرب يوم القيامة حتى تموت حملة القرآن والعلماء ، وينزع القرآن من المصاحف وتأتى الريح اللينة فيموت كل من كان فيه مثقال ذرَّة من الإيمان ، ولا يكون هذا الأمر إلا بعد وفاة عيسى عليه الصلاة والسلام اهـ . قلت : وفاة عيسى لا تكون إلا بعد أن يقتل الدجال ويعيش أربعين عاما . كما تكرّرت فى ذلك الأحاديث ، ولا يأتى الدجال إلا بعد المهدى بسبع سنين على رأس مائة ، وفى رواية « لا تَزَالُ طائِفَةٌ بالمَغرِب الخ » . قال محيى الدين بن العربى الخاتمى : وإنما جعله الله بالمغرب ، يعنى مقام الختمية والكتمية لأنه محل الأسرار والكتم ، وانظر الفتوحات وانظر كتابه الذى سماه « عنقاء مغرب فى ختم الأولياء وشمس المغرب » انظر البغية ، وقال تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ

= ٤٢٥٢ - من طريق محمد بن عيسى وسلمان بن حرب قالا ثنا حماد بن زيد عن أيوب إلى آخر طريق مسلم ولفظه إلا أنه جزء من حديث طويل .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الفتن باب ما جاء فى الأئمة المضلين ح رقم ٢٢٢٩ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حماد بن زيد إلى آخر طريق مسلم ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٥/٢٧٩ مسند ثوبان رضى الله عنه من طريق يونس ثنا حماد يعنى ابن زيد عن أيوب إلى آخر سند مسلم ولفظه ط بيروت لبنان .

ﭐلْأَخِرِينَ ﴾ [سورة الواقعة : ٣٩ - ٤٠] . وروى ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الثُّلُثان من أُمَّتِى » (١) انظر الجواهر الحسان ، وفى نسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجى عند شرحه لحديث « خَيْرُكُمْ قَرْنِى ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » (٢) بعد كلام فلا ينافيه حديث « أُمَّتِى كالمَطَرِ

---

(١) أخرجه الإمام ابن جرير الطبرى فى تفسيره جامع البيان عن تأويل آى القرآن سورة الواقعة قوله تعالى ثلة من الأولين وثلة من الآخرين - حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن أبان بن أبى عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » قال قال النبى ﷺ : هما جميعًا من أمتى .

وفى تفسير الآية قال ابن جرير وقد صح عن النبى ﷺ ومن وجه صحيح قال قال النبى ﷺ الثلتان جميعًا من أمتى ، طبعة مصطفى الحلبى وأولاده بمصر الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨ هـ - سنة ١٩٦٨ م .

وأورده الإمام الهيثمى فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد كتاب التفسير باب سورة الواقعة ١١٨/٧ - ١١٩ عن أبى بكرة عن النبى ﷺ فى قوله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال جميعهما من هذه الأمة وعزاه الهيثمى إلى الطبرانى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير على بن زيد وهو ثقة سيئ الحفظ . ط القدسى .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ١٦١/٢ ح رقم ٢٦٥١ حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا أبو جمرة قال سمعت آدم زهدم بن مضرب قال سمعت عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : قال النبى ﷺ « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . قال عمران لا أدرى أذكر النبى ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة قال النبى ﷺ « إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن ، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ باب فضائل أصحاب النبى ﷺ ومن صحب النبى ﷺ أوراه من المسلمين فهو من أصحابه ص ٤٢٦ ح٣٦٥٠ - حدثنا - إسحاق حدثنا النضر أخبرنا شعبة إلى آخر الطريق السابق وبلفظ خير أمتى أمتى قرنى ..... الخ .

كتاب الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ١٨١/٤ ح رقم ٦٤٢٨ - حدثنى محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة قال سمعت أبا جمرة إلى آخر الطريق الأول ولفظه .

وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة =

لا يُدْرَى الخَيْرُ فى أَوَّلِهِ أَمْ فى آخِرِهِ »[١] فإن هذا من واد ؛ وذلك من واد آخر ، وهذا إشارة إلى أنه قد يجئ فى الأمة من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه ، وهذا بالنظر لأفراد مخصوصة ، وذلك بالنظر لمجموع العصر وشتان ما بينهما ، ولذا عبر بالقرن ، انظر نسيم الرياض .

وقال الشيخ زروق رضى الله عنه فى تأسيس القواعد : النظر للأزمنة والأشخاص لا من حيث أصل شرعى أمر جاهلى ، حيث قال الكفار

= ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ١٩٦٤/٤ ح رقم ٢٥٣٥ حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن المثنى وابن بشار جميعًا عن غندر قال ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا جمرة إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه النسائى فى سننه كتاب الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذر ١٧/٧ - ١٨ - أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا خالد قال حدثنا شعبة .... به

وأخرجه أحمد فى مسنده ٤٣٦/٤ من طريق يحيى بن سعد حدثنا شعبة حدثنى أبو جمرة ... به .

وأخرجه الطحاوى فى شرح معانى الآثار كتاب القضاء والشهادات باب الرجل يكون عنده الشهادة للرجل هل يجب عليه أن يخبره بها وهل يقبله الحاكم على ذلك أم لا ؟ ١٥١/٤ - حدثنا ابن مرزوق قال ثنا بشر بن ثابت البزار قال ثنا شعبة .... به

وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٣٣/١٨

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الأمثال باب رقم ٦ حـ ٥ ص ١٥٢ ح رقم ٢٨٦٩ - حدثنا قتيبة . حدثنا حماد بن يحيى الأبح عن ثابت البنانى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره ، وقال أبو عيسى وفى الباب عن عمار وعبد الله بن عمر وابن عمر وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وأخرجه أحمد فى مسنده ١٣٠/٣ مسند أنس بن مالك رضى الله عنه حدثنا الحسن الأشيب ثنا حماد بن يحيى حدثنا ثابت البنانى عن أنس ثم ذكره بمثل رواية الترمذى .

، ص ١٤٣ بنفس الطريق واللفظ .

﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ فرد الله تعالى عليهم بقوله : الآية ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [سورة الزخرف : ٣١] الآيـة : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٢٢] فرد الله عليهم بقوله : ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ﴾ [سورة الزخرف : ٢٤] الآية ، فلزم النظر لعموم فضل الله تعالى من غير مبالاة بوقت ولا شخص ، إلا من خصه قوله تعالى به ، والأولياء فى ذلك تبع للأنبياء ، لأن الكرامة شاهد المعجزة ، والعلماء ورثة الأنبياء فى الحرمة والرحمة وإن تباينا فى أصل الفضل فافهم اهـ منه .

وقد قال شيخنا ووسيلتنا وقوت أرواحنا وممدّنا ، القطب الغوث الخاتم المحمدى فى قوله تعالى ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ [سورة الواقعة : ٤٠] هم أصحابنا ، انظر بعين الإنصاف تجد له تمام الوراثة حتى صارت فى الأمة الثلتان ، ثلة لجدّه وهم أصحاب رسول الله ﷺ ، وثلة له وهم أصحابه رضى الله عنه ، وبقى من الإشارات ما أحجم قلمى عن كتبه .

وفى السرّ أسرار دقاق لطيفة ... تراق دمانا جهرة لو بها بُحنا

وبهذا تعلم أن انقطاع مدد النبىّ ﷺ أو انتقاص نور نبوّته لا يقوله من له أدنى مرتبة من مراتب الإيمان .

وقال شيخنا رضى الله عنه كما فى الجامع والجواهر : اعلم أنه كان ﷺ يلقى الأحكام العامة للعامة فى حياته : يعنى إذا حرّم شيئا حرّمه على الجميع ، وإذا افترض شيئا افترضه على الجميع ، وكذلك سائر الأحكام الشرعية الظاهرة ، ومع ذلك كله كان ﷺ يلقى الخاصة للخاصة ، وكان يخصّ ببعض الأمور بعض الصحابة دون بعض وهو

شائع ذائع فى أخباره ﷺ ؛ فلما انتقل إلى الدار الآخرة وهو كحياته فى الدنيا سواء ، صار يلقى إلى أمته الأمر الخاصّ للخاصّ ولا مدخل للأمر العام للعامّ ، فإنه انقطع بموته ﷺ وبقى فيضه للأمر الخاصّ للخاصّ ، ومن توهم أنه ﷺ انقطع جميع مدده على أمته كسائر الأموات فقد جهل رتبة النبىّ ﷺ ، وأساء الأدب معه ، ويخشى عليه أن يموت كافرًا إن لم يَتُب من هذا الاعتقاد ، اهـ منه بلفظه .

وهذا آخر المقدّمة ، والحمد لله ربّ العالمين ، وسيأتى مزيد بيان فى المسئلة عند الكلام على شيخ التربية وصفته إن شاء الله تعالى ، والله الموفق للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

البَابُ الأول

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

وهو الأول من فصول الكتاب
فى حقيقة التصوّف وأصل تلقين الأذكار

فأقول وبالله التوفيق ، وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :

التصوّف : له حدّ وموضوع وواضع واسم واستمداد وحكم ومسائل وفضيلة ونسبة وثمرة . وقال الصاوى : ينبغى لكل شارع فى فن أن يعرف مباديه العشرة الخ ، وقد نظمها بعضهم فقال :

الحدّ والموضوع ثم الواضع   والاسم الاستمداد حكم الشارع
تصوّر المسائل الفضيله   ونسبة فائدة جليله
حقّ على طالب علم أن يحيط   بفهم ذى العشرة ميزها ينيط
يعلمها قبل الشروع فى الطلب   لكى يكون مبصرا بما طلب

وأما حدّه : فكما قال زروق رضى الله عنه : قد حدّ التصوّف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين ترجع كلها إلى صدق التوجه إلى الله تعالى ، وإنما هى وجوه فيه ، والله أعلم . وفى (إيقاظ الهمم) قال الجنيد : هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به . وقال أيضا : أن تكون من الله بلا علاقة . وقيل الدخول فى كل خلق سنىّ والخروج من كل خلق دنىّ . وقيل أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم مع قوم كرام .

وقيل أن لا تملك شيئا ولا يملكك شئ . وقيل استرسال النفس مع الله على ما يريد . قال بعضهم .

ليس التصوّف لبس الصوف والخلق
بل التصوّف حسن السمت والخُلق

وقال غيره :

ليس التصوّف لبس الثوب ترقعه
ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب
ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا
بل التصوّف أن تصفوا بلا كدر
وتتبع الحقّ والقرآن والدّينا

وغير ذلك مما يرجع كله إلى قول سيدى زروق .

وقال فى (إيقاظ الهمم) بعد كلام تقدّم ذكر طرف منه ناقلا لكلام سيدى زروق فى قول إمامنا مالك رحمه الله : من تصوّف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقّه ولم يتصوّف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق ، ونصه : قلت (تزندق الأوّل) لأنه قائل الجبر الموجب لنفى الحكمة والأحكام (وتفسق الثانى) لخلوّ عمله من صدق التوجه الحاجز عن معصية الله وعن الإخلاص المشترط فى الأعمال . (وتحقق الثالث) لقيامة بالحقيقة فى عين تمسكه بالحق ، فاعرف ذلك إذ لا وجود لها إلا فيها ، كما لا كمال له إلا به فافهم اهـ .

ثم قال : وأما موضوعه فهو الذات العلية لأنه يبحث عنها باعتبار معرفتها إما بالبرهان أو بالشهود والعيان ، فالأوّل للطالبين ، والثانى

للواصلين . وقيل : موضوعه النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الأوّل ، ولأن من عرف نفسه عرف ربه .

وأما واضعه : فهو النبىّ ﷺ علمه الله له بالوحى والإلهام ، فنزل جبريل عليه السلام أوّلا بالشريعة ، فلما تقرّرت نزل ثانيا بالحقيقة ، فخصّ بها بعضا دون بعض ؛ وأوّل مَن تكلم فيه وأظهره سيدنا علىّ كرّم الله وجهه ، وأخذ عنه جميع الصوفية وسلسلتهم مشهورة فى كتبهم ، إلا أن سيدنا ومولانا وشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أبا العباس أحمد بن محمد التجانى الحسنى منّ الله عليه بالأخذ عن النبىّ مشافهة من غير وساطة أحد من المشائخ ، وسندنا منه كما ستقف عليه بإذن الله فى هذا الكتاب .

وأما اسمه فعلم التصوّف ، واختلفوا فى اشتقاقه : قال فى (إيقاظ الهمم) ومرجعها إلى خمس : أوّلها أنه من الصوفة لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له . الثانى من صوفه القفا للينها ، فالصوفى هين لين كهى . الثالث أنه من الصفة ، إذ جملتها اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة . الرابع أنه من الصفاء ، وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستى رحمه الله فى الصوفى :

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا
جهلا وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

قلت : وهذا الوجه هو أوجه الأوجه عندى ، والله أعلم . الخامس

أنه منقول من صفة المسجد النبوى الذى كان منزلا لأهل الصفة ، لأن الصوفى تبع لهم فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [سورة الكهف] وهو الأصل الذى يرجع إليه كل قول فيه ، قاله الشيخ زروق رحمه الله .

وأما استمداده : فهو مستمدّ من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين ، وقد أدخلوا فيه أشياء من علم الفقه لمسّ الحاجة إليه فى علم التصوّف ، حرّرها الغزالى فى الإحياء الخ فى أربعة كتب : كتاب العبادات ، وكتاب العادات ، وكتاب المهلكات ، وكتاب المنجيات ، وهو فيه كمال لا شرط إلا مالابد منه فى باب العبادات ، والله تعالى أعلم .

وأما حكم الشارع فيه : فقال الغزالى : إنه فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام . وقال الشاذلى : من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات مصرًا على الكبائر وهو لا يشعر .

وأما تصوّر مسائله : فهى معرفة اصطلاحاته والكلمات التى تداولت بين القوم كالإخلاص والصدق والتوكل والزهد والورع والرضى والتسليم والمحبة والفناء والبقاء ، وكالذات والصفات والقدرة والحكمة والروحانية والبشرية ، وكمعرفة حقيقة الحال والوارد والمقام وغير ذلك .

وأما فضيلته : فقد تقدم أن موضعه الذات العلية وهى أفضل على الإطلاق ، فالعلم الذى يتعلق بها أفضل على الإطلاق ، إذ هو دالّ بأوّله على خشية الله تعالى وبوسطه على معاملته ، وبآخره على معرفته والانقطاع إليه ، ولذلك قال الجنيد : لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه . وقال

الشيخ المقلى رضى الله عنه فى كتابه المسمى « بأنوار القلوب فى العلم الموهوب » قال : وكل من صدّق بهذا العلم فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذى لا يُدرك ، والبحر الذى لا يُنزف . وقال آخر : إذا رأيت من فتح له فى التصديق بهذا الطريق فبشره ، وإذا رأيت من فتح له فى الفهم فاغتبطه ، وإذا رأيت من فتح له فى النطق فيه فعظمه ، وإذا رأيت منتقدا عليه ففرّ منه فرارك من الأسد واهجره ، وما من علم إلا وقد يقع الاستغناء عنه فى وقت ما إلا علم التصوّف فلا يستغنى عنه أحد فى وقت من الأوقات .

وأما نسبته من العلوم : فهو كلى لها وشرط فيها ، إذ لا علم ولا عمل إلا بصدق التوجه إلى الله تعالى ، فالإخلاص شرط فى الجميع ، هذا باعتبار الصحة الشرعية والجزاء والثواب ، وأما باعتبار الوجود الخارجى فالعلوم توجد فى الخارج بدون التصوّف لكنها ناقصة أو ساقطة ، ولذلك قال السيوطى : نسبة التصوّف من العلوم كعلم البيان مع النحو - يعنى هو كمال فيها ومحسن لها . وقال الشيخ زروق رضى الله عنه : نسبة التصوّف من الدين نسبة الروح من الجسد ، لأنه مقام الإحسان الذى فسره رسول الله ﷺ لجبريل « أَنْ تَعْبُدَ الله كأَنَّك تَرَاهُ » الحديث [١] ، إذا لا معنى له سوى ذلك . إذ مداره على مراقبة بعد

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان والإحسان وعلم الساعة وبيان النبى ﷺ له ٥٤/١ - ٥٥ ح رقم ٥٠ حدثنا مسدد قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا أبو حيان التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال كان النبى ﷺ بارزًا للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته . وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد =

مشاهدة ، وإما مشاهدة بعد مراقبة ، وإلا لم يقم له وجود ولم يظهر له

= الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال : ما الإحسان ٤ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولد الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان فى خمس لايعلمهن إلا الله ثم تلا النبى ﷺ « إن الله عنده علم الساعة » الآية ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئًا فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم قال أبو عبد الله : جعل ذلك كله من الإيمان .

كتاب التفسير سورة لقمان باب قوله : « إن الله عنده علم الساعة ٢٤٨/٣ ح رقم ٤٧٧٧ حدثنا إسحاق عن جرير عن أبى حيان إلى آخر طريق البخارى السابق ولفظه .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبرى ممن لا يؤمن بالقدر وأغلظ القول فى حقه ٣٩/١ ح رقم ٩ حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب جميعًا عن ابن علية قال زهير حدثنا اسماعيل بن إبراهيم عن أبى حيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه وفى الباب بسنده عن عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الإسلام . ثم ذكره بنحو حديث البخارى وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٢٢٢/٤ - ٢٢٣ ح رقم ٤٦٩٥ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمثل رواية مسلم التى عن عمر .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الإيمان باب ماجاء فى وصف جبريل للنبى ﷺ الإيمان والإسلام ٦/٥ - ٧ ح رقم ٢٦١٠ عن عمر رضى الله تعالى عنه بمثل رواية مسلم وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب المقدمة باب فى الإيمان ٢٥/١ ح رقم ٦٤ حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا إسماعيل بن عليه عن أبى حيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه وفى الباب رواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وأخرجه أحمد عن المسند ٢٦/٢ من طريق إسماعيل ثنا أبو حيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

موجود فافهم ا هـ . ولعله أراد بالمراقبة بعد المشاهدة الرجوع للبقاء بشهود الأثر بالله .

وأما فائدته : فتهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب ، أو نقول : ثمرته سخاوة النفوس وسلامة الصدور وحسن الخلق مع كل مخلوق .

واعلم أن هذا العلم الذى ذكرنا ليس هو القلقلة باللسان ، وإنما هو أذواق ووجدان ، ولا يؤخذ من الأوراق ، وإنما يؤخذ من أهل الأذواق ، وليس ينال بالقيل والقال ، وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال ، والله ما أفلح من أفلح إلاّ بصحبة من أفلح وبالله التوفيق اهـ منه بحذف وزيادة فى بعض المواضع .

وقد سئل سيدنا ومولانا وأستاذنا السيد أبو العباس التجانى رضى الله عنه عن حقيقة التصوّف ، فأجاب رضى الله عنه بقوله : اعلم أن التصوف هو امتثال الأمر واجتناب النهى فى الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى اهـ . قلت : ولا سبيل إلى هذا بدون مصاحبة شيخ مرشد كامل ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [سورة المائدة : ٣٥] والوسائل إلى الله كثيرة ، منها متابعة النبىّ فى أقواله وأفعاله كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [سورة لقمان : ٥] وفى الحديث [١] « فإذا أحبَبْتُهُ كُنْتُهُ » وذلك باب المعرفة . ومنها مصاحبة العارف الواصل كما

---

(١) حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثنى شريك عن عبد الله بن أبى نمير عن عطاء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ من عادى لى وليا فقد أذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصره ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته . =

قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [سورة لقمان : ١٥] ومنها ملازمة الأذكار ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] ومعلوم عند أهل الطريقة أن الذكر الذى ينفع صاحبه هو المأخوذ من المشائخ الكاملين .

وأما أصل تلقين الأذكار والأوراد ، فقد روى الإمام أحمد فى مسنده بإسناد حسن والطبرانى وغيرهما عن يَعْلَى بن شدّاد قال : حدثنى أبى شداد بن أوس وعُبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال : « كنا عند النبىّ ﷺ فقال : هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ ؟ : يعنى من أهل الكتاب ، فقلنا : لا يارسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال : ارْفَعُوا أيدِيَكُمْ وَقُولُوا : لا إلَهَ إلاَّ الله ، فرفعنا أيدينا ساعة ، ثم قال : الحَمْدُ لله اللَّهمَّ إنَّكَ بَعَثْتَنى بِهَذِهِ الكَلِمَةِ وأمَرْتَنى بِها وَوَعَدْتَنى الجَنَّةَ عَلَيْهَا وَإنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعادَ ، ثم قال : أبْشِرُوا فإنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكُمْ » (١) قال ابن حجر العسقلانى : رواه أحمد بإسناد حسن والطبرانى ، وزاد فيه « فرفع رسول الله ﷺ ورفعنا ،

= أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق باب التواضع ١٩٧/٤ ح رقم ٦٥٠٢ .

وأخرجه أحمد فى مسنده مسند أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بلفظ من أذل لى وليا فقد استحل محارمى وماتقرب إلى عبدى بمثل أداء الفرائض ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه إن سألنى أعطيته وإن دعانى أجبته ما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن وفاته لأنه يكره الموت وأكره مساءته .

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٢٤/٤ مسند شداد بن أوس رضى الله عنه حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا الحكم بن نافع وأبو اليمان قال ثنا إسماعيل بن عياش عن راشد بن داود عن يعلى بن شداد قال حدثنى أبى ثم ذكره .

أخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٨٩/٧ - ٢٩٠ ح رقم ٧١٦٣ باب يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه - حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقى والحسين بن =

وقال فيه : ثم قال : ضَعُوا أيْدِيَكُمْ وأبْشِرُوا فَقَدْ غُفِرَ لَكُمْ » . وروى الشيخ يوسف الكوزانى الشهير بالعجمى فى رسالته « أن عليّ بن أبى طالب سأل النبيّ ﷺ فقال يارسول الله دلنى على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى ؟ فقال ﷺ : ياعلى عَلَيْكَ بِمُدَاوَمة ذِكْرِ الله تعالى فى الخلَوَات ، فقال عليّ : هٰكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون ، فقال النبى ﷺ : (١) يا عليُّ لا تَقُومُ الساعَةُ وَعلى وَجْهِ الأرْضِ مَنْ يَقُولُ : لا إِلَهَ إلاَّ الله ، فقال على : فكيف أذكر يارسول ؟ فقال ﷺ : غَمِّضْ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّى ثَلاثَ مَرَّاتٍ . ثُمَّ قُلْ أنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وأنا أسْمَعُ ، فقال النبى ﷺ : لا إِلَهَ إلاَّ الله ثلاث مرات مغمضًا عينيه رافعا صوته وعليّ يسمع ، ثم قال عليّ رضى الله عنه : لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضًا عينيه رافعا صوته والنبى ﷺ يسمع » اهـ . والحديثان أوردهما صاحب الرماح ، ثم لقنهما عليّ للحسن البصرى ، ثم الحسن لحبيب العجمى . ثم حبيب لداود الطائى ، ثم داود لمعروف الكرخى ، ثم معروف للسريّ ثم السريّ

= إسحاق التسترى قال ثنا هشام بن عمار ثنا عبد الملك بن محمد الصغانى ثنا راشد ابن داود الصغانى إلى آخر سند الإمام أحمد وبنحو حديثه وعزاه الهيثمى فى المجمع ٨١/١٠ بعد أن نسبه إلى أحمد فقط وفيه راشد بن داود وثقه غير واحد وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات وقال أيضًا فى ج ١ ص ١٩ رواه أحمد والطبرانى والبزار ورجاله موثقون .

(١) لم أقف عليه عن على رضى الله عنه والذى وقفت عليه ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان فى آخر الزمان ١٣١/١ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الفتن باب رقم ٣٥ ج ٤ ص ٤٩٢ عن أنس بنفس رواية مسلم وقال أبو عيسى هذا حديث جسن .

وأخرجه أحمد فى مسنده ١٠٧/٣ ، ٢٠١ عن أنس رضى الله عنه .

للجنيد ، ثم انتقلت إلى أرباب التربية إلى ماشاء الله ، وهما أصل تلقين الأوراد والأذكار إلى هلم جرا .

وأما وجوب طلب الشيخ المرشد كما سيأتى فقد أكثروا فيه . قال :

يصحب شيخا عارف المسالك

يقيه فى طريقه المهالك

لأنك إن أردتَ العلم والعمل فلابد لك منه ، وأما الإفادة بالهمة والحال فقد قال فى الشمائل : قال أنس : لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شئ ؛ فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شئ ، وما نفضنا أيدينا من التراب وإنا لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا . يشير إلى أن حضور شخصه ﷺ كان نافعا لهم فى قلوبهم ، وذلك هو المعبر عنه بالإفادة بالهمة والحال ، ومن المعلوم أن العلماء ورثة الأنبياء ، فلابد من طلب القرب منهم إذ قالوا : من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها . وقال فى الرسالة القشيرية : ثم يجب على المريد أن يتأدّب بشيخ ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا ، هذا أبو يزيد يقول : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان وقد سئل سيدنا وأستاذنا أبو العباس أحمد بن محمد التجانى الشريف رضى الله عنه ونفعنا به دنيا وأخرى ، هل طلب الشيخ فرض على كل فرد فرد ؛ أو على البعض دون البعض ، وما السبب فى الكل ؟ فأجاب رضى الله عنه بما يأتى فى بابه مستوفى .

قال شيخ المشائخ العلاّمة العارف الرّبانى سيدى المختار الكنتى . وأما حقيقة الأوراد فإنها عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشائخ ، فمن بجّل المشائخ وحافظ على العقود ووفى بالعهود كان له خير الدارين ، ومن تهاون بالمشائخ وفرّط فى العقود والعهود كان ذلك سببا لزيغه وخرق سفينة دينه ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [سورة المائدة : ١] وقال : ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ الله أَنْ تَقُولُوا مالا تَفعَلُونَ ﴾ [سورة الصف : ٣] وقال سبحانه ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٣] الآية ، ولهذا المعنى كان النبىّ ﷺ لا يفعل فعلا من أفعال الخير إلا أثبته ودام عليه ، وذلك من علامات الجزم وتمام العزم ، وهذه الآيات هى أصول الأوراد من لدن النبى ﷺ إلى يومنا هذا قال النبىّ ﷺ « مَنْ كانَ على وِرْدٍ مِنْ صَلاةٍ أوْ صِيام أوْ غيْرِهما فَمنَعَهُ مَرَضٌ أوْ سَفَرٌ أوْ هَرَمٌ كانَ لَهُ الأجْرُ تامًّا » وقال عليه الصلاة والسلام « بَجِّلُو المَشائِخَ فإنَّ تَبْجيلَهُمْ مِنْ تَعْظِيم جلالِ الله » (١) . وهذا آخر الفصل الأوّل والله تعالى الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

---

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال ٩٣/٤ فى ترجمة صخر بن عبد الله الكوفى - ثنا عبد الله بن محمد بن إبراهيم المروزى ثنا عبد الله بن محمود المروزى ثنا صخر بن عبد الله الحاجبى بمرو ثنا الليث بن سعد عن الزهرى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ بجلوا المشايخ فإن تبجيل المشايخ من اجلال الله . وقال ابن عدى وهذا حديث موضوع على الليث بن سعد . ط دار الفكر .

وأخرجه ابن الجوزى فى كتابه الموضوعات كتاب المبتدأ باب اكرام الأشياخ ١٨٢/١ - أنبأنا محمد بن عبد الملك قال أنبأنا الجوهرى عن الدارقطنى عن أبى حاتم قال أنبأنا عبد الله بن محمد السعدى قال حدثنا صخر بن محمد الحاجى إلى آخر طريق ابن عدى ولفظه وقال ابن الجوزى قال ابن حبان لا تحل الرواية عن صخر وقال ابن عدى مايرويه منكر ومن موضوعاته . ط السلفية الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م وأخرجه ابن حبان فى كتابه المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ٣٧٤/١ فى ترجمة صخر يروى عن الليث عن الزهرى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال بجلوا المشايخ ... إلخ ط الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ تعليق محمود إبراهيم زيد .

الفصل الثانى

وهو الثانى من فصول الكتاب فى فضيلة الذكر

ولنقدّم كلام العلاّمة النووى رحمه الله فى الأذكار ، ونصّ كلامه : فصل قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥] إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ك ٣٥] وروينا فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « سَبَقَ المُفرِدُونَ ، قالوا وما المفرّدون يارسول الله ؟ قال : الذَّاكِرُون الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ » (١) . قلت : روى المفرّدون بتشديد الراء وتخفيفها ، والمشهور الذى قاله الجمهور التشديد .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب الحث على ذكر الله تعالى ٢٠٦٣/٤ ح رقم ٢٦٧٦ – حدثنا أمية بن بسطام العيشى حدثنا يزيد يعنى ابن زريع حدثنا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان . سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال : « الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات » .

وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب أى الكلام أحب إلى الله ٥/ ١٧ ح رقم ٣٥٩٦ – حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء أخبرنا أبو معاوية عن عمرو ابن راشد عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله ؟ قال المُسْتَهتِرُون فى ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافًا . وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

وأخرجه أحمد فى المسند ٣٢٣/٢ ثنا أبو عامر ثنا على يعنى ابن المبارك عن يحيى يعنى ابن أبى كثير عن يعقوب قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ سبق المفردون قالوا يارسول الله ومن المفردون قال الذين يهتدون فى ذكر الله . =

واعلم أن هذه الآية الكريمة مما ينبغى أن يهتمّ بمعرفتها صاحب هذا الكتاب ، وقد اختلف فى ذلك ، فقال الإمام أبو الحسن الواحدى : المراد يذكرون الله فى أدبار الصلوات وغدوًّا وعشيا وفى المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما راح من منزله ذكر الله تعالى . وقال مجاهد : لا يكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا . وقال أيضا : أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمُحدِث والجُنُب والحائض والنفساء وذلك بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله ﷺ ، والدعاء وغير ذلك منه اهـ بلفظه .

وقال العلاّمة العارف الربانى سيدى أحمد زروق رضى الله عنه كما فى تأسيس القواعد مانصه : التزام اللازم للملزوم موصل إليه ، فمن ثم فضل الذكر غيره إذا ما أردت أن يلزمك فالزم ملزوميته ، وقد قال الله تعالى ﴿ فاذْكُرُونِى أذْكُرْكُمْ ﴾ ولا أعظم من هذه الكرامة ، وجعل لكل شئ حدًّا ووقتًا إلا ذكره تعالى إذ قال « ذِكْرًا كَثِيرًا - وَقِيامًا وَقُعُودًا وكَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أوْ أشَدَّ ذِكْرًا » . وقال رجل (١) « يارسول الله كثرت

= وأخرجه الإمام البغوى فى كتاب شرح السنة كتاب الدعاء باب فضل ذكر الله عز وجل ومجالس الذكر ١٨/٥ حديث رقم ١٢٤٧ - أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمى أنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ نا جعفر ابن أحمد بن على بن يمان بمصر نا سعيد بن كثير بن غفيرنا ابن لهيعة . وروى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال سبق المفردون ثم ذكره بمثل رواية الإمام مسلم .

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعاء باب فضل ذكر الله ٤٥٨/٥ ح رقم ٣٣٧٥ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الأدب باب فضل الذكر ١٢٤٦/٢ ح رقم ٣٧٩٣ =

علىّ شعائر الإسلام فدلنى على عمل أدرك به مافاتنى ، قال : لا يَزَال لِسانُكَ رَطْبا بِذِكْرِ الله حتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ » . والذكر منشور الولاية فمن أعطى الذكر أعطى المنشور .

قال شيخنا أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه : وعليك بدوام الذكر وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ فهو سلم ومعراج وسلوك إلى الله تعالى إذا لم يلق الطالب شيخا مرشدًا ، فقد سمعت فى سنة ستّ وأربعين وثمانمائة فى الحرم الشريف رجلاً من الصالحين روى فى ذلك عن بعض أهل الصدق مع الله وكلاهما معين معروف روايتهما والله أعلم اهـ . وقال أيضا : كل ذكر واسم فخاصيته من معناه وتصريفه فى مقتضاه وسرّه فى عدده وإجابته على قدر همة صاحبه ، فمن ثم لا ينتفع عالم إلا بجلىّ واضح المعنى ، ولا جاهل إلا بخفىّ لا يعرف معناه ويبقى من يفهمهما بينهما ، ولزم اعتبار العدد الموضوع شرعا والمستخرج استنباطا ، لتوقف التحقيق عليه حسب سنة الله ، فأما الكتاب والتفريط فى الشكل ونحوه فأمر مستفاد عن علم الطباع والطبائع ، ولا يخفى بعده عن الحقّ والتحقيق ، فلذا قال ابن البناء رضى الله عنه فى ابن البونى وأشكاله ، ووافق غير النساج وأمثاله .

وقال الحاتمى رضى الله عنه : علم الحروف علم شريف لكنه صار مذموما دنيا وأخرى ، فاعلم ذلك وبالله سبحانه التوفيق : قلت : أما دنيا

= وأخرجه أحمد بن مسنده ١٨٨/٤

والحاكم فى المستدرك ٤٩٥/١ كتاب الدعاء باب مداومة الذكر من طريق يحيى ابن أبى طالب ثنا زيد بن الحباب ... به وصححه الحاكم والذهبى . البيهقى ٣٧١/٣ كتاب الجنائز باب طوبى لمن طال عمره وحسن عمله من طريق أبو صالح حدثنى معاوية إلى آخر طريق الترمذى ولفظه وابن أبى شيبة ٣٠١/١٠ ، ٤٥٧/١٣

فلتوغل صاحبه فى الأسباب المتوهمة دون المتحققة ، وذلك قادح فى مقام التوكل باعتبار الاجتهاد فى التسبب كالمبادرة بالكىّ فى التطبب ، لأنه من نزف النفس واستعجال البرء ، وأما أخرى فلأنه شغل بأوجه تخلّ بعمارتها والله أعلم اهـ منه بلفظه .

وقال الإمام العلامة العارف بالله سيدى محمد اليدانى فى شرح خاتمة التصوف مانصه وقال بعضهم : أقرب الطرق إلى دخول الحضرة ذكر الله ، لأن الاسم لا يفارق مسماه ، فلا يزال الذاكر يذكر والحجب تتمزّق شيئا فشيئا ، حتى يقع الشهود القلبى لله ، وحينئذ يستغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور ، ومرادهم بحضرة الله حيث أطلقت انكشاف الحجب ، فتدخلها وأنت قاعد مكانك . الثانية قال فى شرح شهية السماع : لا يقرب عبد إلى حضرته تعالى إلا أن يستحى منه حق الحياء ، ولا يصلح له ذلك إلا أن يحصل له الكشف ورفع الحجاب ، ولا يصلح له ذلك إلا بملازمة الذكر ، ولا يصلح له مقام الإخلاص الكامل وهو شهود الأعمال أنها خلق الله تعالى إلا بمداومة الذكر ، ولا تخمد الأمراض الباطنية إلا به ، ولا تنقطع الخواطر الشيطانية إلا به ، ولا تضعف الخواطر النفسانية إلا به ، وبمداومته يزول الهمّ والغمّ فى الدنيا فإنهما بقدر الغفلة عن الله ، فلا يلومن العبد إلا نفسه إذا ترادفت عليه الهموم والغموم ، فإن ذلك إنما هو جزاؤه بقدر إعراضه عن ربه ، فمن أراد دوام السرور فليداوم على الذكر ، وقد يقنع بعض المغرورين . بمجلس الذكر صباحا ومساء مع الغفلة عن الله فيما بينهما ، وذلك لا ينجع بالسالك إلى منازل القوم ، وربما يحتجّ بحديث « إِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ أَوَّلَ النَّهارِ ساعَةً وَآخِرَ النَّهارِ ساعَةً غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُما » والمغفرة لاترقى فيها ، وغايتها أن تلحق المذنب بمن لا يذنب ذلك الذنب لا أنها تلحقه

بمن فعل الطاعات ، فافهم ومراد القوم دوام الترقى مع الأنفاس فى المقامات وذلك بدوام ذكر الله ، ثم إنهم لا يرون أنهم قاموا بذرَّة واحدة من واجب حق الله تعالى اهـ منه بلفظه .

قال ابن عباد فى شرح الحكم عند قوله : لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشدّ من غفلتك فى وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور ، وما ذلك على الله بعزيز . الذكر أقرب الطرق إلى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته كما قيل : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ، ومن سلب الذكر فقد عزل . قال الشاعر :

والذكر أعظم باب أنت داخله ... لله فاجعل له الأنفاس حرّاسا

قال الإمام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه : الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الإرادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية ، فليس وراء الذكر شئ ، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشؤها عن الذكر . وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ، ولو لم يرد فيه إلا قوله تعالى فى كتابه العزيز ﴿ فاذْكُرُونى أذْكُرْكُمْ ﴾ وقوله عزّ وجلّ فيما يرويه عنه رسول الله ﷺ « أنا عِنْدَ ظَنّ عَبْدِى بِى ، وأنا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنى فإنْ ذَكَرَنى فى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فى نَفْسِى ، وَإنْ ذَكَرَنى فى مَلأ ذَكَرْتُهُ فى مَلأ خَيْرٍ مِنْهُ ، وَإنْ تَقَرَّبَ إلَىَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعا ، وَإنْ تَقَرَّبَ إلَىَّ ذِرَاعا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ باعًا ، وَإنْ أتانِى يَمْشِى أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » (١)

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى =

لكان فى ذلك اكتفاء وغنية ، وهذا الحديث متفق على صحته ؛ قالوا : ومن خصائصه أنه غير موقت ، فما من وقت إلا والعبد مطلوب به إما وجوبا وإما ندبا ، بخلاف غيره من الطاعات .

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا وجعل لها حدًّا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر ، غير الذكر ، فإنه لم يجعل له حدًّا ينتهى إليه ، ولم يعذر أحدًا فى تركه إلا مغلوبا على عقله ، وأمرهم بذكره فى الأحوال كلها فقال عزّ من قائل ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [سورة اللنساء : ١٠٣] وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٤١] أى بالليل والنهار ، وفى البرّ والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفى الصحة والسقم والسرّ والعلانية ، وعلى كل حال .

= ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ وقوله جل ذكره : تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك » ٤٢١/٤ ح رقم ٧٤٠٥ - حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبى حدثنا الأعمش سمعت أبا صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ يقول الله تعالى ثم ذكره .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى ٢٠٦١/٤ ح رقم ٢٦٧٥ من طريق جرير عن الأعمش إلى آخر سند البخارى ولفظه ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله ص ٢٠٦٨ من طريق أبو معاوية عن الأعمش إلى آخر سند البخارى ولفظه .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب فى حسن الظن بالله عز وجل ٥٨١/٥ ح رقم ٣٦٠٣ من طريق أبو معاوية عن الأعمش إلى آخر سند البخارى ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أحمد فى المسند ٢٥١/٢ من طريق ابن نمير وأبو معاوية إلى آخر طريق البخارى ولفظه ، ص ٤١٣ من طريق عبد الواحد ثنا سليمان الأعمش ... الخ وابن ماجه فى سننه كتاب الأدب باب فضل العمل ١٢٥٥/٢ ح رقم ٣٨٢٢ من طريق أبو معاوية عن الأعمش ... ؟

وقال مجاهد رضى الله عنه : الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا . وروى عن رسول الله ﷺ « أَكْثِرُوا ذِكْرَ الله حتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ » (١) فينبغى للعبد أن يستكثر منه فى كل حالاته ويستغرق فى جميع أوقاته ولا يغفل عنه ، وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه ، فإن تركه وغفلته عنه أشد من غفلته فيه ؛ فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وإن كان غافلا فيه . فلعلّ الذكر مع وجود الغفلة يرفعه إلى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور ، وهى مرتبة العارفين المحققين من الأولياء ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [سورة الكهف : ٢٤] أى إذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا لله ، وفى هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا فى وجود العيان ، وأنشدوا فى هذا المعنى :

ما إن ذكرتك إلا همّ يقلقنى سرّى وقلبى وروحى عند ذكراك
حتى كأنّ رقيبا منك يهتف بى إياك ويحك والتذكار إياك
أما ترى الحقّ قد لاحت شواهده وواصل الكلّ من معناه معناك

وقال الواسطى مشيرًا إلى هذا المقام : الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره ، لأن الذكر سواه .

وقال أبو العباس بن البناء فى كلام ذكره على مقدمة كتاب أبى العزّ

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٦٨/١ حدثنا سريح ثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث أن دراجًا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون ، ص ٧١ من طريق ابن لهيعة ثنا دراج ... ؟

وأخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الدعاء باب أكثر ذكر الله حتى يقولوا مجنون ٤٩٩/١ وصححه الحاكم ووافقه الذهبى .

تقىّ الدين بن مظفر الشافعى ، وهو كتاب الأسرار العقلية فى الكلمات النبوية ، ورأيت هذا الكلام بخطه رحمه الله : ومن أعظم الذكر ماهاج عن خاطر وارد من المذكور جلّ ذكره ، وهذا هو الذكر الخفىّ عند المتصوّفة على الاستمرار والتمكين فى الإسرار ؛ وأما قولهم حتى يتمكن الذاكر إلى حالة يستغرق بها عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد حكمة ، بل وقدرة من عزيز حكيم ، وبيان ذلك أن يكون القلب عند الذكر فى الذكر فارغا من الكلّ فلا يبقى فيه غير الله جلّ ذكره ، فيصير القلب بيت الحقّ المبين ، وهو لسانه الذى ينطق به ، فإن بطش هذا الذاكر كان يده التى يبطش بها وإن سمع كان سمعه الذى يسمع به ، قد استولى المذكور العلىّ على الفؤاد فامتلكه ، وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه ، وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها حيث شاء فى مرضاته ، فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف ، وتبعث الأعمال بالطاعات نشاطا ولذّة من غير كلال ﴿ ذلكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ والله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٢٨] وقد وصف الله قلب أمّ موسى عليه السلام بمعنى ذلك فى قوله الحقّ ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ ﴾ [سورة القصص : ١٠] أى فارغًا من كل شئ إلا من ذكر موسى ، فكاد أن تبدى به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير ، بل كان تركها للتصريح بذكره صبرًا بما ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى إليها من قبل فى شأن موسى وبأنه من المرسلين ، وبذلك يندفع الإشكال الذى ذكره أبو العزّ ووصفه بالعظيم ، وهو اجتماع الضدّين فى بادئ الرأى وهما الذكر والغفلة عن الذكر ، وهذه المعالم والمراقى لا يعرف حقائقها إلا السالكون وجدانا ، والعلماء إيمانا وتصديقا ، فإياك والتكذيب بآيات الله فتكون من الصّمّ

البُكم فى الظلمات ؛ ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الفقد والعدم ، ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ، ولا يشتمل عليه زمان ، ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ، ولا يتصف بحوادث المحدثين ، ولا يجرى عليه صفات المخلوقين ، فهو حاضر عينا ومعنًى ، وشاهد سرّا ونجوى ، إذ هو القريب من كل شئ ، وأقرب إلى الذكر له من نفسه من حيث الإيجاد والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه ، خلق الخليقة فلا تلحقه أوصافها ، وأوجد الأعداد فلا تحصره معانيها سبحانه وهو العلىّ الكبير اهـ كلام الشيخ أبى العباس رحمه الله فى معنى المقام الثالث من مقامات الذكر ، وهو فى غاية الحسن والتحقيق مشيرا إلى توحيد الخواصّ من أجل هذه الطريقة ، فلا ينبغى أن يستبعد العبد الوصول إلى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم ، فعلى العبد القيام بحقّ الأسباب ، ومن الله تعالى رفع الحجاب اهـ منه بلفظه .

وقد قال العلامة اليدالى فى شرح الخاتمة بعد كلام مانصه : الخامسة فى جواهر القرآن : اعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الذكر أفضل الأعمال ، ولكن له قشور ثلاثة ، بعضها أقرب إلى اللبّ من بعض ، ولها لبّ وراء القشور الثلاث ، وإنما فضل القشور لكونها طريقا إليه ، فالقشر الأعلى منه ذكر اللسان فقط ، والثانى ذكر القلب إذا كان القلب يحتاج إلى مراقبة حتى يحضر مع الذكر ، ولو تركه وطبعه لاسترسل فى أودية الأفكار ، والثالث أن يتمكن الذكر من القلب ويستولى عليه بحيث يحتاج إلى تكلف فى صرفه عنه إلى غيره كما احتيج فى الثانى إلى تكلف فى إقراره معه ودوامه معه ، الرابع وهو اللباب المطلوب ، وذلك أن لا يلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى القلب بل

يستغرق المذكور جملته ، ومهما ظهر له فى أثناء ذلك التفات فذلك حجاب شاغل . وهذه الحالة هى التى يعبر عنها العارفون بالفناء وذلك بأن يفنى عن نفسه حتى لا يحسّ بشئ من ظواهر جواهره ، ولا من العوارض الباطنة ، بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا إلى ربه أوّلاً ثم ذاهبا فيه آخرًا ، وإن ظهر له فى أثناء ذلك أنه فنى عن نفسه بالكلية فذلك شَوب وكُدورة . بل الكمال فيه أن يفنى عن نفسه ويفنى عن الفناء أيضا ، والفناء عن الفناء غاية الفناء ، وهذا قد يظنه الفقيه الرسمى أنه طاقات غير معقولة ، وليس كذلك بل هذه الحالة لهم بالإضافة إلى محبوبهم كحالتك فى أكثر أحوالك بالإضافة إلى محبوبك من جاه أو مال أو معشوق ، فإنك تكون مستغرقا لشدّة الغضب بالفكر فى عدوّك ، ولشدّة شهوتك بالفكر فى معشوقك حتى لا يكون قلبك متسعا لشئ أصلا فتخاطب فلا تفهم ، ويجتاز غيرك بين يديك فلا تراه وعيناك مفتوحتان . ويتكلم عندك فلا تسمع ولا بأذنك صمم ، وأنت فى الاستغراق غافل عن كل شئ وعن الاستغراق أيضا ، لأن الملتفت إلى الاستغراق معرض عن المستغرق به إلى أن قال : فقد أفهمناك ما أراده بالفناء فدع عنك الغيبة والتكذيب بما لم تُحط به ، قال تعالى : ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ ﴾ [سورة يونس : ٣٩] وقال : ﴿ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴾ [سورة الأحقاف : ١١] اهـ . ثم قال : إن الفناء والاستغراق يكون أوّلاً كالبرق الخاطف قَلّ مايثبت ويدوم ، فإن دام ذلك وصار عادة راسخة وهيئة ثابتة ، عرج بها إلى العالم الأعلى ، وطالع الوجود الحقيقى الأصفى ، فانطبع فيه نفس الملكوت ، وتجلى له قدس اللاهوت ، وأوّل ما يتمثل له من ذلك جواهر الملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء فى صورة جميلة تفضى إليه بواسطتها بعض

الحقائق ، وذلك فى البداية إلى أن تعلو درجته عن المثال ، ويكافح بصريح الحقّ فى كل شئ ، فإذا ردّ إلى هذا العالم المجازى الذى هو كالظلال نظر إلى الخلق مترحمًا عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس ، ويتعجب فى انخداعهم بعالم الغرور فيكون معهم حاضرًا بشخصه غائبا بقلبه ، متعجبا هو من حضورهم وهم يتعجبون من غَيبته ، وهذه ثمرة لباب لذكر ، وإنما مبدؤها ذكر اللسان ثم ذكر القلب مكلفا ، ثم ذكر القلب طوعا ، ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر ؛ ومادام القلب يشعر بالذكر ويلتفت إليه فهو معرض عن الله وغير منفكّ عن شرك خفىّ حتى يصير مستغرقا بالواحد الحقّ ، فذلك هو التوحيد ، وكذلك القول فى المعرفة ، فمن طلب المعرفة فقد قال بالثانى ، ومن وجدها فكأنه لا يجدها ، بل يجدها المعروف بها فهو الذى اشتمل من حقيقة الوصال ووصل محبوبه فى حضرة القدس اهـ من شرح خاتمة التصوّف للعلامة اليدالى رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين .

وقال شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم الخاتم المحمدى رضى الله عنه ونفعنا به آمين فى الكلام على مايحتاج إليه مريد الرياضة مانصه : إن المريد الصادق الذى يريد أن يرتاض بالخلوة وغيرها يحتاج إلى أمور : أوّلها معرفة تعديل المزاج ، ثم معرفة غاية القصد ، ثم معرفة كيفية السعى إليه ، ثم معرفة الحجاب القاطع عنه ، ثم معرفة كيفية زواله ، ثم كيفية زواله ، ثم معرفة أصول الحجاب التى منها مواده ، ثم الجدّ فى قطع تلك الأصول ، ثم معرفة الأمور التى بها زوال الحجاب إما كلية أو تفصيلية ، ثم سلّ سيف العزم وركوب جواد المجاهدة بمتابعة ما عرف من هذه الأمور والعمل على مقتضياتها . أما معرفة تعديل المزاج فهو لزوم طريق الاعتدال فى الأكل والشرب من غير إفراط ولا تفريط ،

ثم النظر فى الوقت والبلد حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ، وكذلك السن ، ثم مقاومة كل ما يقوّيه عن الانحراف . وأما معرفة غاية القصد فهو رفع الحجاب عن الروح الربانى وردّه إلى حالة الصفاء التى كان عليها قبل التركيب فى الجسم ، فإن هذا الذى يكون به إدراك سائر العلوم والمعارف والأحوال والأخلاق والمقامات والفتوحات والمواهب والقرب الحقيقى ، وبه إدراك سعادة الدنيا والآخرة ، ومن فقده لم يصل إلى سعادة الآخرة . وأما معرفة كيفية السعى إليه فهى متابعة الرسول ﷺ فى سائر قوله وفعله وحاله وخلقه بإقامة حقوق الله تعالى فى سرّ أو علانية ، مخلصا لله تعالى من جميع الشوائب الدنيوية والأخروية ، وأن يكون ذلك لله تعالى تعظيما وإجلالا لله على بساط الرضى والتسليم والتفويض والاعتماد عليه تعالى فى كل شئ . وأما معرفة كيفية زوال هذا الحجاب فهو السعى فى قطع الحظوظ والشهوات وترك تعظيم نفسها والسعى فى جلب مصالحها وقطع دفع مضارّها بالزهد فيها بالكلية لكن بلطف ورفق . وأما معرفة أصول الحجاب فهو كثرة الأكل والشرب وملاقاة الخلق وكثرة الكلام وكثرة المنام ودوام الغفلة عن ذكر الله تعالى . وأما السعى والجدّ فى قطع تلك الأصول فهو الجوع والعطش بالرفق ودوام الانقطاع عن ملاقاة الخلق ودوام الصمت مطلقا إلا فيما قلّ من ضرورياته ، ومداومة السهر بالرفق ، ومداومة ذكر الله تعالى بالقلب واللسان دائما بأىّ ذكر . ثم إن الأذكار التى بها زوال الحجاب منها كليات وهى التى تقطع الحجاب عن الروح من أىّ أمر كان ، ومنها تفصيليات وهى التى لا تقطع إلا حجابا واحدا من نوع واحد . أما الكليات فهى لا إله إلا الله ، أو الصلاة على رسول الله ﷺ ، أو سبحان الله والحمد لله ، أو الله أكبر ، أو بسم الله الرحمن الرحيم ، أو الله الله الله ، أو الله لا إله إلا هو الحىّ القيوم . وأما التفصيليات فهى سائر

الأسماء الحسنى ، وكل اسم يذهب بجزء من الحجاب ولا يتعدى للجزء الآخر . والله تعالى الموفق ا هـ كلامه الجدير أن يكتب بذوب الذهب . قلت : ومن أراد شيئا زائدا على ماذكر هنا مما يقطع الحجاب فعليه بملازمة رجاله ، فقد قال السيد العربى بن السائح رضى الله عنه : إن فى جواهر المعانى طرقا عديدة كلها موصلة إلى الله تعالى . قلت : وماهو مكتوم أكثر من ذلك ، ولكن سائق السعادة يسوق أناسا ، والصارف الإلهى يصرف آخرين .

الماء منهمر والأرض معشبة　　　أقام فيها مريد الخير أو رحلا

وهذا آخر الفصل ، والله الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

الفصل الثالث

وهو الفصل الثالث من فصول الكتاب
فى الاجتماع للذكر والترغيب فى قراءة القرآن والاجتماع لها

فأقول وبالله التوفيق ، وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :

قال العلامة العارف بالله حوارى الطريقة الشيخ عمر بن سعيد الفوتى رضى الله عنه كما فى الرماح : اعلم أنّ الاجتماع للذكر حضّ عليه الشارع ورغب فيه ﷺ ، وجرى به عمل أئمة الطريق من أهل الله شرقا وغربا روى البخارى ومسلم والترمذى والنَّسائى وابن ماجه وغيرهم مرفوعا « يقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ : أنا عِنْدَ ظَنّ عَبْدِى بِى وأنا مَعَهُ إذا ذَكَرَنى ، فإنْ ذَكَرَنى فى نَفْسِه ذَكَرْتُهُ فى نَفْسِى ، وَإن ذَكَرَنى فى مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فى مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُ » . وروى الطبرانى بإسناد حسن مرفوعًا قال « قالَ الله جَلَّ ذِكْرُهُ : لا يَذْكُرُنى العَبْدُ فى نَفْسِهِ إلاَّ ذَكَرْتُهُ فى مَلإٍ مِنَ المَلائِكَةِ ، وَلا يَذْكُرُنى فى مَلإٍ إلَّا ذَكَرْتُهُ فى الرَّفِيقِ الأعْلَى » (١) . وأخرج الإمام أحمد ورواته ثقات عن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « ما مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ لا يُرِيدُونَ بذلكَ إلاَّ وَجْهَهُ إلَّا نادَاهُمْ منادٍ مِنَ السَّماءِ أنْ قُومُوا مَغْفورًا لكُمْ وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكمْ حَسَناتٍ » (٢) . ورواه أبو يَعْلَى والبزَّار والطبرانى ، ورواه البَيْهَقى من

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٥٦ س ١٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٤٢/٣ ثنا محمد بن بكر أنا ميمون المرائى ثنا ميمون بن سياه عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورًا =

حديث عبد الله بن مغفل ، ورواه الطبرانى عن سهل بن حنظلة قال : قال رسول الله « ما جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِيه فَيَقُومُونَ حتَّى يُقالَ لَهُمْ قُومُوا قَدْ غُفِرَ لَكُمْ وَبُدِّلَتْ سَيِّئاتُكُمْ حَسَناتٍ » [١] . وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال « خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : يا أَيُّها النَّاسُ إنَّ لله سَرَايا مِنَ المَلائِكَةِ تحلُّ وَتَقِفُ عَلى مَجالِسِ الذِّكْرِ فى الأَرْضِ فارْتَعُوا فى رِياضِ الجَنَّةِ ، قالوا : وأين رياض الجنة ؟ قال : مَجالِسُ الذِّكْرِ فاغْدُوا وَرُوحُوا فى ذِكْرِ الله وَذَكِّرُوه أَنْفُسَكُمْ ، مَنْ كانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ الله تعالى فَلْيَنْظُرْ مَنْزِلَةَ الله تَعالى عِنْدَهُ ، يُنْزِلُ العَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ » رواه ابن أبى الدنيا وأبو يعلى والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ؛ [٢]

= لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى مجالس الذكر ٧٦/١٠ عن أنس بن مالك .

وأخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١٠٨/٣ فى ترجمة ميمون بن سياه .

وأخرجه أبو يعلى فى مسنده ٤٦٤/٢ مسند أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ح رقم ١٢٨٣ حدثنا شعبة عن أبى إسحاق عن الأغر أبى مسلم قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ ثم ذكر .

(١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى مجالس الذكر ٧٦/١٠ عن سهل بن حنظلة وعزاه الهيثمى إلى الطبرانى وفيه المتوكل بن عبد الرحمن والد محمد بن أبى السرى ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان باب فى محبة الله عز وجل فصل فى ذكر أخبار وردت فى ذكر الله عز وجل ٤٥٤/١ ح رقم ٦٩٥ عن سهل بن حنظلة .

(٢) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجـاء فى مجالس الذكر ٧٧/١٠ عن جابر بن عبد الله وعزاه إلى أبى يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط وفيه عمر بن عبد الله مولى عفرة وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة وبقية رجالهم رجال الصحيح .

وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٣٩٧/٢ - ٣٩٨ - حدثنا أبو عبد الله الحافظ فى آخرين .

والرتع : هو الأكل والشرب فى خصب وسعة . وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لَيَبْعَثَنَّ الله أقْوَامًا يَوْمَ القِيامَةِ فى وُجُوهِهِمُ النُّورُ على مَنابِرِ اللُّؤْلُؤِ يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ لَيْسُوا بأَنْبِياءَ وَلا شُهَدَاءَ ، قال : فجثا أعرابى على ركبتيه فقال : يارسول الله صفهم لنا نعرفهم ، فقال : هُمُ المُتَحابُّونَ مِنْ قَبائِلَ شَتَّى وَبِلادٍ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ على ذِكْرِ الله تَعالى وَيَذْكُرُونَهُ » أخرجه الطبرانى بإسناد حسن [١] . وعن عمرو بن عَنْبسة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ رِجالٌ لَيْسُوا بأنْبِياءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْشَى بَياضُ وجُوُهِهِم نَظَرَ النَّاظِرِينِ ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ بِمَقْعَدِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ ، قيل يارسول الله من هم ؟ قال : هُمْ جُمَّاعٌ مِنْ نَوازِعِ القَبائِلِ يَجْتَمِعُونَ على ذِكْرِ الله تعالى فَيَنْتَقُونَ أطايِبَ الكَلامِ كما يُنْتَقى أَطايِبُ التَّمْرِ » رواه الطبرانى وإسناده مقارب لا بأس به ، [٢] وجماع بضم الجيم وتشديد الميم : أى أخلاط من قبائل شتى ومواضع مختلفة ، ونوازع جمع نازع : وهو الغزيب ؛ ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة ، وإنما اجتمعوا لذكر الله تعالى . وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذَا مَرَرْتُم بِرِياضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حِلَقُ الذِّكْرِ » أخرجه

---

(١) أورده الإمام الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى مجالس الذكر ٧٧/١٠ عن أبى الدرداء وعزاه إلى الطبرانى وإسناده حسن .

وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب كتاب الذكر والدعاء باب لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ٤٠٦/٢ عن أبى الدرداء وعزاه إلى الطبرانى وحسنه .

(٢) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى مجالس الذكر ٧٧/١٠ وعزاه إلى الطبرانى ورجاله موثقون .

الترمذى (١) . وأخرج الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه أنه قال « ذِكْرُ الله خَيْرٌ لاشَكَّ فِيه ، يَذْهَبُ بالذَّنْبِ وَلا ذَنْبَ فِيهِ » . وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه « حُضُور مَجْلِس ذِكْرِ أفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وعِيادةِ أَلْفِ مَرِيضٍ » وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إنَّ لله مَلائِكَةً يَطوفونَ فى الطَّرِيقِ يَلْتَمِسونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فإذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكرُونَ الله تَعالى تَنادَوْا : هَلمُّوا إلى حاجَتِكُمْ قالَ : فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلى سَماءِ الدُّنْيا ، قالَ : فَيَسألُهُمْ ربُّهمْ وَهُوَ أعْلَمُ بِهِمْ : ما يَقُولُ عِبادِى ، قَالَ : فَيَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيحَمَدُونكَ ويُمَجِّدُونَكَ ، قالَ : فَيَقُولُ هَلْ رأوْنِى ؟ قالَ : فيَقُولُونَ لا والله ما رأوْكَ ، قالَ فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رأَوْنِى ؟ قال يَقُولُون لَوْ رأوْكَ كانُوا أَشَدَّ لكَ عِبادَةً وأَشَدَّ لَكَ تَحْمِيدًا وأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا ، قالَ فَيَقُولُ فَمَا يَسْئَلُونِى ؟ قالَ : يَسْئَلُونَكَ الجَنَّةَ ؛ قالَ : فَيَقُولُ وَهَلْ رأوْها ؟ قالَ : يَقُولُونَ لا والله ما رأوْها ، قالَ : فَيَقُولُ فَكَيْف لَوْ أَنَّهُمْ رأوْها ؟ قالَ :

---

(١) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب رقم ٨٣ ح رقم ٣٥١٠ ج ١٠ ص ٥٣

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنى أبى قال حدثنا محمد بن ثابت البنانى حدثنا أبى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إذا مررتم برياض الجنة ثم ذكره . وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس وأخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ١٥٠/٣ مسند أنس ابن مالك رضى الله عنه من طريق عبد الصمد إلى آخر سند الترمذى ولفظه .

وأخرجه الإمام أبو نعيم فى حلية الأولياء فى ترجمة زياد بن عبد الله النميرى ٢٦٨/٦ عن زياد النميرى عن أنس بن مالك ثم ذكره .

وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير(٩٥/١ ح ١١٥٨) عن ابن عباس ثم ذكره بلفظه .

يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رأَوْها كانُوا أَشَدَّ عَلَيْها حِرْصًا وأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وأَعظَمَ فِيها رَغْبَةً ؛ قال فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قالَ : يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ ، قالَ : فَيَقُولُ وَهَلْ رأَوْها ، قالَ يَقُولُون لا واللهِ مارأَوْها ، قالَ : فَكَيفَ لَوْ رأَوْها ؟ قالَ يَقُولُون لَوْ رأَوْها كانُوا أَشَدَّ مِنْها فِرارًا وأَشَدَّ لها مخافَةً ، قالَ : فَيَقُول فَأُشْهِدُكُمْ أني قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائكَةِ فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إنَّما جاءَ لِحاجَةٍ ، قالَ : هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » رواه البخارى اهـ منه باختصار (١) .

وفى الأذكار للعلامة النووى رضى الله عنه : اعلم أنه كما يستحبّ الذكر يستحبّ الجلوس فى حلق أهله ، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك ، وذكر بعض الأحاديث المتقدمة ثم قال : وروينا فى صحيح مسلم عن معاوية رضى الله عنه قال « خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال : ما أجْلَسَكُمْ ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على

---

(١) أخرجه بطوله وبلفظه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل ١٧٤/٤ - ١٧٥ ح رقم ٦٤٠٨ - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إن لله ملائكة يطوفون فى الطريق يلتمسون أهل الذكر ثم ذكر الحديث بتمامه .

وأخرجه بألفاظ متقاربه وبطوله أيضًا الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل مجالس الذكر ٢٠٦٩/٤ - ٢٠٧٠ حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا بهز حدثنا وهيب ، حدثنا سهيل عن أبيه عن أبى هريرة ثم ذكره بطوله وبألفاظ متقاربة .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب ماجاء أن لله ملائكة سياحين فى الأرض ٥٧٩/٥ - ٥٨٠ ح رقم ٣٦٠٠ حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش إلى آخر سند البخارى ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد رواه أبى هريرة من غير هذا الوجه وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٣٥٨/٢ - ٣٥٩ عن سهيل ابن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ثم ذكره مختصرًا .

ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا ، قال : آللهِ ما أجْلَسَكُمْ إلاَّ ذَاكَ ؟ قال : أمَا إنى لَمْ أسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لكُمْ ، ولكَنَّهُ أتانى جِبْرِيلُ فأخْبَرنى أنَّ الله تَعالى يُباهِى بِكُمُ المَلائِكَةَ) [١] . وروينا فى صحيح مسلم أيضا عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال « لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ الله تَعالى إلَّا حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ الله تَعالى فِيمَنْ عِنْدَهُ » [٢] اهـ منه بلفظه .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٥/٤ حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا مرحوم بن عبد العزيز عن أبى نعامة السعدى عن أبى عثمان عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج معاوية على حلقة فى المسجد فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك قال أما أنى لم استحلفكم تهمة لكم ما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا منى وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم ثم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للإسلام ... ثم ذكره وأخرجه النسائى فى سننه كتاب أداب القضاة باب كيف يستحلف الحاكم ٢٤٩/٨ - أخبرنا سوار بن عبد الله قال حـــدثنا مرحوم بن عبد العزيز إلى آخر سـند مسلم ولفظه .

وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٩٢/٤ من طريق على بن بحر قال حدثنى مرحوم ابن عبد العزيز إلى آخر سند مسلم ولفظه .ش ٣٠٦/١٠ طب ١٤٢/١٩ ، ١٠١١

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٤/٤ - حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا اسحاق يحدث عن الأغر أبى مسلم أنه قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال لا يقعد قوم يذكرون الله ثم ذكره .

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الوتر باب ثواب القرآن ٧١/٢ - ٧٢ - حدثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى =

وقال الشيخ زروق رضى الله عنه فى تأسيس القواعد : إعطاء الحكم فى العموم لا يقضى بجريانه فى الخصوص ، فاحتيج فى الخاص لدليل يخصه حتى يتخصص به ، ومن ذلك الجهر بالذكر والدعاء ، فدليله « من ذكرنى فى ملإٍ ذكرته فى ملإ خير منه » وقيل من أدلته (كَذِكْرِكُمْ آباءكُمْ أوْ أشَدَّ ذِكْرًا) . وقال ابن عباس « ماكنت أعرف انصراف الناس من الصلاة على عهد رسول الله ﷺ إلا بالذكر » ورواه البخارى . والجهر فى ذكر العيد فى دبر الصلوات وبالثغور وفى الأسفار حتى قال عليه الصلاة والسلام « أرْبَعُوا على أنْفُسِكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ وَلا غائِبًا » (١) . وقد جهر النبىّ عليه الصلاة والسلام بأذكار وأدعية

= ﷺ قال ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتابه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .

وأخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب المقدمة باب فضل العلم والحث على طلب العلم ٨٢/١ ح ٢٢٥ - حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وعلى بن محمد قالا ثنا أبو معاوية إلى آخر طريق أبو داود ولفظه .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٢٥٢/٢ مسند أبى هريرة رضى الله عنه من طريق أبو معاوية إلى آخر سند أبو داود ولفظه .

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب مايكره من رفع الصوت فى التكبير ٢٥٧/٢ حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عاصم عن أبى عثمان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه : كنا مع رسول الله ﷺ فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبى ﷺ يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنه معكم ، إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده ، كتاب المغازى باب غزوة خيبر ٧٠/٣ - حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد الواحد عن عاصم إلى آخر الطريق الأول وبلفظ قال لما غزا رسول الله ﷺ أو قال لما توجه رسول الله ﷺ أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ أربعو على أنفسكم ثم ذكره بمثل الرواية السابقة جزء من حديث طويل . =

فى مواطن جمّة ، وكذلك السلف . وصحّ قوله جوابا لأهل الخندق « اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إلاَّ خَيْرُ الآخِرَة ، فاغْفِرْ للأنْصَارِ والمُهاجِرَةِ » وكل هذه دالة على الجهر والجمع لكن فى قضايا خاصة يكون وجودها مستندا إلى دليل لاحتمال قصرها على ماوقعت فيه ، وكونها مقصودة لغيرها لا لذاتها فلزم تمهيد أصل آخر اهـ .

وفى الإحياء للإمام أبى حامد الغزالى قال : قال رسول الله ﷺ « ما قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدا لَمْ يَذْكُرُوا الله سُبْحانَهُ وَتَعالى فِيهِ ولَمْ يُصَلُّوا على النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا كانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ القِيامَةِ » (١) . وقال

= وأخرجه أيضًا فى كتاب القدر باب لا حول ولا قوة إلا بالله ٢١٩/٤ حدثنا محمد ابن مقاتل أبو الحسن أخبرنا عبد الله أخبرنا خالد الحذاء عن أبى عثمان النهدى عن أبى موسى ثم ذكره بمثل الرواية الثانية .

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الوتر باب الاستغفار ٨٨/٢ ح رقم ١٥٢٦ حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا حماد عن ثابت وعلى بن زيد وسعيد الجريرى عن أبى عثمان النهدى إلى آخر طريق البخارى وبمثل الرواية الأولى .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الذكر باب استحباب خفض الصوت بالذكر من طريق أبو معاوية عن عاصم إلى آخر سند البخارى ولفظه جـ ٤ ص ٢٠٧٦ .

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٤٦٣/٢ مسند أبى هريرة رضى الله عنه – ثنا عبد الرحمن عن شعبة عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال ماقعد قوم مقعدًا لا يذكرون الله عز وجل ويصلون عن النبى ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب .

وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب الدعاء باب فى القوم يجلسون ولا يذكرون الله ٤٦١/٥ ح ٣٣٨٠ حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ماجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم حسرة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم .

وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

داود ﷺ : إلهى إذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم ، فإن لك نعمة تنعم بها على . وقال ﷺ « المَجلِسُ الصالِحُ يُكَفِّرُ عَنِ المُؤْمِنِ أَلْفَىْ أَلْفِ مَجْلِسٍ مِنْ مَجالِسِ السُّوءِ » (١) . وقال أبو هريرة رضى الله عنه « إنَّ أهل السماء ليتراءَون بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم » . وقال سفيان بن عيينة رحمه الله : إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا ، فيقول الشيطان للدنيا ، ألا ترين ما يصنعون ؟ فتقول الدنيا : دعهم فإنهم إذا اتفقوا أخذت بأعناقهم إليك . وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « أنه دخل السوق وقال : أراكم هاهنا وميراثُ رسول الله ﷺ يقسم فى المسجد ، فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا ، فقالوا : يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم فى المسجد ، قال : فماذا رأيتم : قالوا : رأينا قوما يذكرون الله عزّ وجلّ ويقرءون القرآن ، قال : فلذلك ميراث رسـول الله ﷺ » اهـ منه بلفظه .

قال صاحب الرماح : قال فى كشف القناع : وسئل الجلال السيوطى رحمه الله تعالى عما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به فى المساجد ورفع الصوت بالتهليل هل ذلك مكروه أم لا ؟ فأجاب بأنه لا كراهة فى شئ من ذلك ، وقد وردت أحاديث تقتضى استحباب الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضى استحباب الإسرار بذلك ؛ والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما

---

(١) أورده الزبيدى فى كتابه اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين كتاب الذكر والدعاء باب فضيلة الذكر ج ٥ ص ٩ وقال العراقى ذكره صاحب الفردوس من حديث أسد بن وداعة وهو مرسل .

جمع النووى بذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن . والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها اهـ المراد منه .

وقال : ومن كلام سيدى علىّ الخوّاص : ينبغى للمريد أن يذكر بقوّة تامة مع الجهر ، فإنه أشدّ تأثيرا فى جمع شتات قلبه ؛ وينبغى له أيضا أن يذكر مع جماعة ، فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيرا فى رفع الحجب ، لكون الحقّ تعالى شبه القلوب بالحجارة ، ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوّة جماعة ، فكذلك قساوة القلب لا تزول إلا بذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد ، لأن قوّة الجماعة أشدّ من قوّة شخص واحد ؛ وأما من حيث الثواب فكلّ له ثواب نفسه وثواب سماع رفقته اهـ . قلت : ومراد القوم ونظرهم فيما يجمع قلوبهم على الله تعالى .

قال الشيخ زروق : معظم نظر القوم مايجمع قلوبهم على مولاهم ، فمن ثم قالوا بأشياء فى باب الأدب أنكرها من لم يعرف قصدهم ، وأخذها بغير حقّ من لم يبلغ حالهم فضلّ بها وزلّ كالسماع ونحوه ، وقد أشار لذلك الجنيد رحمه الله حين سئل عن السماع فقال : كل ما يجمع العبد على مولاه فهو مباح اهـ فجعله مشروطا فى الجمع فى إباحته حتى لايتعدّى حكمه موقوفا على علته حتى لا ينكر والله أعلم اهـ من تأسيس القواعد بلفظه ؛ وفيه أيضا فضيلة الشئ غير أفضليته ، وحكم الوقت غير حكم الأصل ، فلا يلزم من الترغيب الأفضلية وإن ثبت الفضل ، ولا من الترك والفعل لعارض الوقت رفع حكم الأصل ، والجمع للذكر والدعاء والتلاوة ، قد صحّ ندب كلّ ذلك بالأحاديث المتقدمة ، فلا يصحّ دفع أصل حكمه وإن أوثر عليه غيره ، فالأفضلية للغير عليه كالذكر الخفىّ وما يتعدّى من العبادات نفعه كالعلم والجهاد والتكسب على العيال إلى غير ذلك مما كان اعتناء الصحابة به وشغلهم

فيه حتى شغلهم عن الاجتماع للذكر ، والمفزع له من غير ضميمة شئ من ذلك إليه ، ألا تراهم عند إمكانه على ماهم فيه استعملوه كالأسفار والأعياد وأدبار الصلوات ونحو ذلك ؛ ولما جاء عليه السلام حلقة الذاكرين تجاوزها وجلس مع المتذاكرين فى العلم ، فآثر المتذاكرين لتعدّى نفعهم ولاحتياجهم إليه فيما هم به ، إذ لا علم لهم إلا من قبله فقصدهم لتبليغ ماجاء به ، بخلاف الذاكرين فإن ماهم فيه بين بنفسه ونفعه قاصر عليهم ، لكنه لم ينكر على أولئك وإن آثر هؤلاء ، والله أعلم اهـ عنه . وقد تقدّم أن نظر القوم فيما يجمعهم على الله قد قال إمامنا وإمام الأئمة مالك بن أنس : لو كنت أعلم أن قلبى يصلح بالجلوس عند كناسة لفعلت ، وورد مثل ذلك فى السنة ، ففى شرح المواقف : وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى أبا موسى الأشعرى قال : ذكرنا ربنا ، فيقرأ وكان حسن الصوت ، وإنما استدعى عمر رقة قلبه بسماع قراءته للقرآن ، وهذا لا بأس به إذا صحّ من فاعله على هذا الوجه اهـ منه بلفظه .

قلت : وأما تخصيص الصوفية وبعض الصالحين بعض الليالى بشئ من القربات دون بعض ، فقد قال القاضى عياض فى إتيان النبىّ ﷺ مسجد قباء كل يوم سبت حجة لجواز تخصيص الأئمة والصالحين بعض الأيام من الجمعة بنوع من القربات سبتًا وغيره اهـ المراد منه .

وقد قال شيخنا رضى الله عنه ، وبقوله يختم الكلام فى المسئلة فى معرض الكلام على السماع بعد كلام : وكم من عارف يفاض عليه فى حضوره السماع من الحضرة القدسية من فيوض الأحوال والمعارف ، فيترقى به من المقامات مالايترقاه بالعبادة وصفاء الأوقات فى مائة ألف عام من المقامات اهـ كلام شيخنا وإمامنا بلفظه من جواهر المعانى .

وأما القراءة للقرآن فقد قال النووى فى الأذكار مانصه : فصل ينبغى أن يحافظ على تلاوته ليلا أو نهارا ، سفرا أو حضرا . وقد كانت للسلف رضى الله عنهم عادات مختلفة فى القدر الذى يختمون فيه ، فكان جماعة منهم يختمون فى كل شهرين ختمة ، وآخرون فى كل شهر ختمة ، وآخرون فى كل عشر ليال ختمة ، وآخرون فى ثمان ليال ختمة ، وآخرون فى كل سبعة ليال ختمة . وهذا فعل الأكثرين من السلف ، وآخرون فى كل ستّ ليال ، وآخرون فى خمس ، وآخرون فى أربع ، وكثيرون فى كل ثلاث ، وكان كثيرون يختمون فى كل يوم وليلة ختمة ، وختم جماعة فى كل يوم وليلة ختمتين ، وآخرون فى كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وختم بعضهم فى اليوم والليلة ثمان ختمات أربعا فى الليل وأربعا فى النهار ، وممن ختم أربعا فى الليل وأربعا فى النهار السيد الجليل ابن الكاتب الصوفى رضى الله عنه ، وهذا أكثر مابلغنا فى اليوم والليلة . وروى السيد الجليل أحمد الدورقى بإسناده عن منصور بن زاذان بن عباد التابعى رضى الله عنه أنه كان يختم القرآن مابين الظهر والعصر ، ويختمه أيضا فيما بين المغرب والعشاء ، ويختمه فيما بين المغرب والعشاء فى رمضان ختمتين وشيئا ، وكانوا يؤخرون العشاء فى رمضان إلى أن يمضى ربع الليل . وروى ابن أبى داود بإسناده الصحيح أن مجاهدًا رحمه الله كان يختم القرآن فى رمضان فيما بين المغرب والعشاء . وأما الذين ختموا القرآن فى ركعة فلا يحصون لكثرتهم ، فمنهم عثمان بن عفان وتَميم الدارى وسعيد بن جُبير ؛ والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له منه كمال فهم مايقرأ ، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم وفصل الحكومات بين المسلمين

أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين ، فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو بصدده ولا قوّة كماله ، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدّ الملل أو الهذرمة فى القراءة . وقد كره جماعة من المتقدّمين الختم فى يوم وليلة ، ويدلّ عليه مارويناه بالأسانيد الصحيحة فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى وغيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لايَفْقَهُ مَنْ قَرأ القُرآنَ فى أَقَلَّ مِنْ ثَلاثٍ » (١) وأما وقت الابتداء والختم فهى إلى خيرة القارئ ، فإن كان ممن يختم فى الأسبوع مرّة فقد كان عثمان رضى الله عنه يبتدئ ليلة الجمعة ويختم ليلة الخميس . وقال الإمام أبو حامد الغزالى فى الإحياء : الأفضل أن يختم ختمة بالليل وأخرى بالنهار ، ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ، ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ليستقبل أوّل النهار وآخره . وروى ابن أبى داود عن عمرو بن مرّة التابعى الجليل رضى الله عنه قال : كانوا يحبون

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة باب تحزيب القرآن ٥٧/٢ ح رقم ١٣٩٤ - حدثنا محمد بن المنهال أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد عن قتادة عن أبى العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله يعنى ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب القراءات باب رقم ١٣ ج ١٩٨/٥ ح رقم ٢٩٤٩ - حدثنا محمود بن غيلان حدثنا النضر بن شميل حدثنا شعبة عن قتادة إلى آخر سند أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى تعليقا على هذا الحديث هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب كم يستحب بختم القرآن ٤٢٨/١ ح رقم ١٣٤٧ حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة إلى آخر سند أبو داود ولفظه .

أن يختم القرآن من أول الليل ومن أوّل النهار . وعن طلحة بن مصرف التابعى الإمام الجليل قال : من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى ، وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح . وعن مجاهد نحوه . وروينا فى مسند الإمام المجمع على حفظه وجلالته وإتقانه وبراعته أبى محمد الدارمى رحمه الله عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : إذا وافق ختم القرآن أوّل الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسى ، قال الدارمى : هذا حسن عند سعد . وقال أيضا فى آداب الختم ومايتعلق به : قد تقدّم أن الختم للقارئ وحده يستحبّ أن يكون فى صلاة ، وأما من يختم فى غير صلاة والجماعة الذين يختموه مجتمعين فيستحبّ أن يكون ختمهم فى أوّل الليل أو أوّل النهار كما تقدم اهـ المراد منه . وقد قال الشيخ سيدى المختار الكنتى رضى الله عنه مانصه : وقال أبو الليث ينبغى للقارئ أن يختم فى السنة مرّتين إن لم يقدر على الزيادة . وقد روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال : من ختم القرآن فى كل سنة مرّتين فقد أدّى حقه ، لأن النبىّ ﷺ عرضه على جبريل فى السنة التى قبض فيها مرّتين . ومن حديث أحمد بن حنبل : يكره تأخير ختم القرآن لمن يحفظه أكثر من أربعين يوما بلا عذر ، لأن عبد الله بن عمرو سأل النبىّ ﷺ فى كم يختم القرآن ؟ قال : فى أربعين يوما ، رواه أبو داود [(١)] . اهـ من تذييله للكواكب بلفظه . وفيه قال مالك بن أنس : يستحبّ الإكثار من قراءة

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة باب فى تحزيب القرآن ٥٧/٢ ح رقم ١٣٩٥ - حدثنا نوح بن حبيب أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سماك بن الفضل عن وهب بن منبه عن عبد الله بن عمرو انه سأل النبى ﷺ فى كم يقرأ القرآن قال =

القرآن وتلاوته ، فقد أثنى الله تعالى على من كان دأبه تلاوة القرآن بقوله : ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٣] وفى الصحيحين من حديث ابن عمر « لا حَسَدَ إلاَّ فى اثْنَتَيْن : رَجُلٌ آتاهُ الله القُرآنَ فَهوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ ، وَرَجُلٌ آتاهُ الله مالاً فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ فى الحَقّ » (١) .

ومن حديث أبى سعيد عن النبىّ ﷺ فى حديث قدسىّ يرويه عن ربه ولفظه « يَقُولُ الرَّبُّ سُبْحانَهُ وَتَعالى : مَنْ شَغَلَهُ القُرآنُ وَذِكْرى عَنْ مَسْألَتِى أعْطَيْتُهُ أفْضَلَ ما أُعْطِى السَّائِلينَ ، وَفَضْلُ كَلامِ الله على سائِرِ الكَلامِ كَفَضْلِ

= فى أربعين يومًا ثم قال فى شهر ثم قال فى عشرين ثم قال فى خمس عشرة ثم قال فى عشر ثم قال فى سبع » ينزل من سبع .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب قول النبى ﷺ ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار .. ٤٥٧/٤ حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال الزهرى عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبى ﷺ قال لاحسد إلا فى ائنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ٥٥٨/١ من طريق زهير ابن حرب عن سفيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه أحمد فى المسند ٨/٢ - ٩ من طريق أحمد عن سفيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب البر باب ماجاء فى الحسد ٣٣٠/٤ ح رقم ١٩٣٦ - من طريق ابن أبى عمر حدثنا سفيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الزهد باب الحسد ١٤٠٨/٢ ح رقم ٤٢٠٩ من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد ثنا سفيان إلا آخر سند البخارى ولفظه .

الله على سائِرِ خلْقِهِ » (١) . وأخرج مسلم فى صحيحه من حديث أبى أمامة الباهلى « اقْرَءُوا القُرآنَ فإنَّهُ يأتِى يَوْمَ القِيامَةِ شَفِيعا لِأصْحابِهِ » (٢) . وأخرج البيهقى من طريق عائشة عن النبىّ ﷺ « البَيْتُ الَّذى يُقْرأُ فِيهِ القُرآنُ يَتراءَى لأهْلِ السَّماءِ كما تَتَراءَى النُّجُومُ لِأهْلِ الأرْضِ » (٣) . وأخرج من حديث أنس « نَوِّرُوا مَنازِلكُمْ بالصَّلاةِ وَقِرَاءَةِ القُرآنِ » (٤) .

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب فضل القرآن باب رقم ٢٥ ١٨٤/٥ ح رقم ٢٩٢٦ حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا شهاب بن عباد العبدى حدثنا محمد بن الحسن بن أبى يزيد الهمدانى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ يقول الرب عز وجل من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته ... الخ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب . وأخرجه الدارمى فى سننه كتاب فضائل القرآن باب فضل كلام الله على سائر الكلام ٣١٧/٢ من طريق محمد بن الحسن الهمدانى عن عمرو بن قيس إلى آخر طريق الترمذى ولفظه ط ١ الفنية المتحدة سنة ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م تحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى المدنى .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٥٥٣/١ - حدثنى الحسن بن على الحلونى حدثنا أبو توبه وهو الربيع بن نافع حدثنا معاوية يعنى ابن سلام عن زيد أنه سمع أبا سلام يقول حدثنى أبو أمامة الباهلى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة قال معاوية بلغنى أن البطلة السحرة .

وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٣٩/٨ ح رقم ٧٥٤٤ من طريق أحمد بن خليد الحلبى ثنا أبو توبة إلى آخر طريق مسلم ولفظه .

(٣) أورده علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٤١٥/١ ح رقم ٢٢٩١ عن عائشة وعزاه إلى البيهقى .

(٤) أورده علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ح ١٥ ص ٣٩٢ ح رقم ٤١٥١٨ عن أنس . =

وأخرج من حديث النعمان بن بشير « أَفْضَلُ عِبادَة أُمَّتِى قِرَاءَةُ القُرآنِ » (١) . ومن حديث سَمرة بن جُندب « كُلُّ مُؤْدِبٍ يُحِبُّ أنْ تُؤْتَى مأدبَتُهُ ، وَمأدُبَةُ الله القُرآنُ فَلَا تَهْجُرُوهُ » (٢) . ومن حديث عبيدة المالكى مرفوعا وموقوفا « يا أَهْلَ القُرآنِ لا تَتَوَسَّدُوا القُرآن وَاتْلُوهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ وفى آناءِ اللَّيْلِ وأطْرَافِ النَّهارِ ، وَأفْشُوهُ وَتَدَبَّرُوا مافِيهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٣) اهـ منه . وفيه : وتسنّ القراءة فى الموضع النظيف وأفضله المسجد . وكره قوم القراءة فى الحمّام والطريق ، وقيل لا تكره ، وكرهها الشعبى فى بيت الرحا وهى تدور ، ويستحبّ للقارئ الجلوس مستقبلاً حال القراءة متخشعًا بسكينة ووقار مطرقا رأسه ، ويسنّ

= وقال الإمام المناوى فى فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦/٢٩٠ حديث رقم ٩٢٩١ ورمز له السيوطى بالضعف وضعفه المناوى أيضًا .ط التجارية الكبرى سنة ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .

(١) انظر علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ١/٢٢٦٤ عن النعمان بن بشير وعزاه إلى البيهقى .

(٢) علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ١/٥١٤ ح رقم ٢٢٨٦ عن سمرة بن جندب .

(٣) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الصلاة باب فى صلاة الليل ٢/٢٥٢ وعزاه إلى الطبرانى فى الكبير وفيه أبو بكر بن أبى مريم وهو ضعيف .

وأخرجه أبو نعيم فى ذكر أخبار أصبهان فى ترجمة الحسن بن محمد بن مزيد أبو سعيد ١/٢٦٠ قال أبو نعيم حدثنا أبى ثنا محمد بن أحمد بن مزيد ثنا أبو سعيد الحسن بن محمد بن مزيد ثنا هشام عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا أبو بكر بن أبى مريم عن المهاجر بن حبيب عن عبيدة الأملوكى عن رسول الله ﷺ قال يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته ثم ذكر الحديث تمامه .

وأورده علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ١/٦١١ حديث رقم ٢٨٠٣ عن عبيدة المليكى وعزاه إلى الطبرانى والبيهقى وأبو نعيم وابن عساكر .

الاستياك قبل القراءة تعظيمًا وتطهيرًا لقوله عليه الصلاة والسلام « نَظِّفُوا أَفْوَاهَكُمْ بِالتَّسْوِيكِ وَالتَّخْلِيلِ فَإِنَّهَا طُرُقُ القُرآنِ وَمَجَالِسُ المَلائِكَةِ »[(١)]. ويروى أن الله تعالى وكّل ملكًا بالقارئ إذا قرأ يجعل فاه على فيه إكراما للقرآن ، والملائكة عليهم الصلاة والسلام يتأذّون بالريح الكريهة أشدّ التأذّى ، ويتنعمون بالرائحة الطيبة ويحبونها كما فى الخبر « عَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ فَإِنَّهُ يُرْضِى الرَّحْمَنَ وَيُغْضِبُ الشَّيْطانَ وَيُطَيِّبُ النَّكْهَةَ وَيَشُدُّ اللِّثَةَ وَيَزِيدُ الفَصِيحَ فَصَاحَةً »[(٢)] اهـ منه بلفظه . وفيه أيضا : وتسنّ القراءة بالتدبر والتفهم ، لأنه المقصود الأعظم والمطلوب الأهمّ . قال علىّ رضى الله عنه : لا خير فى قراءة لا تدبر فيها ، لأن بالتدبر تنشرح الصدور وتستنير القلوب ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [سورة ص : ٢٩] وقال ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [سورة

---

(١) أخرجه الديلمى فى الفردوس بمأثور الخطاب ٢٤٨/٤ ح رقم ٦٧٣٣ وزهر الفردوس ١١٠/٤ قال أخبرنا كريمة بنت محمد بن عبد الواحد أخبرنا أبو طاهر الثقفى أخبرنا ابن المقرى حدثنا حاجب بن أبى بكر الفرغانى عن أحمد بن محمد العسقلانى عن مخلد السلمينى عن خالد الأحمر عن الوضين عن عطاء عن أنس مرفوعًا .

وأورده العجلونى فى كشف الخفاء ومزيل الألباس ٣٤٢/١ وأورده المنتقى الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٦١١/١ ح رقم ٢٨٠٤

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٠٨/٢ مسند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما - حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن عبد الله ابن أبى جعفر عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال عليكم بالسواك فإنه مطيبة للغم ومرضاة للرب .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الطهارة باب فى السواك ٢٢٠/١ عن ابن عمر وعزاه إلى الطبرانى وأحمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

والهيثمى فى مجمع الزوائد ٣١٤/٩ ح رقم ٢٦١٨٣ عن ابن عمر وعزاه إلى أحمد والطبرانى .

النساء : ٨٢] وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر فى معنى ما يلفظ به ، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهى مع اعتقاد قبول ذلك ، فإن مرّ على شئ مما قصر عنه فيما مضى من عمره اعتذر واستغفر وطلب الإقالة من الله تعالى ، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل ، أو آية عذاب أشفق وتعوّذ ، أو آية تنزيه نزّه وعظم ، أو آية دعاء تضرّع وطلب كما فى حديث حذيفة رضى الله عنه قال « صليت مع النبىّ ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها ، ثم آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلا إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ » (١) أخرجه

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ٥٣٦/١ - حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن نمير وأبو معاوية .

وحدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم ، جميعًا عن جرير ، كلهم عن الأعمش . ح وحدثنا ابن نمير واللفظ له حدثنا أبى .حدثنا الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن المستورد بن الأحنف عن صلة بن زفر عن حذيفة قال صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح آل عمران فقرأها ثم افتتح النساء فقرأها يقرأ مترسلًا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربى العظيم فكان فى ركوعه نحوًا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ثم قام طويلًا قريبًا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربى الأعلى فكان سجوده قريبًا قيامه .

وأخرجه النسائى فى سننه كتاب قيام الليل باب تسوية القيام والركوع والقيام بعد الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين فى صلاة الليل ١٢٥/٣ - ١٢٦ أخبرنا الحسين بن منصور قال ثنا عبد الله بن نمير إلى آخر طريق مسلم ولفظه .

وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده مسند حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ج ٥ ص ٣٩٧ من طريق عبد الله بن نمير إلى آخر طريق الإمام مسلم ولفظه .

مسلم فى صحيحه . ومن حديث عوف بن مالك قال « قمت مع النبىّ ﷺ ليلة فقرأ سورة البقرة لا يمرّ بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ » (١) رواه أبو داود والنسائى . وأخرج أبو داود فى مسنده والترمذى فى صحيحه « أنه ينبغى لمن قرأ والتينِ وَالزيْتُونِ فانتهى إلى آخرها أن يقول : بَلى وأنا عَلى ذلكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ . ومن قرأ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ فانتهى إلى قوله : أَلَيْسَ ذلكَ بِقادِرٍ على أنْ يُحْيِىَ المَوْتَى ، فليقل بلى . ومن قرأ : وَالمُرْسَلاتِ عُرْفًا ، فقرأ بأىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونُ ، فليقل : آمَنَّا بالله وَبِرَسُولِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَبِمَا أَنْزَلَ فى كِتابِهِ » . ومن حديث ابن عباس « أن النبىّ ﷺ كان إذا قرأ : « سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى ، قال : سُبْحانَ رَبِّىَ الأعْلَى » أخرجه أحمد وأبو داود فى صحيحيهما اهـ منه . وفيه أيضا وفى الصحيحين قراءة ابن مسعود على النبى ﷺ ، وفيه « وإذا عيناه تذرفان » وفى شعب الإيمان للبيهقى عن سعد بن مالك مرفوعا « إنَّ هَذَا القُرآنَ نَزَلَ بِحُزْن و كآبة فإذَا قَرأتُمُوهُ فابْكُوا ، فإنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَباكَوْا » أى اطلبوا البكاء من أنفسكم . وفى مرسل عبد الملك بن عمير « أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه يوما فقال لهم : إنى قارِئٌ عَلَيْكُمْ سُورَةً فَمَنْ بَكَى فَلَهُ الجَنَّةُ ، فإنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَباكَوْا » أى اطلبوا البكاء من أنفسكم . وفى مسند أبى يعلى « اقْرَءُوا

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة باب مايقول الرجل فى ركوعه وسجوده ١/٢٢٩ ح ٨٧٣ - حدثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب ثنا معاوية بن صالح ابن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الأشجعى قال قمت مع رسول الله : ليلة فقام فقرأ سورة البقرة ... ثم ذكره .

وأخرجه النسائى فى سننه كتاب التطبيق باب نوع آخر ٢/٢٢٣ من طريق الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس إلى آخر طريق أبو داود ولفظه .

القُرآنَ بالحُزْنِ فإنَّهُ نَزَلَ بالحُزْنِ » [(١)] . ومن حديث الطبرانى « أَحْسَنُ النَّاسِ قِرَاءَةً مَنْ إذَا قَرأَ القُرآنَ يَتَحَدَّثُ بِهِ » [(٢)] . ومن أسباب تحصيل البكاء التأمل واستحضار معانى مايقرأ من اللفظ : من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ، ثم يتفكر فى تقصيره فيها ، فإن لم يصبه عند ذلك حزن ولا بكاء ، فليبك على نفسه لبعده عن الحقّ والخشوع ، فإن ذلك مصيبة من المصائب ا هـ . وفيه : ويسنّ الترتيل فى قراءة القرآن كما يدلّ عليه قوله تعالـــى : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [سورة المزمل : ٤] ومن حديث أمّ سلمة أنها لما نعتت قراءة رسول الله ﷺ نعتت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا ، أخرجه أبو داود اهـ [(٣)] منه . ثم قال الشيخ سيدى

---

(١) انظر علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال باب الفصل الثالث فى آداب التلاوة ٦٠٦/١ عن بريدة وعزاه إلى أبى يعلى وأبو نعيم والطبرانى فى الأوسط .

ولم أقف عليه فى مسند بريدة من مسند أبو يعلى .

وأخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الأوسط ٢٧١/٣ ح رقم ٢٩٢٣ - حدثنا ابراهيم قال حدثنا اسماعيل بن سيف قال حدثنا عوين بن عمرو القيسى أخو رباح بن عمرو قال حدثنا سعيد الجريرى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ثم ذكره .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٦٩/٧ وفيه إسماعيل بن سيف وهو ضعيف .

(٢) أخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ٧/١١ حديث رقم ١٠٨٥٢ حدثنا عثمان بن يحيى بن صالح ثنا أبى ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن أحسن الناس قراءة من إذا قرأ يتحزن » .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٧٠/٧ وفيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف .

وعلاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٦٠٢/١ الفصل الثالث فى آداب التلاوة وعزاه إلى الطبرانى عن ابن عباس .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الوتر باب استحباب الترتيل فى القراءة ٧٤/٢ - ٧٥ ح ١٤٦٦ حدثنا بزيد بن خالد بن موهب الرملى ثنا الليث عن ابن أبى مليكة =

المختار الكنتى المذكور : ولا بأس باجتماع الجماعة فى القراءة ولا بإدارتها وهى بأن يقرأ بعض الجماعة قطعة ثم البعض قطعة بعدها اهـ منه . ولذا قال صاحبه عمليات فاس :

والذكر مع قراءة القرآن   جماعة شاع مدى أزمان

وقال العلامة سيدى محنض باب الديمانى التجانى رضى الله عنه :

وأنكروا الجهر والاجتماع   للذكر وهو جائز إجماعا

قد وقع الإجماع بعد الخلف   فيه فجاز اليوم دون خلف

وقد قال شيخنا الختم التجانى فى فضل التلاوة مانصه كما فى الكناش : وأما مرتبة الظاهر من باطن الباطن وهى تلاوة القرآن بالنظر للجمعية العظمى حيث لا أين ولا رسم ولا كيف ، إلا التغلغل الربانى والسرّ الصمدانى الذى لا يعقل ولا يعرف ولا تلحقه عبارة ولا تدركه

= عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته فقالت ومالكم وصلاته كان يصلى وينام قدر ماصلى ثم يصلى قدر مانام ثم ينام قدر ماصلى حتى يصبح ونعتت قراءته فاذا هى تنعت قراءته حرفا حرفا .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب فضائل القرآن باب ماجاء كيف كان قراءة النبى ﷺ ١٨٢/٥ ح ٢٩٢٣ حدثنا قتيبة حدثنا اللبث عن عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة إلى آخر طريق الإمام أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى تعليقًا على هذا الحديث هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد عن ابن أبى مليكة عن يعلى ابن مملك عن أم سلمة وأخرجه النسائى فى سننه كتاب قيام الليل باب ذكر صلاة رسول الله ﷺ بالليل ٢١٤/٣ من طريق قتيبة قال حدثنا الليث إلى آخر طريق أبو داود ولفظه .

وأخرجه أحمد فى المسند ٢٩٤/٦ من طريق أحمد ثنا الليث بن سعد إلى آخر طرق أبو داود ولفظه .

وآخر الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ٤٠٧/٢٢ ح رقم ٩٧٧ من طريق ابن جريج حدثنى أبى عن ابن مليكة .

إشارة ، وصاحب هذه المرتبة للقرآن يستوعب جميع ماذكر به ربنا على ألسنة العوالم من الأزل إلى الأبد ، ولا تعرف لهذه المرتبة كيفية ولا تعرف لها غاية ولا تدرك لها نهاية ، وهى مرتبته ﷺ دون غيره فقط فى تلاوته القرآن . وأما ثواب القرآن فهو على مراتب بحسب مراتب الخلق مرتبة المحجوب ، فليست مرتبة هذا أيضا كمرتبة الذى فتح عليه فى أسرار الولاية الصغرى ، وليست مرتبة هذا الولىّ الصغير كمرتبة العارف الذى وصل مرتبة الصديقية وليست مرتبة العارف الذى وصل مرتبة الصديقية فيها كمرتبة القطب الفرد الجامع ، فلكل مرتبة من هذه المراتب حدّ تنتهى إليه فى ثواب تلاوة القرآن ، ولكل مرتبة منها ظاهر وباطن ، فظاهر المرتبة هو ما ذكر فى الحديث على كون من قرأ القرآن على غير وضوء له بكل حرف عشر حسنات ، وإن كان متوضئا فى غير صلاة فله بكل حرف خمسة وعشرون حسنة ، وإن كان متوضئا فى صلاة جالسا فلكل حرف خمسون حسنة ، وإن كان فى الصلاة قائما فبكل حرف مائة حسنة ، فهذه هى مرتبة الظاهر ، وأما مرتبة الباطن فلا يبلغها حدّ ولا قياس ولا ينتهى إليها قدر ولا مقدار ولا يبلغ كنه وصفها أحد من كافة الخلق أبد الآبدين ، فإن الحرف الواحد منه لو جمعت الأذكار كلها والأسماء والصفات والحسنات وجميع العبادات من أوّل الدهر إلى آخره مابلغ ذلك كله قدر حرف واحد منه فهذه هى المرتبة الباطنة .

وهذا آخر ما أردنا جمعه فى هذا الفصل ، والله تعالى الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

الباب الثانى

وفيه ثلاث فصول

الفصل الأول

وهو الفصل الرابع من فصول الكتاب

فى ذكر الفيضة التجانية وما قال صاحبها وما قال رجال طريقته بعده رضى الله عنه ، وما يؤيد ذلك من الكتاب والسنة

فأقول : قد تواتر بين أصحاب الشيخ الختم التجانى رضى الله عنه وتداول فى كتب المؤلفين فى طريقته أن الشيخ رضى الله عنه قال : تأتى فيضة على أصحابى حتى يدخل الناس فى طريقنا أفواجا أفواجا . تأتى هذه الفيضة والناس فى غاية مايكونون عليه من الضيق والشدّة . قال صاحب الإفاضة : وكان يعنى بالفيضة أن يكثر الفتح على أصحابه وكان يستبعد زمنها . وقال شيخنا رضى الله عنه كما فى رسالة الفضل والامتنان لمؤلفها الخليفة سيدى على حرازم برادة رضى الله عنه . إن مما ضمنه له رسول الله ﷺ أن يبقى مدده فى مريديه إلى قيام الساعة ، وأن تكون طريقته فى بنى آدم أزيد من عشرة آلاف طريق ، كل من تلامذته كل طريق لتلميذ من تلامذته ، وكل طريق تتفرّع على طرق كثيرة من المعرفة ، ثم تتفرّع كل طريق أيضا على طرق إلى قيام الساعة ، وأن تكون فى الجنة أزيد من عشرين ألف طريق تتفرَع بفروع كثيرة إلى قيام الساعة ، لا تنقطع أبدا حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير

الوارثين ، وخاصية الورد باقية إلى قيام الساعة مادام يتلى ويذكر اهـ كلام شيخنا رضى الله عنه . وهذه الفيضة التى ذكر شيخنا قد تكلم أصحابه وخلفاؤه وورثة أسراره بعده عليها . وكثير منهم ادّعاها لنفسه وقد تكلموا فيها فوقع فى كلامهم اضطراب . وقد وقفت على أسئلة سأل عنها العلامة أحمد بن محم العلوى رضى الله عنه الشيخ عمر الفوتى رضى الله عنه ، منها السؤال الثالث من قول الشيخ رضى الله عنه : تأتى فيضة على أصحابى حتى يدخل الناس فى طريقتنا أفواجا أفواجا ، تأتى هذه الفيضة والناس فى غاية مايكونون عليه من الضيق والشدّة ، هل أتت هذه الفيضة أم هى باقية ؟ ونصّ جواب الشيخ عمر رضى الله عنه : وأما الفيضة فأرجوا من الله إليكم أن يكون المراد بها أنا العبد الفقير والإمام الفاطمى رضى الله عنه اهـ كلامه بلفظه ووقفت على زيادات زادها السيد العربى بن السائح رضى الله عنه على أجوبة الشيخ عمر وقال فيها : وأما قوله فى الجواب الثالث عن قول سيدنا رضى الله عنه : تأتى فيضة الخ ، فأرجو الخ ، فقد رأينا أصحاب الشيخ الكبار الذين أدركناهم يختلفون فيها ، هل وقعت أم لا ؟ وكان بعض من مال إلى أنها وقعت يقول : هى التى وقعت ببلاد شنجيط على يد الشيخ محمد الحافظ رضى الله عنه وكان الآخرون يقولون : إنها لم تقع لأنّ الشيخ قال : يدخل الناس فى طريقتنا أفواجا ولم يخصّ بلدا ولا إقليما بذلك . والكلّ متفقون على أن يستبعد زمنها والذى نتعقله فيما بلغنا عن الشيخ أنها إلى الآن لم تقع ، وإنما يكون وقوعها عند ظهور المنتظر حيث تصير الطرق طريقا واحدة ، والله أعلم .

قلت : قد دخل الناس فى الطريقة أفواجا ، ولعلّ نسخ الطرق إذا لم يبق واحدة منها من يصلح للتربية ، وقد شوهد فى هذا الزمن من الضيق

والشدّة مالم يشاهده كثير من الكبار الذين أدركناهم ، والذى وقع من كثرة الفتح فى أصحاب الشيخ والمعرفة بالله والاستغراق فى الله برفض كل ماسواه ماوقع فى طريقتنا قط فيما أعلم منذ بروزها إلى يومنا هذا . و(ذلك فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ ، والله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) وقد ادّعاها لنفسه العارف بالله سيدى محمد الحافظ بن خير العلوى فى نظمه ، وأشار إلى بعض أوصاف صاحبها وطلبها ، فقال :

هب أننى أنا الذى قد ظهر   من الألى أمرهم قد اشتهر
وصاحب الفيضة آخر الزمان   وفائق الرجال فى علم القرآن
وأفردنى فى الثلاثين سنه   وأيقظ القلوب بى من السّنه

إلى آخر نظمه . وقد ادّعاها لنفسه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر شيخى وسيدى الحاج عبد الله بن الحاج رضى الله عنه ، فقد قال إنه كوشف له عن الفيضة ورآها لنفسه وصار يطلبها فى كل من وجد من التلامذة ، ولما علم بقرب وفاته رضى الله عنه ولم تقع علم أنها تبقى فى تلامذته ، فصار يكثر التقديم حرصا على التوسط فيها وذلك سبب جولانه ، وقال فى ذلك أشياء لاتكتب فى الأوراق ولا تنظر بالأحداق .

وأما الدلائل من الكتاب فقد قال تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٦] وقال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] الآية ، وقال ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٨٩] وقال ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ﴾ [سورة الجمعة : ٣] وقال ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [سورة النصر : ١] الخ ، وقال ﴿ وَيَخْلُقُ مالا تَعْلَمُونَ ﴾ فهنا إشارات لمن نوّر الله بصيرته تؤيد ماتقدّم ، وإليك استخراجه ، وسلم تسلم . وأما السنة فقد قال رسول الله ﷺ : « سَيأتى زمانٌ للعاملِ فِيهِ أجْرُ خَمْسِينَ ،

قالوا : منا أو منهم يارسول الله ؟ قال : بلْ مِنْكُمْ » (١) وقال « لا تزال طائفة » الحـــديث المتقدم ، وقال « أمتى كالمطر » وقد تقدم الكلام عليه مستوفى ، وقال « خَيْرُ أُمَّتِى أَوَّلُهَا وآخِرُها ، وفى الوَسَط الكَدَرُ » وقال « والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيُدْرِكَنَّ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فى أُمَّتِى خَلَفًا مِنْ حَوَارِيِّهِ » وغير ذلك من الأحاديث التى لو جلبناها وما يتعلق بها من الكلام لاحتجنا إلى مجلد ، وإن لم تدرك ياأخى حقائق الآيات المستجلبة والأحاديث ، فلا يصدّنك ذلك عن تلقيها بالقبول . قال شيخنا رضى الله عنه كما فى جواهر المعانى : فعليك يا أخى بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ، ولا تتوهم فيما يُفسرون به الكتاب والسنة ، أن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن لظاهر الآية أو الحديث مفهوم

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الملاحم باب الأمر والنهى ١٢١/٤ ح رقم ٤٣٤١ - حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود العتكى قال ثنا ابن المبارك عن عتبة بن أبى حكيم قال حدثنى عمرو بن جارية اللخمى حدثنى أبو أمية الشعبانى قال سألت أبا ثعلبة الخشنى فقلت يا أبا ثعلبة كيف تقول فى هذه الآية « عليكم أنفسكم » ؟ قال أما والله لقد سألت عنها خبيرًا سألت عنها رسول الله ﷺ فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوًى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك - يعنى بنفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام [الصبر] الصبر فيه مثل قبض الجمر للعاقل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله » وزادنى غيره قال يارسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال أجر خمسين منكم .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير باب تفسير سورة المائدة ٢٥٧/٥ - ٢٥٨ ح رقم ٣٠٥٨ حدثنا سعيد بن يعقوب الطلقانى حدثنا عبد الله بن المبارك إلى آخر طريق أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الفتن باب قوله تعالى يا أيها الذين امنوا عليكم أنفسكم ١٣٣٠/٢ - ١٣٣١ ح ٤٠٤١ من طريق صدقة بن خالد حدثنى عتبة بن أبى حكيم إلى آخر طريق أبو داود - وبنحو روايته .

بحسب الناس وتفاوتهم فى الفهم ، فمن المفهوم ماجلب له الآية أو الحديث ودلت عليه فى عرف اللسان ، وثم أفهام آخر باطنة تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله عليه ، إذ قد ورد فى الحديث النبوى « إن لكل آية ظاهرا وباطنا وحدًّا ومطلعا إلى سبعة أبطن وإلى سبعين »(١) فالظاهر هو المعقول والمنقول من العلوم النافعة التى تكون بها الأعمال الصالحة ، والباطن هو المعارف الإلهية والمطلع هو معنى يتحد فيه الظاهر والباطن ، والحدّ يكون طريقا إلى الشهود الكلى الذاتى ، فافهم يا أخى ولا يصدّنك عن تلقى هذه المعانى الغريبة عن فهوم العموم من هذه الطائفة الشريفة قول ذى جدل ومعارضة : إن هذا إحالة لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فإنه ليس ذلك بإحالة ، لو قالوا لا معنى للآية الشريفة أو الحديث إلا هذا الذى قلنا ، وهم لم يقولوا ذلك بل يقرّون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ، ويفهمون عن الله تعالى فى نفوسهم ما يفهمهم بفضلة ويفتحه على قلوبهم برحمته ومنته الخ انظر الجواهر .

قلت : والحكمة فى ظهور هذه الفيضة فى هذا الزمان الفاسد ضعف الإيمان فى قلوب الناس ، وكثرة الفرق الضالة والمضلة ، وهذه الأمة أمة مرحومة فأفيضت إليهم المعارف والحقائق كى يرجعوا لأصل فطرة الإيمان فافهم . وقال فى ذلك الشيخ الأكبر سيدى المختار الكنتى فى الكوكب الوقاد مانصه : قال إمام الحرمين : لما ثارت الفرق الضالة وكثرت كان من حفظ الله بهذه الأمة المحمدية صيانة عقولهم فى التوحيد عن اكتفائهم بالتقليد ، فحقق العرفان فى أسرارهم بجميل التأييد ، وليس الحفظ كل الحفظ أن يحفظ العبد فى نفسه من البلاء ، وإنما الحفظ كل الحفظ أن يحفظ قلبه من الأهواء اهـ . وإذا فهمت هذا

---

(١) ورد بلفظ آخر . أورده الإمام السيوطى فى كتابه الإتقان ١٨٤/٢ - فصل كلام الصوفية فى القرآن عن الحسن وعزاه إلى الفريابى فى كتابه وهو كتاب مازال مخطوطا .

فاعلم أن المرء يدرك بالتوحيد مقاما يظنه من لاذوق له مجنونا وماهو بمجنون ويتوهم من لا فهم له أنه زنديق وما هو إلا صدّيق .

وقال الشيخ سيدى المختار رضى الله عنه : روى عن الجنيد أنه قال : من عبدَ الله ووحده حقّ توحيده استعبده وأوحده واختاره لنفسه وأفرده عن أبناء جنسه وجعله فردانيا يطلب فردانيا ، وما جنّ مجنون من العارفين إلا بتحسى خمرة الجلال ، ففى جلالته تاه المحبون ، وفى جمالاته تحير العارفون ، وبكمالاته أتحف الواصلين ، فهو ترجمان الأسماء ومنبع الآلاء وجماع جميع الأسماء ، فالمحبون فى جلالته مختلفون فى أحوالهم متباينون ، فمنهم من يغلب على عقله لكثافة أنوار حاله فيظهر التخليط فى أفعاله ، فيظنه من لاذوق له مجنونا وما هو بمجنون ، ويتوهم من لافهم له أنه زنديق وماهو إلا صدّيق ، ولكنه شرب فسكر . ولا عدوان إلا على الظالمين ، ولذا قال بعضهم فى وصف الحال :

وقل للذى ينهى عن الوجد أهله
إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
فإنا إذا طبنا وطاشت عقولنا
وخامرنا خمر الغرام تهتكنا
فلا تلم السكران فى حال سكره
فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا
أنلزمها بالصبر وهى مشوقة
وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى
أيا حادى العشاق قم واحد قائما
وزمزم لنا باسم الحبيب وروّحنا

وصن سرّنا فى سكرنا عن حسودنا
وإن أبصرت عيناك شيئا فسامحنا
يحرّكنا ذكر الأحاديث عنهم
ولولا هواهم فى الحشا ما تحرّكنا
ألم تبصر الطير المقفص يافتى
إذا ذكر الأوطان حنّ إلى المغنى
ففرّج بالتغريد مابفؤاده
فتضطرب الأحشاء للحسّ والمعنى
كذلك أرواح المحبين يافتى
تحرّكها الأشواق للعالم الأسنى

وقال يحيى بن معاذ الرازى : لو دارت ألسنة العارفين مع الناس كما تدور قلوبهم مع الله لقيل إنهم مجانين ، وأنشدوا :

حيث ما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا
ما جننا وما بنا من جنون بل شربنا مدامة فسكرنا

قال : ويخصّ المقرّبين بمزيد توحيد يكفى فى التعبير عنه قول القائل :

قيل لى هل رأيت أحسن منها قلت هل فى الوجود شئ سواها

قلت : فلو تتبعت مالنا وللقوم من الإشارات فى التوحيد ، لأدّى بنا إلى الخروج عما نحن بصدده . فلنصرف العنان إلى الكلام فى الفيضة ووقوعها وما قال مشائخ الطريقة المعتبرون الموجودون فى زمننا ، فأقول : قال لى الشيخ الهمام ، والعارف الإمام السيد عبد الله بن الحاج العلوى : تأتى الفيضه على يدك حقيقة لا مجازا ، وترى من الحسد مالم

ير أحد قبلك ، وقال لى : أنت كبير الطريقة التجانية فى زمنك . وأشياء كلّ قلمى عن كتبها حياء . وهو كلامه يبرز من حسن ظنه بربه وبعباده ، ولعله يرى فى حال ثان ، وإلا فما أنا إلا عبد جانٍ متلطخ بالجرائم والأوزار ، وممن جزم بوقوع الفيضة التى ذكرها الشيخ العارف بالله من افتخر بطلعته جيد الزمان ، وتحلى بما يزدرى حلى الدرّ والمرجان ، ويشار له بالولاية العظمى بكلّ بنان ، الفانى فى محبة مولاه الرحيم الرحمن ، وغاص فى بحور حضرات خير بنى عدنان ، وتوّج من أسرار الختم بأحسن التيجان ، السيد محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الملقب بيد حسان الطريق :

أسامى لم تزده معرفة وإنما لذّة كتبناها

ومنهم السيد الأجلّ والعلامة المبجل صاحب السرّ الأقدس والمقام الأنفس الخلف بعد السلف محمد عبد الرحمن بن الحاج العلوى المتقدّم الذكر . ومنهم العلم الأشهر والبدر المنير الأزهر ، والشيخ الأكبر والكبريت الأحمر من لايشكّ اثنان فى ولايته لسعة معارفه وصلاحه وروايته ودرايته محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ رضى الله عنه . وأما الشيخان الأكبران والسندان الأشهران الخليفتان الشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ رضى الله عنهم ، والشيخ محمد الأمين بن أحمد بن محمد حسان الطريق رضى الله عنهما فما صرّحا كتصريح هؤلاء لكنهما أقرّانا على مانحن عليه ، وحمدا الله على مابلغهما وأمدّانا بالدعاء وبكلّ مدد متعنا الله بهما . ومما قلت منذ أعوام قبل ظهور الفيضة :

وتأتى قريبا فيضة الختم هيئوا بتفريغ أغيار فتحظى بموضع

الخ ، وقلت :

ذلك البرزخ ذاك السر ر والفيض حبانى

وقلت فى قصيدة طويلة أمدح بها الشيخ رضى الله عنه ومطلعها :

صاح قف بى للمغانى أستبن دور الغوانى

ولنتمّ هذا الفصل بثناء العلماء على هذه الفيضة وأهلها ، قال العالم العلامة والدراكة الفهامة القاضى المشهود له بالتبربز وكمال التمييز سيدى محمد عبد الله ابن المصطفى العلوى :

أمسجد إبراهيم أسست للتقوى وأرضك لا تأثيم فيها ولا لغوا

لصحب أبى العباس فيك تحلق تنال من العليا به الرتبة القصوى

مدينتك الغرّاء خير مدينة لكلّ غريب فى جوانبها مأوى

وللدّين نشر لا يزال بطيها وللشئ حظّ فى الذى فى اسمه يطوى

ويؤخذ منها بالبديهة أنها لمنها يرى للدين فى الوسط المثوى

نزلنا بها والحال ذات تكدّر فصار الذى نلقاه من كدر صفوا

ومن خلفاء الشيخ فيها خليفة مدى الدهر لم يدرك له مدرك شأوا

يدير على شرب كئوس محبة ولا سكر عند ذاك منهم ولا صحوا

إذا هم بأذكار المهيمن هينموا يكاد لهم يهتزّ من طرب رضوى

يرومون من بحر المعارف حسوة ويشفى صداهم ماينالونه حسوا

وقد تقتضى الأحوال صحة ماادّعوا وما كل حال تقتضى صحة الدعوى

عليك بشيخ القوم واسلك سبيله ولا تنح إلا مايكون له نحوا

بدت من أبى العباس فيه خلافة قفا أمره فى كلّ مسئلة قفوا

فأصحابه يملى عليهم معارفا ويملؤهم فقها ويملؤهم نحوا

ومن كان هذا فى البرية وصفه فما مثله فى الناس يوما ولا عدوا

إليكم بها حسناء بنت ضحية   تفوه بما شاءت لديكم وما تهوى
ومن كلّ عيب فى القوافى تبرأت   فما كان فيها من سناد ولا إقوا
لذلك جدوى فى عواقب أمرها   وما الأمر إلا بالعواقب فى الجدوى
صلاة وتسليم على سيد الورى   «محمد» المبعوث ليس له شروى

وله أيضا زيد فيضا :

السعد طالعكم بكلّ زمان   والبرج برج سعادة وأمان
ياشمس دين الهاشميّ لك الهنا   فإليك مرجع سائر الأديان
أعنى أبا إسحاق غرّة دهره   ساقى الرجال بأكؤس العرفان
ماهو إلا هو صاحب وقته   وعلى يديه فيضة التجانى
وإذا عرضت على القرائن حاله   فيها إليه يشير كلّ بنان
عجب له بحر تضمن أبحرا   من فيض ربّ العرش والأكوان
فمن الحقيقة فيه بحر زاهر   ومن الشريعة فيه بحر ثان
للفقه فيه مع الأصول ونحوها   وفروع كلّ منهما بحران
وكذا المعانى واللغات وما حوته   من البديع ومنطق وبيان
وضحت براهن ما أقول وإنما   صدق المقال بواضح البرهان
لازالت الأوقات منه دائما   معمورة بالذكر والقرآن
وتحفه حلق على سنن أتوا   مثل الحمام على نواضربان
من كلّ أورع ذى أناة كيس   كلف بما يعنيه ثبت جنان
فإليه تجذبه العناية إنما   جذب العناية مثل جذب عنان
لا يطبيه عنه ذكر أحبة   كلا ولا أهل ولا أوطان
وإذا به عنه يشطّ مزاره   أبدًا تراه دائم الهيمان
لكن إذا ذكر الإله وجدته   متمايلا كتمايل النشوان

لازال من بين البرية صيته ... يعلو على الجوزاء والدبران
فكفاك ربك يا أبا إسحاقنا ... شرّ العداوة من ذوى العدوان
وشرور أرباب الضغائن والخنا ... وشرور ذى حسد وذى طغيان
وحباك أيضا باتباع « محمد » ... ومكارم الأخلاق والإحسان
وبحبّ أرباب العلوم وعلمهم ... وبحبّ من للشيخ من إخوان
ثم الصلاة مع السلام على النبى ... يتعاقبان تعاقب المَلوان

وقال نسيج وحده من لا يرام شأوه لبعده ، العلامة الأوحد ، والكوكب الأسعد محمد عبد الرحمن بن السالك بن باب العلوى :

السرّ سرّ الشيخ فى مدينا ... فاختارها الله لنا موطنا
واختاره حليا لها إنها ... نالت منى تجلو وجوه المنا
فاسلك طريقها تصل واستلم ... أركانها والشأن إن تركنا
إن زائرا تنل بها مطلبا ... أو خائفا تجد بها مأمنا
ديدن إبراهيم هدى الورى ... ولم ين العلم له ديدنا
أذعنت النفس له يافعا ... وقد غدا له الهوى مذعنا
بحاله وماله قد شرى ... من ألسن اللسن جميل الثنا
يبنى على الرفع بيوت العلا ... والرفع قد قل عليه البنا

وله أيضا زيد فيضا :

أيها الشيخ كعبة الآداب ... عرفات الأوطار والآراب
معدن العلم منبع السرّ مرمى ... أعين الزائرين والطلاب
ثمرة السودد المؤثل والمجد ... ومفتاح باب كلّ حجاب
لست مرتابا فى خلافتك ... الشيخ ولا مصغيا إلى مرتاب
أنت لبّ اللباب ممن يربى ... وقليل فى الناس لبّ اللباب

آمر بالمعروف ناه عن المنكر ... داع للحقّ لين الجناب
مرشد لم يخب مريدك سعيا ... فى ذهاب كلا ولا فى إياب
مفرد جمع حاضر غائب مستتر ... ظاهر مصيب الصواب
أسأل الله أن يعيرك دهرا ... ملجأ للملهوف والمنتاب
أسأل الله فى العوافى لقاء ... بيننا بعد ذا وحسن مآب
وصلاة من الإله على خير ... البرايا والآل والأصحاب
والرضا عن حقيقة السرّ معنا ... ه ممدّ الأغواث والأقطاب

قلت : وهؤلاء هم مشايخ الإسلام ، ورجال طريقتنا فما عداهم عيال لهم ، وكلهم أقرّوا بوقوع الفيضة على يد العبد الجانى جامع هذا المجموع المبارك التجانى ، فأنشد لسان حالى :

ماكنت أهلا وهم رأونى ... أهلا لذاك فصرت أهلا

وهؤلاء الذين وقعت فيهم هذه الفيضة وشغلهم دائما الله ورسوله والشيخ التجانى ، استغرقهم الشيخ استغراقًا كليا فلا يفعلون إلا له وبه ، وهم القائمون بتعمير زواياه بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار بالذكر والصلاة على قدوتهم العظمى ووسيلتهم الأسمى ، وتتبع سنته وأخلاقه وآثاره وآدابه ، قد عيرهم أهل الغفلة الذين لم يرفعوا لشأن الإمام رأسا ، وليس لهم من التجانية إلا مجرّد الأخذ بأنهم ليسوا بالتجانيين ، فاستغربت ضحكا وأقول كما قال الشاعر المعرّى :

إذا عير الطائىّ بالبخل مادر ... وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت صغيرة ... وقال الدجا للبدر ضوءُك آفل
فياموت زر إنّ الحياة ذميمة ... ويانفس جدّى إن دهرك هازل

ومع ماتقدّم من تضافر العلامات والآيات لم يدعها فى هذا الزمن من

مشائخ الطريقة المعتبرين أحد . نعم قد وقع بعض ذلك فى مبادى الأمر حكمة من الله تعالى . قال زروق : ماظهرت حقيقة قط فى الوجود إلا قوبلت بدعوى مثلها . وإدخال ماليس منها عليها ، ووجود تكذيبها . كل ذلك ليظهر فضل الاستئثار بها وتبيين حقيقتها بانتفاء معارضيها ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ ﴾ [سورة الحج : ٥٢] وللوارث نسبة من الموروث ، وأشدّ الناس بلاء الأنبياء فالأولياء ثم الأمثل فالأمثل ، إنما يبتلى الرجلُ على قدر دينه ، فمن ثم كان أهل هذه الطريق مبتلين بالإنكار بتسليط الخلق عليهم بإذايتهم أوّلا ، وباكرامهم وسطا ، وبهما آخرا لئلا يفوتهم الشكر على المدح والصبر على الذّم ، فمن أراد ذلك فليوطن نفسه على الشدّة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ﴾ [سورة الحج : ٣٨] ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ [سورة الطلاق : ٣] فافهم .

وفى الرماح مانصه : وفى البحر المورود أخذ علينا العهد أن نوطن نفوسنا إذا طلبنا أن نكون من حزب الله عزّ وجلّ على تحمل البلايا والمحن و كثرة الإنكار علينا ممن عرفنا وممن لم يعرفنا ، وذلك لأنه لابد لكلّ أحد أراد الحقّ تعالى اصطفاءه أن يحصل له شئ من ذلك ساء أو برّ ؛ ثم لا يخفى عليك يا أخى أن سبب وقوع غالب الناس فى أعراض القوم كون أحدهم يطلب أن يكون من أهل حضرة الله تعالى ، وهو يحرم دخولها على من يراعى المقام عند الخلق ، فلذلك يسلط الله تعالى على أحدهم الخلق بالزور والبهتان وتمزيق الأعراض حتى يصير لا يركن لأحد من الخلق دون الله تعالى ، فإذا كان كذلك اعتمد على الله تعالى ضرورة وطلب المقام عنده ، وهناك يعطيه الله تعالى ثم يترقى بعد ذلك فى درجات التقرّب إلى المحلّ الذى قسمه الله تعالى له ، وما دام العبد

يطلب مقاما عند الخلق فهو محجوب عن الله تعالى ، وكلما ازداد فى الصفات الخبيثة تزايد حَجبا ، حتى إنه ربما يحجب عن الله بسبعين ألف حجاب أو أكثر . وقال : سمعت عليا الخوّاص رحمه الله تعالى يقول : لايصطفى الحقّ تعالى عبدا حتى تتحزّب عليه شياطين الإنس والجنّ ويرموه بالزور والبهتان ، فإذا نفرت نفسه عن الخلق وصار لا يركن إلى أحد منهم اصطفاه الله تعالى اهـ .

وقال : وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى يقول : لما علم الله تعالى ماذا يقول الناس فى أنبيائه وأصفيائه من الزور والبهتان ، قضى على قوم بالشقاء والعياذ بالله تعالى ، فجعلوا له زوجة وولدا وقالوا ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [سورة المائدة : ٦٤] ونحو ذلك ، حتى إذا ضاق ذرع الولىّ مثلا من كلام قيل فيه : نادته هواتف الحقّ عزّ وجلّ : أما لك أسوة بربك سبحانه تعالى ، وقد جعلوا له زوجة وولدا ونسبوه إلى مالا يليق بجلاله ، غارقين فى فضله وأرواحهم بيده ، فلا يسع ذلك الولىّ إلا التأسى بربه عزّ وجلّ اهـ . وكان الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله تعالى يقول : قد جرت سنة الله تعالى فى أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الأذى فى ابتداء أمرهم ثم تكون الدولة لهم آخرا إذا صبروا ، وقد بسط الكلام على ذلك فى مقدّمات الطبقات فافهم ، والله تعالى يتولى هداك ا هـ . وفى عرائس البيان عند قوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى ﴾ [سورة المائدة : ١٩] أن القوم إذا لم يذوقوا مرارة إيذاء المنكرين لم يبلغوا حقائق الالتجاء إلى الله تعالى والفرار إليه ، فإذا الأضداد تهيج الأولياء إلى مقام الغيظ وضيق الصدر ، وذلك محل الامتحان من الله تعالى لكظم غيظ غصص المنكرين ، لتنفتح بعد ذلك أبواب الخطاب وصفاء البسط ومرور المنة . قال

الجنيد : جزى الله عنا إخواننا خيرا ، ردّونا بجفائهم إلى الله تعالى ، وهذه سنة الله تعالى قد جرت على أهل سلوك طريق المعارف والكواشف ، وقال الله تعالـى : ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب : ٦٣] . قال : وفى القواعد الزروقية ، ثم ذكر ماتقدّم من كلام سيدى زروق ، ثم قال : وإذا تحرّى هذا وثبت فهمه فى ذهنك ، فاعلم أن الرجل مبتلى على حسب دينه كما تقدّم ذكره ، فلكلّ نبىّ وصدّيق عدوّ ، فقد كان لآدم إبليس ، ولداود جالوت ولإبراهيم نمروذ ، ولموسى فرعون ، ولعيسى بختنصر والدجال واليهود ، ولسيدنا محمد أبو جهل وغيره . قال أبو علىّ الخوّاص : لو كان كمال الدعاء إلى الله تعالى موقوفا على إطباق الخلق لهم بالتصديق لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ والأنبياء قبله ، وصدّقهم قوم فهداهم الله تعالى بفضله ، وكذّب آخرون فأشقاهم الله تعالى بعدله ، وللأصفياء والأولياء أعداء فى عصر الصحابة إلى وقتنا هذا ، يؤذونهم ويتكلمون فيهم بسوء ، ودليل هذا كله قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً ﴾ [سورة الفرقان : ٢٠] ولما كان الابتلاء شرفا جمع الله تعالى لخواصّ هذه الأمة من البلاء والمحن جميعا ما كان متفرّقا فى الأمم السالفة لعلوّ درجتهم ، فقد كان عبد الله بن الزبير كثير الخشوع فى الصلاة قالوا فيه : إنه مراء زان ، وصبوا على رأسه ماء حميمًا وهو ساجد وهو لا يشعر ، ومكث زمنا يتألم من رأسه . وكان لابن عباس رضى الله عنهما نافع بن الأزرق يقول : إنه يفسر القرآن بغير علم . وكان لسعد بن أبى وقاص بعض جهال الكوفة يؤذونه ويقولون إنه لا يحسن أن يصلى . وقد نفى أبو يزيد البسطامى من بلده سبع مرّات بأمر الحسين بن عيسى لما تكلم أبو يزيد بعلوم لا عهد لأهل بلده بها فى مقامات الأنبياء والأولياء ، ولم يعد

البسطامى إلا بعد الحسين ، ثم بعد ذلك ألفه الناس وعظموه . وكذلك ذو النون المصرى أخرجوه من مصر إلى بغداد مقيدا مغلولا ، وسافر معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة . وأخرجوا محمد بن الفضل البلخى من بلخ لكون مذهبه مذهب أهل الحديث من إجراء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل ولا تجسس على علم الله تعالى فيها ؛ ولما أخرجه أهل بلخ قال لهم : نزع الله من قلوبكم معرفته ، ولم يخرج بعد ذلك صوفى من بلخ مع أنها كانت أكثر بلاد الله صوفية . وكذلك شهدوا على الجنيد بالكفر ، كان يتكلم فى علم التوحيد على رؤوس الأشهاد فصار يقرره فى قعر بيته . وعقدوا على الشيخ ابن أبى جمرة مجلسا فى الردّ عليه حين قال أنا أجتمع بالنبىّ ﷺ فلزم بيته ولم يخرج إلا إلى الجماعة حتى مات ورموه بالكفر وبالقول بإباحة الخمر واللواط ، وأنه لبس فى الليل الغيار وهو يشبه الزنار ، وأتوا به مقيدا مغلولا من الشام إلى مصر . ورموا أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية إلى تلمسان فمات ودفن بها . وأخرجوا الحكيم الترمذى حين صنف كتابه علل الشريعة وكتاب خَتْم الأولياء ، وأنكروا عليه بسبب هذين الكتابين ، وقالوا : فضل الأولياء على الأنبياء وأغلظوا عليه ، فجمع الكتابين كليهما وألقاهما فى البحر فابتلعتهما سمكة سنين ثم لَفَظتهما وانتفع بهما ورموا سعد بن عبد الله بالقبائح وأخرجوه إلى مصر حتى مات . ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم والكفر بألفاظ وجدوها فى كتبه . ورموا يوسف بن الحسين بالعظائم إلى أن مات ، لكنه لم يبال بهم لتمكنه . وأخرجوا أبا الحسن البوسنجى إلى نيسابور فلم يزل بها حتى مات . ورموا سحنون المحبّ بالعظائم ، ورشوا بغيا فادّعت أنه كان يأتيها هو وأصحابه . وشهدوا على الشبلى بالكفر مرارا ، حتى إن من كان يحبه شهدوا عليه

بالجنون وأدخلوه المارستان ليرجع الناس عنه . وقال أحد مشائخ بغداد : لو لم تكن لله تعالى جهنم لخلقها للذين آذوا الشبلى وكفروه ، وقال : إن لم يدخل الشبلى الجنة فمن يدخلها ؟ وأخرج أهل المغرب الإمام أبا بكر القابسى من المغرب مقيدا إلى مصر ، فأخذ وسلخ حيا وهو يقرأ القرآن بتدبر وخشوع ، وكاد أن يفتتن به الناس فرفع الأمر إلى السلطان فقال : اقتلوه واسلخوه . وكذا سلخوا النسفى بحلب وكان ينظر إلى الذى يسلخه ويتبسم ، وعمل خمسمائة بيت من موشحات التوحيد وهم يسلخونه وذلك حين يقطعهم بالحجج ، فاحتالوا له بأن كتبوا سورة الإخلاص فى ورقة وخاطوا عليها نعلا ، فأهدوها إلى الشيخ من طريق بعيدة فلبسها وهو لا يشعر ، وقالوا لنائب حلب : إن النسفى كتب قل هو الله أحد وجعلها طباق نعله ، فبعث النائب إليه فاستخرج الورقة ، فسلم الشيخ لله تعالى ولم يذبّ عن نفسه ، وعلم أنه لابدّ أن يقتل على تلك الصورة . وأخرجوا أبا القاسم البهرباذى من البصرة وأبا عبد الله صاحب أبى حفص الحدّاد . وشهدوا على أبى الحسن البصرى بالكفر . وتكلموا فى ابن شمعون بالكلام الفاحش حتى مات فلم يحضروا له جنازة ، وتكلموا فى الإمام أبى القاسم بن جميل بالعظائم إلى أن مات ولم يتزلزل عما فيه من الاشتغال بالعلم والحديث وصيام الدهر وقيام الليل وزهده فى الدنيا حتى لبس الحصير . وقال أبو بكر السمطانى : كان أبو دينار يحطّ على الجنيد وعلى رويم وعلى سحنون وابن عطاء الله وعلى مشائخ العراق ، وكان إذا سمع واحدا يذكرهم تغيظ وتغير . وأخرجوا أبا الحسن الشاذلى من المغرب إلى مصر ورموه بالزندقة والإلحاد وتحليل المحرّمات . وقتلوا الإمام أبا القاسم بن قسى وابن حيان والجونى والمرجانى ، وما زالوا ينكرون على ابن العربى الحاتمى

وابن الفارض إلى وقتنا هذا ، وعقدوا على عزّ الدين بن عبد السلام مجلسا فى كلمة قالها فى العقائد . وحسدوا تقىّ الدين بن الليث الأعزّ وزوّروا عليه كلاما فى السلطان حتى همّ بقتله ثم تداركه الله تعالى . وقال السيوطى : ومما منّ الله تعالى علىّ به أنه أقام لى عدوّا يؤذينى ويمزّق عرضى لتكون لى أسوة بالأنبياء والأولياء ، واعلم أنه ماكان كبير فى عصر إلا كان له عدوّ من السفلة ، إذ الأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف اهـ . وكان سيدى أبو الحسن رضى الله تعالى عنه يقول : لما علم الله عزّ وجلّ ماسيقال فى هذه الطائفة على ما سبق به علم القديم بدأ سبحانه وتعالى بنفسه ، فقضى على قوم أعرض عنهم بالشقاء ، فنسبوا له زوجة وولدا وفقرا ، وجعلوه مغلول اليدين ، فإذا ضاق ذرع الولىّ والصديق لأجل كلام قيل فيه من كفر وزندقة وسحر وجنون وغير ذلك نادته هواتف الحقّ تعالى : الذى قيل فيك هو وصفك لولا فضلى عليك ، أما ترى إخوانك من بنى آدم كيف وقعوا فى جانبى ونسبوا إلىّ مالا ينبغى ، فإن لم ينشرح لما قيل فيه بل انقبض نادته هواتف الحقّ أيضا : أما ذلك فىّ أسوة ، فقد قيل فىّ مالا يليق بجلالى . وقيل فى محمد ﷺ وفى إخوانه من الأنبياء والرسل مالا يليق بمرتبتهم من السحر والجنون ، وأنهم لا يريدون بدعائهم إلا الرياسة . قلت : وابتلى الشيخ الختم التجانى رضى الله عنه بابن مايابى ، فقد ألف كتابا مشحونا بسبه والافتراء عليه ولعنه وتكفيره وتضليله هو وأصحابه رضى الله عنهم ، وما حمل جلامدة الفقهاء على الإنكار على الأصفياء إلا الحسد . وقد قال العلامة زروق كما فى تأسيس القواعد ما نصه : معنى الحسد يرجع للمضاعفة ، ومقصد الحاسد إتلاف عين المحسود عليه من حسده ، فإذا كانت الفضائل فى النفوس كان الحسد فى أعيانها والعمل فى

إتلافها ، ومن ثم اختلفت أغراض الحاسدين ومقاصدهم فلا ينسب حاسد للعامة لمثله فى السوق ونحوه إلا الخيانة والغشّ ونحو ذلك ، ولا حاسد الجند إلا عدم الاحترام وقلة القيام بالحقوق ونحوه ولا حاسد الفقهاء والقرّاء إلا الكفر والضلال ونحوه ليتلف ذاته وفضيلتها المستدامة بدعوى ما يتلفها ويستدام ، ولا حاسد الفقراء إلا وجود الحيل والمخادعات ، وأنه صاحب ناموس ونحوه إلى غير ذلك مما يطول ذكره فافهم اهـ .

وهذا آخر الفصل ، والله سبحانه الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

الفصل الثّانى

وهو الفصل الخامس من فصول الكتاب
فى أن علوم الأذواق المستند فيها على الكتاب والسنة

فأقول - وبالله تعالى التوفيق وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :

قال الشعرانى فى أوّل طبقاته ما نصه : مقدّمة فى بيان أن طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة ، وأنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء ، وبيان أنها لاتكون مذمومة إلا إن خالفت صريح القرآن والسنة والإجماع لا غير وأما إذا لم تخالف فغاية الكلام أنه فهم أوتيه رجل مسلم ، فمن شاء فليعمل به ، ومن شاء تركه نظير الفهم فى ذلك الأفعال ، وما بقى باب للإنكار إلا سوء الظنّ بهم وحملهم على الرياء ، وذلك لايجوز شرعا .

ثم اعلم يا أخى رحمك الله أن علم التصوّف عبارة عن علم انقدح من قلوب الأولياء حتى استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل به انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حتى عملوا بما علموا من أحكامهم ؛ فالتصوّف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة إذا خلا من عمله العلل وحظوظ النفس ، كما أن علم المعانى والبيان زبدة علم النحو ؛ فمن جعل علم التصوّف علما مستقلا صدق ، ومن جعله عين أحكام الشريعة صدق ؛ كما أن من جعل علم المعانى والبيان علما مستقلا صدق ، ومن جعله من جملة علم النحو صدق ، لكن لا يشرق على ذوق أن علم التصوّف يتفرّع من عين الشريعة إلا من تبحر فى علم الشريعة حتى بلغ الغاية ، ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه

أعطاه الله هناك قوّة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حدّ سواء ، فيستنبط فى الطريق واجبات ومندوبات وآداب ومحرّمات ومكروهات ، وخلاف الأولى نظير مافعله المجتهدون ، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئا لم تصرّح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولىّ الله تعالى حكما فى الطريق لم تصرّح الشريعة بوجوبه كما صرّح بذلك اليافعى وغيره ؛ وإيضاح ذلك أنهم كلهم عدول فى الشرع اختارهم الله عزّ وجلّ لدينه ، فمن دقق النظر علم أنه لايخرج شئ من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، وكيف تخرج علومهم من الشريعة وهى وصلتهم إلى الله عزّ وجلّ فى كل لحظة ، ولكن أصل استغراب من لاله إلمام بأهل الطريق أن علم التصوّف من عين الشريعة كونه لم يتبحر فى علم الشريعة ، ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى : علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة ؛ ردّا على من توهم خروجه عنهما فى ذلك الزمان وغيره ، وقد أجمع القوم على أنه لايصلح للتصدّر فى طريق الله عزّ وجلّ إلا من تبحر فى الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها ، وتبحر فى لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك ، فكلّ صوفى فقيه ولا عكس ، وبالجملة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم . وكان القشيرى يقول : لم يكن عصر فى مدّة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبرّكوا به ، ولولا مزية وخصوصية للقوم لكان الأمر بالعكس اهـ منه بلفظه . وقال سيدى على القارى فى شرح الشفاء فى قوله قال النبىّ ﷺ « مَنْ أحْدَثَ فى أمْرِنا » (١) ولمسلم

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الصاع باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٢/١٧٧ ح ٢٦٩٧ =

« مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا » وفى رواية « مَنْ أَدْخَلَ فى دِينِنا » وهو كذلك ، وفى أخرى « فى أَمْرِنا هذا » على ما فى رواية صحيحة : أى هذا الأمر الواضح الكامل الذى لايحتاج إلى زيادة إحداث ما ليس منه : أى شيئا لم يكن له من الكتاب والسنة عاضد ظاهر أو خفىّ ملفوظ أو مستنبط ، وفى نسخة « ما ليس فيه فهو » أى ذلك المحدث أو ذلك الشئ المحدث « ردّ له » مردود غير مقبول ، وهذا الحديث أصل فى الاعتصام بالكتاب والسنة وردّ الأهواء والبدعة اهـ منه بلفظه . وقد صحّ أن سيدنا عليا كرّم الله وجهه قال : لو شئت لأوقرت ثمانين بعيرا من علوم النقطة التى تحت الباء ، ذكره الإمام الشعرانى فى الميزان ، وذكر لنفسه أنه ذكر فى كتابه الذى سماه بالجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون نحو ثلاثة آلاف علم ، قال : وأخفيت فى طيه مواضع استنباطه من الآيات غيرة على علوم الله أن تذاع بين المحجوبين . قال الشعرانى : وقد أخذه الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ عبد الحقّ ، فمكث عنده شهرا وهو ينظر فى علومه ، فعجز عن معرفة موضع استخراج علم واحد ، فقال لى : وضعك هذا الكتاب فى هذا الزمان لأىّ شئ ؟ فقلت : وضعته نُصرة لأهل الله تعالى ، لكون غالب الناس ينسبهم إلى الجهل بالكتاب والسنة ، فقال لى : أنا أقول فى نفسى : إنى عالم مصر والشام والحجاز والروم والعجم ، وقد عجزت عن معرفة استخراج نظير

= ومسلم فى صحيحه كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣ ح رقم ١٧١٨ من طريق ابراهيم بن سعد إلى آخر سند البخارى ولفظه .

وفى الباب عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه ٧/١ عن عائشة بنفس رواية البخارى .

علم واحد منه من القرآن ولا فهمت مما فيه شيئا ، ومع ذلك فلا أقدر على ردّه من كل وجه ، لأن صولة الكلام الذى فيه ليست بصولة كلام مبطل ولا عامى اهـ منه بلفظه .

قلت : قال الله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [سورة النحل ٨٩] وقال تعالى : ﴿ مافَرَّطْنا فى الكتاب مِنْ شيئ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مالا تَعْلَمُونَ ﴾ . وانظر إلى جواب سيدنا علىّ كرّم الله وجهه لما سأله أبو جحيفة : هل عندكم كتاب خصكم به رسول الله ﷺ ؟ قال لا ، إلا كتاب الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [سورة الإسراء : ١] . انظر صحيح البخارى [1] . وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول : حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين : أما أحدهما فبثثته لكم ، وأما الآخر فلو بثثته قطع منى هذا البلعوم . وفى تذييل الشيخ

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب كتابة العلم ٧٣/١ ح ١١١ - حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا وكيع عن سفيان عن مطرف عن الشعبى عن أبى جحيفة قال قلت لعلى هل عندكم كتاب قال لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو مافى هذه الصحيفة قال قلت فما فى هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الديات باب ماجاء لا يقتل مسلم بكافر ٢٤/٤ - ٢٥ ح رقم ١٤١٢ حدثنا أحمد بن منيع حدثنا هشيم أنبأنا مطرف عن الشعبى حدثنا أبو جحيفة قال قلت لعلى يا أمير المؤمنين هل عندكم سوداء فى بيضاء ليس فى كتاب الله ؟ قال : قال والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ماعلمته إلا فيهما يعطيه الله رجلاً فى القرآن ومافى الصحيفة قلت وما فى هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر - وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه الإمام النسائى فى سننه كتاب القسامة باب سقوط القود من المسلم للكافر من طريق سفيان عن مطرف إلى آخر طريق الترمذى ولفظه ج ٨ ص ٢٣ .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٧٩/١ بنفس طريق النسائى ومثل رواية الترمذى .

سيدى المختار رضى الله عنه : وكان يعنى أبا هريرة يقول : أخذت عن رسول الله ﷺ جرابَىْ علم ، أما أحدهما فقد بثثته ، وأما الآخر فوالله لو قلت منه كلمة واحدة لقطعتم هذا البلعوم (١) قبل أن أتمها ، وفى مثل ذلك يقول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

يارُبَّ جوهر علم لو أبرح به ... لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحلّ رجال مسلمون دمى ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

لأن الحقائق الربانية لا يستطيع حمل أعبائها إلا من أهله الله لذلك وشرح صدره لما هنالك ، إذ لايقدر على حملها إلا نبىّ كريم أو ولىّ حكيم . قال جعفر الصادق : لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة . فلاطفه الحقّ غاية الملاطفة ، إذ يقول : (فأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَاأَوْحَى) [سورة النجم : ١٠] أى فكان ماكان وجرى ماجرى ، وقال الحبيب للحبيب ما يقوله الحبيب للحبيب ، فخفى السرّ إذ عظم الأمر ، ولذلك لم يطلع عليه أحد ، فلم يعلم ما أوحى إلا الذى أوحى . فأبهمه لعظمه لأن الإبهام لايقع إلا للتعظيم فهو مبهم لايطلع عليه أحد ، بل يتعبد بالإيمان به ، وقيل بل علمه النبىّ ﷺ لخواصّ أمته أهل وراثته ، فهو العلم اللدنى وهو الذى لايحاط بكنهه ولا يطيق حمله إلا أهله من أقطاب هذه الأمة الشريفة . وذكر الفخر الرازى عن والده قال : سمعت أبا القاسم سليمان الأنصارى يقول : لما وصل محمد ﷺ إلى الدرجة العالية والمراتب الرفيعة فى المعارج أوحى الله تعالى إليه : يامحمد تمّ

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب حفظ العلم ١/٧٥ ح ١٢٠ حدثنا اسماعيل قال حدثنى أخى عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال حفظت عن رسول الله ﷺ ثم ذكره .

شرفك ، قال : يارب بنسبتى إليك بالعبودية . قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [سورة الإسراء : ١] فسماه الله تعالى بهذا الإسراء عبدا لتحققه ﷺ بالاسم الأَعْظَم ، فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة إلا له ﷺ وللأقطاب من بعده من أمته تبعا لا حقيقة ، ويطلق على غيرهم مجازا دون حقيقة ، وفى رواية (لَمَّا خَلَوْتُ بِرَبى أَوْحَى إلى ثَلاثَ عُلُوم : عِلْمٌ أَخَذَ عَلَيَّ العَهْدَ بِكِتْمانِهِ إذْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لا يُطِيقُ حَمْلَهُ غَيْرِى ، وَعِلْمٌ أَمَرَنِى بِتَبْلِيغِهِ لِخَواصِّ أُمَّتى وَهُمْ أَبْدَالُ الأَنْبياءِ ، وَعِلْمٌ أَخَذَ عَلَيَّ العَهْدَ بِتَبْلِيغِهِ للعامِّ والخَاصِّ ، وَعَلَّمَنى القُرْآنَ فَلَقَدْ عَاجَلْتُ جِبْرِيلَ فى آيَةٍ مِنْهُ فعاتَبَنى ربى فَقالَ - ﴿ وَلا تَعْجَلْ بالقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ وفى رواية « فَلَمَّا أَدْنانِى رَبى حَتَّى كُنْتُ كما قال تعالى : قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ؛ قالَ : وَسأَلَنى رَبى فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُجِيبَهُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ بِلا تَكْيِيفٍ وَلا تَحْدِيدٍ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَها عَلى فُؤَادى فأَوْرَثَنى علْمَ الأَوّلينَ وَالآخِرين وَعَلَّمَنى علُومًا شَتَّى ، فَعِلْمٌ أَخَذَ عَلَيَّ العَهْدَ بِكِتْمانِهِ إذْ عَلِم أَنَّهُ لا يُطِيقُ حَمْلَهُ أَحَدٌ غَيْرِى ، وَعِلْمٌ خَيَّرَنِى فِيهِ ، وَعَلَّمَنى القُرْآنَ ، فكانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يُذَكِّرُنِى بِهِ ، وَعِلْمٌ أَمَرَنِى بِتَبْلِيغِهِ للعامِّ والخَاصِّ مِنْ أُمَّتى ، أخرجه من رواية أبى هـريرة اهـ . قلت : قال الله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١١٥] وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء : ٨١] وقال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٨] وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ﴾ [سورة غافر : ١٢] وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الحديد : ٣] وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى

ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [سورة فصلت : ٥٣] وقال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [سورة طه : ٥] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [سورة الزخرف : ٨١] وقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [سورة النساء : ٨٠] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الفتح : ١٠] وقال تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [سورة الأنفال : ١٧] وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ﴾ [سورة آل عمران : ٣١] وقال تعالى : ﴿ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [سورة محمد ٢] وقال تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الفتح ٢٨ ، ٢٩] الآية وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء : ٦٩] وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٣٣] وقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة يوسف : ١٠٥] وقال تعالى : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات : ٢١] وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه « كُنْتُ كَنْزًا لَمْ أُعْرَفْ فأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ ، فَخَلَقْتُ خَلْقًا فَتَعَرَّفْتُ لَهُمْ فَبِى عَرَفُونى »(١) وقال « فإذَا أحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ » وقال « كانَ اللهُ

---

(١) أورده العجلونى فى كشف الخفاء ١٩١/٢ وقال العجلونى قال القارى لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات : ٥٦] أى ليعرفونى كما فسره ابن عباس رضى الله عنهما والمشهور على الألسنة كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فبى عرفونى وهو واقع كثيرًا فى كلام الصوفيه .

وأورده ابن عراق فى كتابه تنزيه الشريعة ١٤٨/١

وَلا شَئْ مَعَهُ » وقال عليّ : وهو الآن على ما عليه كان . وقال : « أصدق كلمة قالها الشاعر . كلمة لبيد :

ألا كلّ شئ ما خلا الله باطل »

وقال أيضا فيما يرويه عن ربه : « لَم تَسَعْنِى أرْضِى ولا سَمائى وَوَسِعَنِى قَلْبُ عَبْدِى المُؤْمِنِ » (١) وهذه الآيات والأحاديث فيها أمور لا تذكر وأسرار لا تفشى .

ستكفيك من ذاك الجمال إشارة ودعه مصونا بالجلال محجبا

آخر :

ومستخبر عن سرّ ليلى رددته بعمياء على ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن خبرتهم بأمين

آخر :

وإذا لم تر الهلال فسلم لأنـاس رأوه بـالأبـصـار

وهذا آخر ما أردنا جمعه فى هذا الفصل ، والله الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

---

(١) أورده الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين « اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين » ٢٣٤/٧ كتاب عجائب القلب باب بيان أمثال القلب بالإضافة إلى العلوم.

وأورده العجلونى كشف الخفاء ٢٧٣/٢ وقال ذكره الغزالى فى الإحياء .

وأورده ابن عراق فى تنزيه الشريعة ١٤٨/١

الفصل الثالث

وهو الفصل السادس من فصول الكتاب
فى مدار التربية فى الطريقة التجانية

فأقول – وبالله التوفيق وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :

مدار التربية التجانية دائرة على قطبين : الأوّل إقامة الصلوات الخمس بشروطها . والثانى الصلاة على النبىّ آناء الليل وأطراف النهار بنية امتثال الأمر والتعظيم والإجلال والمحبة ، وهذا بعد التزام الورد اللازم الذى يصحّ به قوام تجانيتك . قال الشيخ الأجلّ والقدوة المبجل أبو المواهب السيد العربى بن السائح كما فى البغية مانصه : ومدار التربية والتزكية فى طريقتنا هذه المحمدية الشريفة المرضية على إقامة الورد الأصلى المعلوم الذى لايصحّ الدخول فيها بدونه لأحد من الخصوص ولا من العموم وكذا توابعه من الأذكار المشمولة باللزوم معه وهى الوظيفة المعروفة وذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة بالمحافظة فى جميع ذلك على الشروط المشروطة والآداب التى هى بغاية الحسن ونهاية الكمال منوطة وآكد الشروط وأعظمها المحافظة على الصلوات الخمس بآدابها على الحدّ المحدود لها شرعا بقدر الإمكان واستكمال شروطها وآدابها ، وتمام جميع مالها من الأركان ، ثم عمارة ما يقدر على عمارته من الأوقات والساعات بالصلاة على النبىّ ﷺ خصوصا بصلاة الفاتح لما أغلق التى هى من أسمى الذخائر وأسنى البضاعات على طريق المحبة والشكر والاعتماد على الفضل المحض الذى ليس إلا عليه فى بساط التحقيق المعوّل من غير التزام خلوة ولا كثرة مجاهدة ولا غير ذلك مما

اصطلح عليه فى التربية من بعد الصدر الأوّل إذ هذه هى طريقة سيدنا رضى الله عنه التى سلكها وأمره بالتسليك بها سيد الوجود ومنبع الإمداد والجود ﷺ . وفى جواهر المعانى أنه ﷺ بعد ما أعلم سيدنا رضى الله عنه بأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى والممدّ له على التحقيق ، وصرّح له بأنه هو كفيله ومربيه دون غيره من مشائخ الطريق ، وأخبره أنه لامنة لواحد منهم عليه ، لأن جميع ما يصله من الله تعالى فعلى يده ﷺ بوساطته ومنه إليه ، قال له فى وصيته التى أوصاه بها : الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى تصل مقامك الذى وعدت به وأنت على حالك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة اهـ . ويرحم الله تعالى العارف البوصيرى رضى الله عنه حيث قال فى داليته :

والفضل ليس يناله متوسل
بتورّع حرج ولا بتزهد
إن قيل ذاك هو الدواء فقل له
كحل الصحيح خلاف كحل الأرمد
يمشى المصرف حيث شاء وغيره
يمشى بحكم الحجر مشى مصفد

وقال فى الجواب الشافى : فلم يبق لمن ساقه سائق السعادة إلى الدخول فى هذه الطريق الأحمدية وجذبه جاذب العناية إلى الانخراط فى سلك أهل هذه السلسلة المحمدية ، وأهّله الله تعالى بفضله بمشاهدة هذه الخصوصية العظمى ، وأوقعه بجوده على هذا الكنز الأعظم والذخر الأسمى ، إلا أن يلقى القياد إلى هذا الأستاذ الأعظم . ويختم على بابه ويعكف على أعتابه على طريق المحبة والتسليم وسلب الإرادة له

والتحكيم ، ويداوم على ورده المحمدى الشريف بالمحافظة التامة على شروطها المشروطة ، والوقوف بغاية الجهد عند حدوده المضبوطة حتى يأذن الله تعالى له بالفتح وهو على حاله من غير خلوة ولا مجاهدة ولا غير ذلك من وجوه الرياضات المعروفة فى اصطلاح من بعد الصدر الأوّل ، فإنه إن داوم عليه على الوجه الموصوف إما أن يفجأه الفتح أو يهجم عليه هجوما ، وإما أن يمنّ الله تعالى عليه برفع الحجاب عن عينى قلبه فيصير يجتمع بروحانية الشيخ رضى الله عنه أو روحانية النبىّ ﷺ ، فتكون تربيته بطريق الاستفاضة من أحدهما أو منهما معا ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] وما فى جواهر المعانى من اشتراط استحضار صورة الشيخ رضى الله عنه ، أو صورة النبىّ ﷺ حال ذكر الورد يشير إلى هذا المعنى لمن قدر على ذلك ، وقد بسط الكلام فى ميزاب الرحمة الربانية فى بيانها ، وإما أن يقيض الله له أخا فى الطريق يقوم بأعباء تربيته ، يشهده الله تعالى سرّ خصوصيته ، ويزيل بينه وبينه حجاب بشريته ، فيسير به إلى الله تعالى فى سرّه وعلانيته اهـ منه بلفظه .

ومن كان فتحه على الوجوه المذكورة يكون نوره تاما ، لأن الفتح بحسب المتبوع كما قال الشيخ زروق : فتح كل أحد ونوره على حسب فتح متبوعه ونوره ، فمن أخذ عن نصوص الكتاب والسنة ، ففتحه ونوره تامّ إن تأهل لأخذه منهما ، ولكن فاته نور الاقتداء وفتحه ، ولذلك تحفظ الأئمة عليه حتى قال ابن المدينى رحمه الله : كان ابن مهدى يذهب لقول مالك ، ومالك يذهب لقول سليمان بن يسار ، وسليمان يذهب لقول عمر بن الخطاب ، فمذهب مالك إذًا مذهب عمر رضى الله عنه . وقال الجنيد رحمه الله : من لم يسمع الحديث ويجالس

الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدّبين أفسد من اتبعه ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [سورة يوسف : ١٠٨] الآية ، وقال عزّ من قائل ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٣] الآية ، فافهم . ولا بأس أن نورد هنا بعض أشعارنا فى هذا المحطّ لما اشتملت عليه من الإشارات التى تربى الصادق ، بعضها فى حقّ السالك ، وبعضها فى حقّ المجذوب ، فمن ذلك قولنا :

نصيحة من يلقى إلىّ المسامعا ... ويبغى صراط المتهدين مسارعا
ليأخذ طريق الشيخ من إذن أهله ... وليسوا سواء واصحبن متابعا
وما الورد إلا استغفروا ثم هللوا ... وصلوا على المختار وارع المجامعا
بشرط حضور القلب مقطوع نظرة ... عن الخلق واحفظ فى النصيحة سامعا
ولا تعتمد إلا على فضل ربنا ... لما فيك من عجز فما أنت نافعا
بذاك شهود لامتنان إلهنا ... فلا تلف ذا عجب لسعى فخاضعا
وتحسين ظنّ بالإله محتم ... وفوّض إليه الأمر ولتك خاشعا
صلاة وتسليم من الحقّ دائما ... لأوّل موجود وآخر جامعا

ولنا أيضا :

فدع عنك المغانى والغوانى ... ودع عنك الموائد والمبانى
وصاحب كل قرم حاز جمع الشر ... يعة والحقيقة غيروان
أخا ورع وزهد ليس يلفى ... له همّ يزيد على التفان
وحاذر من هوى نفس وحاذر ... أخا ميل له مرّ الأوان
وملكه القياد وأنت تدرى ... بأنّ ما فوقه فى الشأن ثان
تحقق أنه قد دك جهرا ... وأوصله المقدّس بالتدانى
وقربه وقدّسه ونادى ... له بالإذن مقول كلّ دان

ليهنئك الوصول متى تراه ورؤيته أعزّ لدى العيان
صلاة الله يصحبها سلام على المختار من تال وثان

ولنا أيضا :

أوصيكم معاشر الأقران بالصبر والصفح عن الإخوان
بالقيل والقال فلا تشتغلوا وبصلاة الفاتح القلب اشغلوا
فلتعلموا بأنّ ما يشاءُ إلهنا يكون لا تشاءوا

ولنا أيضا :

عليكم بالنفوس إذا اهتديتم فما ضرّ المرشد ذو الضلال
ومهما قيل أنتم فى ضلال كفى علم المهيمن ذى الجلال
وإن صرم الوصال أخو وصال وواصلنا المهيمن لا نبال
وإن تمرر بلغو كن كريما فما نقص الكلام أخا الكمال

ولنا أيضا :

محمد بن ملك فلتذكرا أورادنا والقلب منك احضرا
واخرج من الخلق جميعا والأثر ولتطلب المولى سواه خِلّ ذر
نصيحة تغنيك وهى تغنى كل المريدين فهاك عنى

ولنا أيضا :

أوصيك يامجذوب أن لا ترحلا خواطرا سوى إلى الحقّ علا
لا ترحلن من عدم لعدم فإن ذاك فعل مجنون عمى
فإنما ذا العالم السفلى طرّا كذاك العالم العلوى
ما فيه من نفع ولا من ضرر لقيا المؤثر بترك الأثر
عليك بالله فلا تشتغل بما سواه إن ذا تقوى الولى
ما الشأن فى كشف المكونات ولا اطلاع بالمغيبات
فالله أقرب وأعلى وأجلّ فلتصرف الأوقات فى الإله جلّ

وصلين على الرسول المصطفى   له الوسيلة له قبل اصطفا
صلى عليه الله ما تجلى   فى قلب من زكا إذا تخلى

ولنا أيضا :

يا أيها المجذوب إن لم تسلك   فأنت أبتر فويك فاسلك
وأيها السالك إن لم تجذب   فأنت محجوب فسائر وانصب
وإنما الكامل من قد جمعا   بين المقامين فهذا من سعى
جعلنا الله من الذينا   قد جذبوا حقا ويسلكونا
بجاه نجل الحاج عبد الله   مرشد كلّ غافل ولاه
إمام أهل الفيضة التجانى   فى عصره وحجة العرفان
وجاه ختم سلكنا التجانى   وجاه جدّه النبىّ العدنانى
صلى عليه الله سرمدا أبد   من أزل الأزل فالله أحد

ولنا أيضا :

فلا ينبغى للواصلين تصدّر   قبيل وجود الإذن فالسرّ يستر
ويعجبنى الصمت الطويل فإنه   دليل على العرفان والحال مخبر
ولا خير فى التعبير فى كل محفل   قد انتقل الإسرار من حيث يجهر
رعانا إله العرش بالسرّ سرّه   عليه صلاة الله فهو المدبر

ومن أراد شيئا زائدا على هذا فعليه بمصاحبة الرجال ، وخدمة أهل الكمال .

وهذا آخر ما أردنا جمعه فى الفصل . والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

* * *

البَابُ الثالث

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأوّل

وهو الفصل السابع من فصول الكتاب
فى التحذير من الإنكار على أهل الخصوصية
ومن يجوز له الإنكار

فأقول – وبالله التوفيق وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :

ومما يجب أن يفرّ عنه ويحذره من يشفق على نفسه ودينه ، الوقيعة فى أولياء الله تعالى ومعاداتهم والإنكار عليهم ، والتماس معائبهم ، وتتبع زلاتهم ، ونفى الخصوصية التى منحهم الله بها حسدا وبغضا ، فإن هذا مرتعه وخيم وجزاؤه عذاب أليم ، فإن الجزاء فيه كما قالوا : الحرمان والخسران وسوء الخاتمة لمحاربة القهار الذى هو الشديد البطش . قال الشعرانى : ماأنكر أحد شيئا أخبر به أهل الكشف إلا حرمه ولو بلغ الغاية فى السلوك عقوبة له . ونقل عن شيخه سيدى محمد المغربى أنه قال : إذا أراد الله أن يسلب إيمان عبده عند الموت سلطه على ولىّ من أوليائه فيؤذيه . قلت : وهذا الذى ذكر هو سوء الخاتمة بعينه ، فقد قال الغزالى فى الإحياء : فإن قلت إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الخاتمة ، فما معنى سوء الخاتمة ؟ فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين : إحداهما أعظم مَن الأخرى ؛ فأما الرتبة العظيمة الهائلة أن يغلب على القلب عند

سكرات الموت وظهور أهواله إما الشكّ وإما الجحود ، فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشكّ ، فيكون ماغلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى أبدا ، وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب المخلد . والثانية وهى دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حبّ أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك فى قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى للقلب فى تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه فى تلك الحال ، فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه إلى الدنيا وصارفا وجهه إليها ، ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ، ومهما حصل الحجاب نزل العذاب ، إذ نار الله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين عنه اهـ منه . ويؤيد هذا الكلام قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [سورة المطففين ١٥ - ١٦] . وقال فى الطرائف والتلائد : وقد جرّبنا فلم نجد فقيها ينكر على الصوفية إلا ويهلكه الله وتكون عاقبته وخيمة . وقال فى لطائف المنن : ومن كلام سيدى على الخوّاص رضى الله عنه : فكما أنه يجب الإيمان بالأنبياء كلهم وتصديقهم ومحبتهم كذلك الأولياء ، ومن اعتقد الأولياء كلهم إلا واحدا بغير عذر شرعى فقد كذب بالجميع وبارز الله بالمحاربة ، ومن ردّ دعوة ولىّ فقد ردّ دعوة نبىّ اهـ . وقال الشعرانى رحمه الله : وقع ابن اللبان فى حقّ سيدِى أحمد البدوى فسلب القرآن العظيم والعلم والإيمان ، فلم يزل يستغيث بالأولياء حتى دلّ على سيدى ياقوت العرشى فمضى إلى قبر سيدى أحمد البدوى وكلمه وأجابه وقال له : أنت أبو الفتيان رد على هذا المسكين رأس ماله ، فقال : بشرط التوبة ، فتاب وردّ عليه رأس ماله . ثم قال : وأخبرنى شيخنا الشناوى أن شخصا أنكر حضور مولد سيدى أحمد البدوى ،

فسلب إيمانه فلم تكن شعرة منه تحنّ إلى الإسلام ، فاستغاث بسيدى أحمد . فقال : بشرط أن لاتعود ، فقال نعم ، فردّ عليه ثوب إيمانه ثم قال : ماذا تنكر ؟ قال : اختلاط الرجال بالنساء ، فقال سيدى أحمد : ذلك واقع فى الطواف ولم يمنع منه أحد اهـ . وقال اليدالى ناقلا عن ابن حجر : وفيما آل إليه أمر النفر الثلاثة الذين زاروا الغوث أكبر زاجر وأبلغ رادع عن الانتقاد على الأولياء . والنفر الثلاثة : إمام الطريقة سيدى عبد القادر الجيلانى وهو يومئذ شاب ، وابن السقاء ، وإمام الشافعية أبو سعيد عبد الله بن أبى عصرون ، وقصتهم مشهورة لا نطيل بها . ومن وقع فى عرض ولىّ ولم يعاجل بمصيبة فلا يحكم له بالسلامة من انتقام الله منه ، فقد تكون مصيبته أعظم بأن يصاب فى دينه . قال ابن عطاء الله : قد تكون عقوبته قسوة فى قلبه أو جمودا فى عينه ، أو تعويقا عن طاعته ، أو وقوعا فى معصيته والعياذ بالله تعالى . وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن وصية وإرشادا : إياك أيها الأخ أن تصغى إلى الواقعين فى هذه الطائفة والمستهزئين لئلا تسقط من عين الله وتستوجب المقت من الله ، فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق والإخلاص وإخلاص الوفاء ومراقبة الأنفاس مع الله ؛ قد سلموا قيادهم إليه وألقوا أنفسهم سلما بين يديه ، وتركوا الانتصار لأنفسهم حياء من ربوبيته لهم ، واكتفوا بقيوميته فقام لهم بأوفى مايقومون به لأنفسهم وكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم ، والغالب لمن غالبهم ؛ ولقد ابتلى الله سبحانه هذه الطائفة بالخلق خصوصا أهل علم الظاهر ، فقلّ أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولىّ معين ، بل يقول لك نعم نعلم أن الأولياء موجودون ولكن أين هم فلا تذكر له أحدا إلا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه ، طلق اللسان بالاحتجاج عاريا من وجود نور

التصديق ، فاحذر ممن هذا وصفه ، وفرّ منه فرارك من الأسد ، جعلنا الله وإياك من المصدّقين بأوليائه بمنه وكرمه إنه على كل شئ قدير اهـ .

وذكر صاحب الرماح المشهود له بالتبحر فى علمى الشريعة والحقيقة والتبريز فيهما أتمّ تبريز ما نصه : ومن قبائح الإنكار على الأولياء أن المنكرين مقتفون آثار اليهود والمشركين والمنافقين ، فلاشكّ أن الله تعالى يعاقبهم بمثل ما عاقبهم به لاتصافهم بصفاتهم . ومنها إيثارهم صحبة الفسقة الفجرة من العصاة المخالفين المعاندين . ومنها أنهم يقولون إن الذى عليه الملوك والظلمة وأعوانهم هو الدين القيم والصراط المستقيم ، وما عليه علماء الآخرة والكرام البررة الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ يريدون وجهه هو الطريق المعوجّ السقيم ، ويزعمون أن ما عليه أهل العوائد الذميمة والبدع القبيحة التى توارثها من كان فى الضلال القديم هو الذى عليه رسول الله ﷺ وحزبه الصميم . ومنها الداء العضال الذى صدّ اليهود عن اتباع سيد الوجود ﷺ لخوف سقوط رياستهم وهو الحسد ، قال تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [سورة النساء : ٥٤] وقال ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾ [سورة آل عمران : ٢٣] الآية . تأمل كلام هذا القطب الفوتى الجليل المقدار تراه كشف أحوال المنكرين نجانا الله من بلواهم اهـ .

وفى البحر المورود : أخذ علينا العهود أن لا نكذّب الصالحين إذا أخبرونا بشئ تحيله عقولنا إلا إذا عارض نصا شرعيا ، وذلك لأن غاية الواحد منهم أن يخبرنا أن القدرة الإلهية فعلت ممكنا لا غير . وفى اليواقيت والجواهر للشعرانى قال : قال شيخ الإسلام المخزومى : لايجوز لعالم أن ينكر على صوفى إلا إن سلك طريقهم ورآهم خالفوا السنة ، ولا يسوغ له الإنكار عليهم حتى يعرف سبعين أمرا ، منها معرفة

اصطلاحهم فى التجلى الذاتى والصورى ، وماهو الذات وذات الذات ، ومعرفة حضرات الأسماء والصفات والفرق بين الحضرات ، والفرق بين الأحدية والواحدية ، ومعرفة سرّ الظهور والبطون والأزل والأبد وعالم الغيب والكون والشهادة والشوق ، وعلم الماهية والهوية والسكر والمحبة ، ومن هو الصادق فى السكر حتى يسامح ، والكاذب حتى يؤاخذ وغيره اهـ . وقال الشيخ الإمام والقدوة الهمام الشيخ سيدى المختار الكنتى رضى الله عنه كما فى التذييل : وقال قطب الدين الشيرازى رضى الله عنه : اعلم أنّ إنكار العوامّ على الخواصّ لا يقدح فى مناصبهم كما لايقدح فى رسالة الأنبياء نسبة بعض الناس لهم إلى السحر والجنون وغير ذلك . قال سهل بن عبد الله التسترى : من رأيتموه يزدرى بالأولياء وينكر مواهب الأصفياء فاعلموا أنه محارب لله ورسوله . وقال أبو يزيد رحمه الله : إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أولياء الله . وقال أبو يزيد : لحوم الأولياء مسمومة ، وعادة الله فى مبغضهم معلومة ، فمن أطلق لسانه فيهم بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة النور : ٦٣] . وقال الشيخ أبو عبد الله القرشى : من غضّ عن ولىّ لله عزّ وجلّ ضرب بسهم مسموم فى قلبه ولم يمت حتى تفسد عقيدته . وقال الغزالى رحمه الله : من لم يكن له نصيب من علم القوم يخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى نصيب منه التصديق به والتسليم لأهله . وقال أيضا : إنما انقطع الأبدال فى أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطلقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جاهلون بالله ، وهم عند أنفسهم علماء ، فرأوا الإعراض عن الجاهلين من أخلاق المؤمنين امتثالا لقوله تعالى :

﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٩٩] . وذكر النووى أنه يحرم على كلّ عاقل أن يسئ ظنه بأولياء الله تعالى ، بل يجب عليه تأويل أقوالهم وأفعالهم مالم يلحق بهم ويشرب من مشاربهم . وقال الشيخ بدر الدين الزركشى : لا تسمع فتوى شخص فى القوم إلا بعد تحقيقه لاصطلاحاتهم ومعرفته لحقائق ألفاظهم كما لا تسمع فتوى الأصولى والنحوى فى الفقه تقليدا له إلا بعد عرضه على حقائق الكتاب والسنة ومعرفته بأصول الفقه لعدم إحاطته وإتقانه لذلك ، إذ علم النحو والأصول إنما هو آلة لتحقيق الفقه لا أنهما عينه ، فإن فعل فقد ضلّ وأضلّ ، وكذلك من لا معرفة له باصطلاح القوم ، فإنه إذا سمع قولهم من غير تحقيق لمقاصدهم ومعرفة فحوى إشارتهم اتهمهم ، لأنه إذا سمع قولهم : حقيقة التوبة هى التوبة من التوبة فإنه ينكر ذلك ، فإذا عرف أن مرادهم بذلك اتهام أنفسهم فى إخلاص التوبة ورؤيتها رجع عن إنكاره . وأعظم من ذلك قولهم : الربّ عبد والعبد ربّ ، فإذا سمع هذا من لاذوق له أمر بقتل قائله وذبحه ، وإذا عرف مرادهم بذلك أن العبد إذا بذل نفسه لمولاه وفنى فى مرضاته وغاب بشهوده عن شهود نفسه ملكه ملكا كبيرا وجعل الأمر بيده ، حتى إنه إذا قال للشئ كن كان لتكوين المكون تعالى كما قال شيخنا الجيلى رضى الله عنه :

وأمرى بأمر الله إن قلت كن يكن   وكلّ بأمر الله فاحكم بقدرتى

وكان إمام الحرمين رضى الله عنه يقول : لو قيل لنا فصلوا لنا مايقتضى التكفير ويؤدّى إلى التضليل عن عبارات القوم لقلنا هذا طمع فى غير مطمع ، فإنه أمر بعيد المدرك وعر المسلك يمدّ من تيار بحور التوحيد ، ومن لم يحط علما بنهاية الحقائق لم يتحصل من التكفير على وثائق ، فيكون كباحث عن حتفه بظلفه أو كمتلقّ النار عن نفسه بأنفه ،

إذ ربما أراد تكفير غيره فيقع سهمه فى نحره . وكان النووى رضى الله عنه يقول : إن الله قد أعطى أولياءه الكرامات التى هى فرع المعجزات ، فلا بدع أن يعطيهم من العبارات مايعجز عنه فحول العلماء ، فضلا عن غيرهم ، لأنهم يستمدّون من مدد الله تعالى ورسوله ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً ﴾ [سورة السجدة : ١٧] خرقوا لله من أنفسهم العوائد فخرقت لهم العوائد ، فهم المعبرون عن جلال الله بإذنه ، والمحفوظون بعناية الله وعينه . وقال شيخ الإسلام المخزومى : جملة العلوم التى يجب على العبد تعلمها قبل الإنكار ستة : فأوّل ماذكر منها أن يكون عنده حسن الظنّ بأولياء الله ليقرب من حضرتهم فيشرف على مقاصدهم فإن من أساء الظنّ بهم طرد عن حضرتهم ، ومن طرد من حضرتهم فقد طرد عن حضرة الله ورسوله ، ومن طرد عن حضرة الله ورسوله فقد أعوزه الأنوار وجانبته الأسرار ، كيف ينظر الأنوار من تراكمت على عين بصيرته الظلمات والأكدار ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١٤] . وقال فى وصف الحال ﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [سورة النور : ٤٠] . ومنها أن يكون قد طالع معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء . ومنها ملازمة مطالعة كتب التفسير والتأويل ومعرفته بأسرار الكتاب والسنة . ومنها كثرة التأمل والنظر فى آيات الصفات وأخبارها واطلاعه على جميع ما قاله السلف والخلف فى ذلك ومعرفة من أخذها بالظاهر ومن قال بالتأويل ومن دليله أقوى وأرجح . ومنها كثرة الغوص على منازع المجتهدين وأدلتهم التى استندوا إليها من كتاب وسنة وقياس . ومنها وهو أهمها معرفة اصطلاحات القوم فيما عبروا عنه من التجلى الذاتى والصورى ، وتنوّع

المقامات وأنواع الذوق والسكر والمحو والفناء والمكافحات إلى غير ذلك مما يطول نشره . فمن لم يرتق إلى هذه المقامات ولم يشمّ نفحة من نفحات التجليات ، ولم يذق ثمرة من ثمرات التدليات ، ولم يرتشف من بحار الولايات ، فكيف يحلّ له أن يعبر عن كلامهم أو ينكر عليهم فى سيرتهم ومقاماتهم مما هو عنه بمعزل ؟ إذ هم الشموس التى يغشى شعاعها العيون الرمص ، ولا يسمعها من لاينطق إلا همسا اهـ . وقال الإمام الشعرانى رضى الله عنه كما فى البحر المورود : أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخواننا يبادر إلى الإنكار على من خالف نقل بعض العلماء إلا إن أحاط بجميع طرقِ الشريعة ، ولم يجد ذلك الحكم فيها وهذا عزيز وجوده ، كل ذلك سدّا لباب الإنكار بغير علم . وقد روى الطبرانى رحمه الله تعالى عن رسول الله ﷺ قال « إنَّ شَرِيعَتِى جَاءَتْ على ثلاثمائةٍ وثلاثَ عشرةَ طَرِيقَةً لا يَلْقَى العَبْدُ بها رَبًّا إلا دَخَلَ الجنَّةَ » اهـ . وقال الشيخ الأكبر القطب عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه كما فى الذهب الإبريز مانصه : واعلم وفقك الله أنّ الولىّ المفتوح عليه يعرف الحقّ والصواب . ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة ، وكيف لا وهو الذى لا يغيب عنه النبىّ ﷺ طرفة عين ، ولا يخرج عن مشاهدة الحقّ جلّ جلاله لحظة ، وحينئذ فهو العارف بمراد النبىّ ﷺ وبمراد الحقّ جلّ جلاله فى أحكامه التكليفية وغيرها ، إذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه لأنه أقرب إلى الحقّ من غير المفتوح عليه . وحينئذ فكيف يسوغ الإنكار على من هذه صفته ، ويقال إنه خالف مذهب فلان فى كذا ، إذا سمعت هذا فمن أراد أن ينكر على الولىّ المفتوح عليه لا يخلو إما أن يكون جاهلا بالشريعة كما هو الواقع غالبا من أهل

الإنكار ، وهذا لا يليق به الإنكار ، والأعمى لا ينكر على البصير أبدا ، فاشتغال هذا بزوال جهله أولى به ، وإما أن يكون عالما بمذهب من مذاهبها جاهلا بغيره ، وهذا لايصلح منه إنكار إلا إن كان يعتقد أن الحقّ مقصور على مذهبه ولا يتجاوزه لغيره ، وهذا الاعتقاد لم يصر إليه أحد من المصوّبة ولا من المخطئة . أما المصوّبة فإنهم يعتقدون الحقّ فى كل مذهب فهى كلها عندهم على الصواب ، وحكم الله عندهم يتعدّد بحسب ظنّ المجتهد ، فمن ظنّ الحرمة فى نازلة فهى حكم الله فى حقه ، ومن ظنّ الحلّية فيها بعينها فهى حكم الله فى حقه . وأما المخطئة فحكم الله عندهم واحد لا يتعدّد ومصيبه واحد ولكنهم لا يحصرونه فى مذهب بعينه بل يكون الحقّ فى نازلة هو ما ذهب إليه إمام ، وفى نازلة أخرى ما ذهب إليه غيره ، فاشتغال هذا المنكر بزوال هذا الاعتقاد الفاسد أولى به ، وإما أن يكون عالما بالمذاهب الأربعة وهذا لا يتأتى منه الإنكار أيضا ، إلا إذا كان يعتقد نفى الحقّ عن غيرها من مذاهب العلماء كمذهب الثَّورى والأوزاعى وعَطاء وابن جُرَيج وعِكْرمة ومجاهد ومَعْمَر وعبد الرزّاق والبخارى ومسلم وابن جَرير وابن خُزيمة وابن المنذر وطاوس والنَّخعى وقَتَادة وغيرهم من التابعين وأتباعهم إلى مذاهب الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، وهذا اعتقاد فاسد . فاشتغاله بدونه أولى من اشتغاله بالإنكار على أولياء الله المفتوح عليهم ، وإذا وصلت إلى هنا علمت أنه لا يسوغ الإنكار على الحقيقة إلا ممن أحاط بالشريعة ، ولا يحيط بها إلا النبىّ ﷺ والكمل من ورثته كالأغواث فى كل زمان رضى الله عنهم ؛ أما غيرهم فسكوتهم خير لهم لو كانوا يعلمون ، وكلامنا فى الإنكار على أهل الحقّ من أهل الفتح ، وأما أهل الظلام والضلال فلا تخفى أقوالهم على من مارسهم ؛ وقد

استأذن بعض الناس شيخه فى الإنكار على الأولياء أهل الحقّ من أهل الفتح ، وقال له سيدى : لا أنكر عليهم إلا بميزان الشريعة ، فمن وجدته مستقيما سلمت له ، ومن وجدته مائلا أنكرت عليه ، فقال له شيخه : أخاف أن لاتكون عندك الصنوج كلها التى يوزن بها وإذا كان عندك بعض الصنوج دون بعض فلا يصحّ ميزانك ، يشير إلى ماسبق من كونه ينكر وهو جاهل . وقد حضرت لبعض الناس وكانت له فطانة وحذاقة . فسمع سائلا يسأل وليا مفتوحا عليه عن السورة التى بعد أمّ القرآن إذا نسيها المصلى وترتب السجود القبلى عليه ثم نسيه فلم يفعله حتى سلم وطال الحال حتى تبطل الصلاة بترك السجود القبلى بناء على أن فى السورة ثلاث سنن أو لا بناء على أنه ليس فيها ثلاث سنن ، وقد ذهب إلى الأوّل الشيخ الخطاب وغيره ، وإلى الثانى شرّاح الرسالة وطلب السائل من هذا الولىّ المفتوح عليه أن يعين له الحقّ عند الله تعالى ، فأجابه الولىّ سريعا : الحقّ عند الله تعالى هو أن السورة لا يوجب نسيانها سجودا أصلا ، ومن سجد لها بطلت صلاته ، وكان المفتوح عليه عاميا أميا ، وكان السائل يعرفه ويعرف ارتقاء درجته فى الفتح ، فلما سمع جوابه علم أنه الحقّ الذى لاريب فيه ، وأما الذى له حذاقة وفطانة فدخله شكّ وارتياب ، فقال للسائل بعد أن قاما عن الولىّ : إن هذا الرجل يعنى الولىّ جاهل لا يعرف شيئا ، انظر كيف جهل حكم الله فى هذه المسئلة الظاهرة ، وقال : إنّ تارك السورة لاسجود عليه ، وقد عدّها ابن رشد فى السنن المؤكدة كما عدّ فيها الجهر والسرّ ، فأجلبه السائل بأن الولىّ المفتوح عليه لا يتقيد بمذهب ، بل يدور مع الحقّ أينما دار ، فقال الذى له حذاقة وكان من طلبة العلم : نحن لا نتجاوز قول إمامنا مالك ، فأجابه السائل بأن هذا الذى قاله الولىّ المفتوح عليه قد

رواه أشهب عن مالك كما نقله فى التوضيح ، فروى عن الإمام أن السورة مستحبة وليست بسنة ، ثم هو مذهب الشافعى رضى الله عنه ، فعنده أن السورة من الهيئات التحسينية وليست من السنن ، ومن سجد لها بطلت صلاته ، ثم سؤالنا للولىّ إنما كان عن تعيين الحقّ من غير تقييد ولم يكن عن خصوص المشهور من مذهب مالك ، وقد عين ما سألناه عنه ووافق ذلك الرواية عن مالك وهى مذهب الشافعى رضى الله عنهما ، فأىّ تبعة بقيت على الولىّ فى جوابه ، فلما قال السائل هذا القول وسمعه الذى له حذاقة انقطع ولم يدر ما يقول . قلت : وهذه طريقة المنكرين وعادتهم ، لاتجد معهم إلا التقصير التامّ . وقد وقع لبعض أكابر الفقهاء من أشياخنا رضى الله عنهم كلام معى فى هذا المعنى فقال لى يوما : يافلان إنى أردت نصيحتك لمحبتى فيك وتمام مودّتى إليك ، فقلت : ياسيدى حبا وكرامة وعلى الرأس والعين ، فقال لى رضى الله عنه : إن الناس على طرف وأنت وحدك على طرف فى رجل علمت كشفه وولايته ، الناس فيه على الانتقاد وأنت على الاعتقاد ، ومن المحال أن تكون وحدك على الحقّ ، وذكر كلاما من هذا المعنى هذه زبدته ، فقلت : ياسيدى من تمام نصيحتك لى أن تجيبنى عما أذكره لك . فإن أجبتنى عنه تمت النصحية وكان أجرك على الله ، فقال لى رضى الله عنه : اذكر ماشئت ، فقلت : ياسيدى ألقيتم الرجل وسمعتم كلامه وتباحثتم معه فى أمر من الأمور حتى ظهر لكم ما عليه الناس فيه ؟ فقال لى : ما لقيته قطّ ولا رأيته أصلا ، فقلت له وقد طرحت الحياء والحشمة لما بينى وبينه من الألفة والمودّة : ياسيدى ماظهر لى فيكم إلا أنكم عكستم الصواب وطلبتم اليقين فى باب الظنّ الذى لا يمكن فيه اليقين ، واكتفيتم فى باب اليقين بالظنّ بل بالشكّ بل

بالإفك والأباطيل ، فقال لى رضى الله عنه : فسر لى مرادك بهذا الكلام ، فقلت له : إنكم إذا أخذتم فى تدريس الفقه ونقل لكم كلام من المدوّنة أو تبصرة اللخميّ أو بيان ابن رشد أو جواهر ابن شاس ونحوها من دواوين الفقه ، وأمكنكم مراجعة هذه الأصول ، فإنكم لا تثقون بنقل الواسطة حتى تنظروها بأنفسكم ولو كانت الواسطة مثل ابن مرزوق والحطاب والتوضيح ونحوهم فهذا باب الظنّ وكأنكم تطلبون فيه اليقين حتى لم تكتفوا فيه بنقل العدول الثقات الأثبات حتى باشرتم الأمر بأنفسكم ، ولا يمكنكم اليقين فيه أبدا ، وإنما عارضتم ظنا أقوى بظنّ أضعف منه ، فإنّ نقل الواسطة السابقة أقرب إلى الصواب من جهة قرب زمانها إلى مؤلفى الكتب السابقة ، فإنهم أقرب إليهم منا بلا ريب ، ومن جهة أن النسخ التى هى عند الواسطة من هذه الأصول مروية بطريق من طرق الروايات ، وأما نحن فلا رواية عندنا فيها ولا نسخ صحيحة منها ، فمن الجائز أن تكون نسختكم منها زادت أو نقصت ، فبأىّ يقين ترد نقل الحطاب عنها مع وجود هذين الأمرين فيه وفقدهما فيك ، أما إنكم اكتفيتم بالظنّ فى باب اليقين الذى يمكن فيه ، فإن هذا الرجل الذى بلغك عنه ما بلغك موجود حىّ حاضر معك فى المدينة ليس بينك وبينه مسافة ومعرفته سعادة لا شقاء بعدها إن وفق الله لمحبته وإلقاء القياد إليه ، وقد أمكنك الوصول إليه حتى تعتقد فتسعد وتربح أو تنتقد فترجع ويحصل لك اليقين بأحد الأمرين وتزول ظلمة الشكّ من قلبك ، ثم إنك قنعت فى هذا الأمر الرابح والخير الراجح الذى نفعه محقق وصاحبه موفق بنقل الفسقة والكذبة ، وكان من عادتك أنك لاتقنع فى باب الظنّ والنفع القليل بنقل الثقات الأثبات حتى تباشر الأمر بنفسك ، فهلا جريت على ذلك فى هذا الباب الذى هو باب اليقين ، والنفع الذى هو

سعادة محضة ، أليس هذا منكم رضى الله عنكم عكسا للصواب ؟ فقال رضى الله عنه : قطعتنى بالحجة والله لا يمكننى الجواب عن هذا أبدا . وأشهد علىّ بأنى تائب إلى الله عزّ وجلّ ، ثم قلت للشيخ المذكور : إن كان ولابدّ لكم من التقليد فقلدنى لأمرين : أحدهما أنك تعلم بصيرتى فى الأشياء . ثانيهما أنك تعلم أنى خالطت الرجل المذكور سنين كثيرة حتى علمت منه ما لم يعلمه غيرى ، وأما هؤلاء الكذبة الفسقة فأكثرهم لم يلقه مثلكم ، وإنما اعتمادهم على التسامع الذى لا أصل له وسببه الحرمان والخذلان ، نسأل الله التوفيق بمنه وفضله وكرمه ، فقال رضى الله عنه : مابقى مما تقول شئ آخر . ثم لقينى فقيه آخر من أشياخ الفقيه المتقدّم ، فقال لى : ذكر لى عنكم فلان حجة قاطعة لكل منازع ، ثم التفت إلى الفقيه المذكور فقال : ألم تخبرنى أن فلانا قال لك كيت وكيت ؟ فقال نعم ، ثم قالا معا : بهذا الكلام قطعت ظهرنا . قلت : وهذان الفقيهان هما رأس الطبقة من أهل العصر بحيث إنهما لا يجاريهما أحد فى وقتهما ، وأما من دونهما من أهل الإنكار فأكثرهم يعتمدون على التسامع الذى لا أصل له كما سبق ، وأكيسهم الذى يعتمد فى إنكاره على قوله : كنا نعرف سيدى فلان ولم يكن هكذا ، يعنى أن الرجل المنكر عليه لم يكن كسيدى فلان ، ولم يدر أن الزهر ألوان والنخل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وقد دخلت مع الشيخ رضى الله عنه إلى بستان فى فصل الربيع ، فنظر إلى اختلاف أزهاره وأنواره ساعة ، ثم رفع رأسه إلىّ وقال : من أراد أن يعرف اختلاف الأولياء وتباينهم فى المقامات والأحوال مع كونهم على هدى وصواب وحلاوتهم فى قلوب الناس فلينظر إلى اختلاف هذه الأنوار

والأزهار مع حلاوتها فى القلوب ، فإن كان قوله : إن سيدى فلانا الذى عرفناه لم يكن هكذا حصرا لرحمة الله فى الولىّ الذى عرفه فقد حجر واسعا ، ولما قال الأعرابى الذى بال فى المسجد : اللهم ارحمنى وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا ، قال له النبىّ ﷺ « لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا » وإن كان قولك ذلك ظنا منه أن كل مرحوم لا يكون إلا مثل الولىّ الذى عرفه فقد سبق أنهم رضى الله عنهم على أصناف شتى ، وأيضا فهو مشترك الإلزام ، فإن هذا الاعتراض لازم فى الولىّ الذى عرفه ، فإنه لم يكن مثل الولىّ الذى كان قبله ، فإن اعترض على الثالث بأنه ليس مثل الثانى اعترض على الثانى بأنه ليس مثل الأوّل الذى كان قبله . وإنما أطلت الكلام فى هذا الباب وذكرت هذه المناظرات التى وقعت لنا مع الفقهاء رضى الله عنهم حرصا على وصول الخير إلى طائفة الفقهاء وطلبة العلم ومحبة فيهم ونصيحة لهم ، فإنهم ابتلوا بالإنكار على السادات الأبرار الأخيار الأطهار فى سائر القرون والأعصار ، وفى جميع البوادى والقرى والأمصار ، وإنكارهم لايخرج عن هذا الذى ذكرناه فى هذا الباب ، فمن كان منهم منصفا وتأمل ماسطرناه فيه رجع وظهر له الحقّ ولاح له وجه الصواب وكثيرا ماكنت أتعرّض لمناظرة الفقهاء فى هذا الباب ظنا منى أنهم يعتمدون فى إنكارهم على أمور صحيحة ، فلما اختبرتهم وجدت الأمر على ما وصفت لك ، والله الهادى إلى الصواب لاربّ غيره ولا خير إلا خيره ، عليه توكلت وإليه أنيب اهـ : قلت : ذكر الغوث هنا يستدعى كلاما فى بعض ماله من المقامات فأقول : ذكر الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر والسرّ الأبهر ابن العربى الحاتمى أن كلّ مقام ثان حجاب على من دونه ، لأن استمدادهم منه فإن كل رجل من الرجال المعينين يستمدّ ممن هو أوسع منه دائرة ، فيكون المستمدّ منه

حجابا على المستمدّ ، وجميعهم يستمدّون من القطب الغوث فهو حجابهم ، وهو يستمدّ من روحانية أحد الأنبياء الأربعة المتقدم ذكرهم . يعنى إدريس وإلياس وعيسى والخضر ، وهم يستمدّون من الحجاب الأعظم وهو ﷺ يستمدّ من حضرة الإطلاق ويمدّ سائر نوّابه من سائر العوالم العينية والغيبية بحسب مايطاق ، فيمدّ كل أحد على قدر استعداده لا على قدر سعته وإمداده ، فإنه البحر الخضمّ الزاخر الذى ليس له أوّل ولا آخر ، من نظر بعين قلبه إلى بحر فيضه الجلىّ وسريان مدده العلىّ . وشاهد تلقى سائر الكائنات عنه بالوسائط أو بدونها ، اندهش قلبه وطاش لبّه ، فإن القطب له ستة عشر عالما إحاطيا ، الدنيا والآخرة واحد منها ، وهو يمدّها جميعها ومن فيها ، ونبينا ﷺ هو الممدّ له بهذا المدد التامّ ومقويّه باستطاعة هذا المقام اهـ كلام الحاتمى . قلت : انظر إلى هذا الإمام الجليل مع سعة باعه فى علوم المعارف لم يعرف الحضرة الكتمية التى استمدّ منها القطب ، فذكر أنه من روحانية الأنبياء واستمداد القطب الغوث إنما هو من بحر المدد الأكبر القطب المكتوم والخاتم المحمدى المعلوم ، وهو سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ سيدى أحمد بن محمد التجانى الحسنى رضى الله عنه ونفعنا به آمين ، فليتأمل . وهذا آخر الفصل . والله الموفق للصواب . وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

الفصل الثانى

وهو الفصل الثامن من فصول الكتاب
فى وجوب طلب الشيخ المرشد وصفته وحال المريد معه

فأقول – وبالله التوفيق وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :

أما وجوب طلب الشيخ المرشد ، فواجب على كل من نظر أحوال النفس وعرف مراد الحضرة من كل إنسان . قال العلامة ناظم المرشد المعين :

يصحب شيخا عارف المسالك يقيه فى طريقه المهالك
يذكره الله إذا رآه ويوصل العبد إلى مولاه

قال العلامة بدر الدين ميارة فى الدرّ الثمين : أما صحبة الشيخ العارف المسالك جمع مسلك : موضع السلوك ، يعنى الطريق الموصلة إلى الله تعالى الذى يقى صاحبه المهالك ويذكره الله إذا رآه ويوصله إلى مولاه ، فقال الشيخ الإمام العارف الولىّ سيدى أبو عبد الله محمد بن عباد أثناء شرحه لقول السيد العارف ابن عطاء الله : لولا ميادين النفوس ماتحقق سير السائرين ما نصه : ولابدّ للمريد فى هذه الطريق من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تأديب نفسه وتخلص من هواه ، فليسلم نفسه إليه ، وليلتزم طاعته والانقياد إليه فى كلّ ما يشير به عليه من غير ارتياء ولا تأويل ولا تردّد ، فقد قالوا : من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه . وقال أبو يعلى الثقفى رضى الله عنه : لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ

أو إمام أو مؤدّب ناصح ؛ من لم يأخذ أدبه من آمر له أو ناهٍ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لايجوز الاقتداء به فى تصحيح المقامات . وقال سيدى أبو مدين رضى الله عنه : من لم يأخذ الأدب من المتأدّبين أفسد من يتبعه . قال المؤلف رحمه الله فى لطائف المنن : إنما يكون الاقتداء بولىّ دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه ، فطوى عنك شهود بشريته فى وجود خصوصيته ، فألقيت إليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد ، يعرّفك برعونات نفسك فى كمائنها ودفائنها . ويدلك على الجمع على الله ، ويعلمك الفرار عما سوى الله ، ويسايرك فى طريقك حتى تصل إلى الله ، يوقفك على إساءة نفسك ويعرّفك باحسان الله إليك فيفيدك معرفة إساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون إليها ، ويفيدك العلم بإحسان الله إليك الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه ، والدوام على ممرّ الساعات بين يديه ، قال : فإن قلت فأين مَن هذا وصفه ، لقد دللتنى على أغرب من عنقاء مغرّب ؟ فاعلم أنه لايعوزك وجدان الدالين ، وإنما يعوزك وجود الصدق فى طلبهم ، جدّ صدقا تجْد مرشدا ، وتجد ذلك فى آيتين من كتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [سورة النمل : ٦٢] . وقال سبحانه ﴿ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [سورة محمد : ٢١] . فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله اضطرار الظمآن إلى الماء والخائف للأمن فوجدت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك ، ولو اضطررت إلى الله اضطرار الأمّ لولدها إذا فقدته لوجدت الحقّ منك قريبا ولك مجيبا ، ولوجدت الوصول غير متعذّر عليك ، ولتوجه الحقّ بتيسير ذلك عليك اهـ . وفى كلامه رحمه الله تنبيه على أن الشيخ من منح الله وهداياه للعبد المريد إذا صدق فى إرادته وبذل فى مناصحة مولاه جهد استطاعته ، لا على مايتوهمه من لا علم

عنده ، وعند ذلك يوفقه الله لاستعمال الآداب معه لما أرشده على أعلى مراتبه ورفيع درجته . قال سيدى أبو مدين رضى الله عنه : الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرّك بالتعظيم ، الشيخ من هذّبك بأخلاقه وأدّبك بإطراقه ، وأنار باطنك بإشراقه ، الشيخ من جمعك فى حضوره وحفظك فى مغيبه . قال فى لطائف المنن : وليس شيخك من سمعت منه ، إنما شيخك من أخذت عنه ، وليس شيخك من واجهتك عبارته ، إنما شيخك الذى سرت فيك إشارته ، وليس شيخك من دعاك إلى الباب ، إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب ، وليس شيخك من واجهك مقاله ، إنما شيخك الذى نهض بك حاله ، شيخك هو الذى أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى ، شيخك هو الذى مازال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك ، نهض بك إلى الله فنهضت إليه ، وسار بك حتى وصلت إليه ، ولا زال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه ، فزجّ بك فى نور الحضـــرة ، فقال لك : ها أنت وربك اهـ .

وآداب الشيخ مع المريد والمريد مع الشيخ كثيرة مذكورة فى كتب أئمة الصوفية رضى الله عنهم ، ومن أبلغ ذلك وأوجزه ماذكره الإمام أبو القاسم القشيرى ، قال رضى الله عنه : فشرط المريد أن لا يتنفس نفسا إلا بإذن شيخه ، ومن خالف شيخه فى نفس سرّا أو جهرا فيرى غيه من غىّ ما يحبه سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يسترونه منهم أشدّ مما يكابدونه بالجهد وأكثر . لأن هذا يلتحق بالخيانة ، ومن خالف شيخه لا يشمّ رائحة الصدق . فإن صدر منه شئ من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه إلى مافيه كفارة جُرمه ويلزم فى الغرامة ما يحكم عليه . فإذا رجع المريد إلى شيخه

بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته ، فإن المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم أن ينفقوا من قوّة أحوالهم مايكون جبرانا لتقصيرهم اهـ . والقول الفصل فى هذا الفصل جواب شيخنا القطب المكتوم والبرزخ المعلوم ، ونصه كما فى جواهر المعانى : وأما السؤال عن طلب الشيخ هل هو فرض على كل فرد فرد ، أو على البعض دون البعض ، وما السبب فى الكلّ ؟ . فالجواب أن طلب الشيخ فى الشرع ليس بواجب وجوبا شرعيا يلزم من طلبه الثواب ومن عدم طلبه العقاب ، فليس فى الشرع شئ من هذا ولكنه واجب من طريق النظر مثل الظمآن إذا احتاج إلى الماء وإن لم يطلبه هلك ، فطلبه عليه لازم من طريق النظر ، وطريق النظر فى هذا ماقدّمناه من كون الناس خلقوا لعبادة الله والتوجه إلى الحضرة الإلهية بالإعراض عن كلّ ماسواه ، وعلم المريد مافى نفسه من التثبط والتثبيط عن النهوض إلى الحضرة الإلهية ، وعلم عجزه عن مقاومة نفسه بما يريده منها من الدخول فى الحضرة الإلهية بتوفية الحقوق والآداب ، وعلم أنه لا ملجأ له من الله ولا منجا إن قام مع نفسه متبعا لهواها معرضا عن الله تعالى ، فإنه بهذا النظر يجب عليه طلب الشيخ الكامل ، وهذا الوجوب النظرى أمر وضعى طبيعى ليس من نصوص الشرع ، إذ ليس فى نصوص الشرع إلا وجوب توفية القيام بحقوق الله تعالى ظاهرا وباطنا على كل فرد فرد من جميع العباد . ولاعذر لأحد فى ترك ذلك من طريق الشرع ، ولا عذر له فى غلبة الهوى عليه وعجزه عن مقاومة نفسه ، فليس فى الشرع إلا وجوب ذلك وتحريم ترك ذلك الوجوب العقاب عليه فهذا ماكان فى الشرع ولا شيخ يجب طلبه إلا شيخ التعليم الذى يعلم كيفية الأمور الشرعية التى يطلب فعلها من العبد أمرا أو نهيا وفعلا وتركا ، فهذا الشيخ يجب طلبه على

كل جاهل لا يسع أحدا تركه ، وما وراء ذلك من الشيوخ لا يلزم طلبه من طريق الشرع ، لكن يجب طلبه من طريق النظر بمنزلة المريض الذى أعضلته العلة وعجز عن الدواء من كل وجه وانعدمت الصحة فى حقه ، فنقول : إن شاء البقاء على هذا المرض بقى كذلك ، وإن طلب الخروج إلى كمال الصحة قلنا له : يجب عليك طلب الطبيب الماهر الذى له معرفة بالعلة وأصلها ، وبالدواء المزيل لها ، وكيفية تناوله كما وكيفا ووقتا وحالا والسلام اهـ منه بلفظه . وأما صفته فقد قال الشريشى فى أنوار السرائر :

وللشيخ آيات إذا لم تكن له ... فما هو إلا فى ليالى الهوى يسرى
إذا لم يكن علم لديه بظاهر ... ولا باطن فاضرب به لجج البحر
فأقرب أحوال العليل إلى الرّدى ... إذا لم يكن منه الطبيب على خبر
وإن كان إلا أنه غير جامع ... لوصفيهما جمعا على أكمل الأمر
وآياته أن لايميل إلى هوى ... فدنياه فى طىّ وأخراه فى نشر

إلى آخر كلامه انظر الأنوار .

وقال شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم الخاتم المحمدى المعلوم كما فى جواهر المعانى ما نصه : أما حقيقة الشيخ الواصل ، فهو الذى رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظرا عينيا وتحقيقا يقينيا ، فإن الأمر أوّله محاضرة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف ، ثم مكاشفة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق ، ثم مشاهدة وهو تجلى الحقائق بلا حجاب لكن مع خصوصية ، ثم معاينة وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية ولا بقاء للغير ، والغيرة عينا وأثرا وهو مقام السحق والحق والدكّ وفناء الفناء ، فليس فى هذا إلا معاينة الحقّ فى الحقّ للحقّ بالحقّ :

فلم يبق إلا الله لا شئ غيره فما ثم موصول ولا ثم بائن

ثم حياة وهى تمييز المراتب بمعرفة جميع خصوصياتها ومقتضياتها ولوازمها وما تستحقه من كلّ شئ ومن أىّ حضرة كل مرتبة منها ولما وجدت وماذا يراد منها وما يئول إليه أمرها ؟ وهو مقام إحاطة العبد بعينه ومعرفته بجميع أسراره وخصوصياته ، ومعرفته ماهى الحضرة الإلهية وماهى عليه من العظمة والجلال والنعوت العلية والكمال معرفة ذوقية ومعاينة يقينية ، وصاحب هذه المرتبة هو الذى تشقّ إليه المهامه فى طلبه ، لكن مع هذه الصفة فيه كمال إذن الحقّ له سبحانه إذنا خاصا فى هداية عبيدة وتوليه عليهم بارشادهم إلى الحضرة الإلهية ، فهذا هو الشيخ الذى يستحقّ أن يطلب ، وهو المراد بقوله ﷺ لأبى جحيفة « سَلِ العُلَماءَ وَخالِطِ الحُكَماءَ وَاصْحَبِ الكُبَراءَ » وصاحب هذه المرتبة هو المعبر عنه بالكبير ، ومتى ماعثر المريد على من هذه صفته ، فاللازم فى حقه أن يلقى نفسه بين يديه كالميت بين يدى غاسله لااختيار له ولا إرادة ، ولا إعطاء له ولا إفادة ، وليجعل همته منه تخليصه من البلية التى أغرق فيها إلى كمال الصفاء بمطالعة الحضرة الإلهية بالإعراض عن كل ما سواها ، ولينزّه نفسه عن جميع الاختيارات والمراد مما سوى هذا ، ومتى أشار عليه بفعل أو أمر فليحذر من سؤاله بلم وكيف وعلام ولأىّ شئ ؟ فإنه باب المقت والطرد ، وليعتقد أن الشيخ أعرف بمصالحه منه ، وأى مدرجة أدرجه فيها ، فإنه يجرى به فى ذلك كله على ماهو لله وبالله بإخراجه عن ظلمة نفسه وهواها .

وأما الشيخ الذى هذه صفته كيف يتصل به وبماذا يعرف ؟ فالجواب أن الشيوخ المتصفين بهذا الأمر كثيرون وأغلبهم فى المدن الكبار فإنها مقرّهم .

وأما معرفتهم والاتصال بهم فإنه عسير أغرب وجودا من الكبريت الأحمر ، لأنهم اختلطوا بصور العامة وأحوالهم ، ومن سألهم عن هذا الحال نفروه وطردوه ، وحلفوا له ماعندهم من هذا الأمر شئ ، والعلة الموجبة لهم لهذا أنه قد فسد نظام الوجود بمشيئة الحقّ سبحانه وتعالى التى لا منازع لها . وليس لكلّ آدمىّ إلا السعى فى أغراضه وشهواته بالإعراض عن الحضرة الإلهية وما تستحقه من توفية الحقوق والآداب ، وليس للعامة فى هذا الوقت من السعى للأولياء إلا لأغراض فاسدة يريدونها من التمتع بالدنيا ولذّاتها وشهواتها والنجاة من المصائب والعطب فى هذه الدار مع إقامتهم وإصرارهم على الدواهى المهلكات العظام من الكبائر الفاحشة التى لا عقبى لصاحبها إلا دار البوار وليس لهم عن هذا الميدان خروج ولا لهم فى الرجوع إلى الحضرة الإلهية ولوج ؛ فلما عرف العارفون مافى العامة من هذا الأمر احتجبوا عن العامة وطردوهم بكل وجه وبكل حال ، وكان اقتضاء ذلك أن يسكنوا فى البرارى والقفار ، وكان مراد الحقّ منهم أن يبقوا فى وسط العامة ويسكنوا فى وسطهم لأمور أرادها الحقّ منهم سبحانه وتعالى وحكم بها عليهم فلا منازع له فى حكمه ، ولم يجدوا مساغا فى الخروج عن العامة فى البرارى والقفار لما عليهم من حكم الله الذى لا خروج لهم عنه ، ولا يجدون سبيلا إلى إصلاح العامة وردّهم إلى الحضرة الإلهية فهم بمنزلة من أقيم بين جماعة الحمقاء يرمونه بالحجر وكلف بالصبر والإقامة بينهم فهم فى عذاب ، فلهذا احتجبوا عن العامة وطردوهم بكلّ حال ، وربما شمّ العامة روائح وصولهم من وراء الحجب إلى التعلق بهم فيما يريدونه من أغراضهم ، فخلط العارفون عليهم بوجوه من التخليط استتارا عن العامة بإظهار أمور من الزنا والكذب الفاحش والخمر وقتل

النفس وغير ذلك من الدواهى التى تحكم على صاحبها أنه فى سخط الله وغضبه والأمور التى يقتحمها العارفون فى هذا الميدان إنما يظهرون صورا من الغيب لا وجود لها فى الخارج إنما هى تصوّرات خيالية يراها غيرهم حقيقية فيفعلون فى تلك الصور أمورا منكرة فى الشرع وهم فى الحقيقة لم يفعلوا شيئا ، فاستتروا بذلك عن العامة حفظا لمقامهم وتحريرا لآدابهم . وإذا عرفت هذا فقد اختلط الصادقون والكاذبون فى هذا الميدان ، ولا يعرف هذا من هذا ، ولا حيلة لأحد من معرفة العارف الواصل أصلا ورأسا إلا فى مسئلة نادرة فى غاية الندور . وهو أن بعض الكمل ظهروا فى مظاهر الصور الشرعية الكاملة ، فمن ظهر بهذا المظهر وادّعى المشيخة بالمعرفة فيه أنه يعرف بدلالته على الله تعالى والرجوع إليه والتزهيد فى الدنيا وأهلها وعدم المبالاة بها وبوجودها مع ظهور صفة الفتح فى غيره على يديه ، فإن ظهر للمريد على هذه الصفة فليلق نفسه إليه بمجرّد اللقاء ، والذى يجب على المريد فى حقه أن لا يلقى إليه حتى يتعرّف تواتر أخباره من ثقات الواردين عليه والمجاورين له ، فإن ظهرت الصفة المعروفة عليه فليصحبه وإلا فلا ، ومن رام الوصول إلى شيخ فى هذا الوقت ولم يجد حيلة فى معرفته وخاف من الوقوع فى حبائل الكاذبين ، فعليه بالتوجه إلى الله بصدق لازم وانحياش إليه بقلب دائم ، ودوام التضرّع إليه والابتهال إليه فى الكشف له عن الشيخ الواصل الذى يخرجه من هذه الغمة وأن يدله عليه وأن يوفقه لامتثال أمره حتى يقع فى الغرق فى لجج بحره فلا حيلة له إلا هذا ، وأكبر من ذلك وأولى وأنفع وأبلغ إلى الوصول إلى المراد وأرفع لمن لم يجد حيلة فى العثور على الشيخ الكامل استغراق ما يطيق عليه من الأوقات فى كثرة الصلاة على النبىّ ﷺ بالتأدّب والحضور ، وتوهم القلب أنه جالس بين يديه

ﷺ وليداوم على ذلك ، فإن من داوم على ذلك وكان اهتمامه بالوصول إلى الله تعالى اهتمام الظمآن بالماء أخذ الله بيده وجذبه إليه ، إما أن يقيض له شيخا كاملا وأصلا يأخذ بيده ، وإما أن يفيض له نبيه ﷺ يربيه ، وإما أن يفتح له باب الوصول ورفع الحجب بسبب ملازمته للصلاة على حبيبه ﷺ فإنها أعظم الوسائل إلى الله تعالى فى الوصول إليه ، ومالازمها أحد قطّ فى طلب الوصول إلى الله تعالى فخاب قطّ .

وأما السؤال عن الاختبار للشيخ ووزن أفعاله وأحواله فلا يصلح ، وما اتبع أحد ذلك فأفلح قطّ ، لأن ذلك مغلاق لأبواب الله تعالى ، فإن من أراد ذلك واتبعه فى جميع الخلق أراه الله تعالى صفة النقص فى كل مخلوق فلا يطمئنّ لأحد . وأما التصديق للشيخ فإنه أمر إلهى يضعه الله فى القلوب فلا يقدر صاحبه على الانفكاك عنه ولو رأى منه ألف معصية ، لكن إن كان المريد صادقا فثواب صدقه ألا يرى من الشيخ إلا ما يطمئن به قلبه ، ولا يقع إلا على الشيخ الصادق ؛ ومن كان خبيث السريرة وطلب فلا يرى إلا ماينكره وينقصه ويوجب له النفور عنه والهرب اهـ من جواهر المعانى بلفظه .

وقال الشيخ سيدى المختار الكنتى رضى الله عنه : ولا تفطن لإشارته القولية فإن أقوالهم وأفعالهم مبنية على الحكم الربانية ، وذلك معنى قولهم : من لم يفقه أحوالنا لم يفقه أقوالنا ؛ ومتى أمرك بأمر ترى فيه العطب فاقتحمه ، فإن فيه النجاة ، لأن المعانى تتجلى لهم فى طىّ أشخاص مخصوصة برجل مخصوص ، وإن امتحنك فاثبت تحت سوط امتحانه حتى يكون هو الذى ينقذك من سجن الامتحان ويخفف عبء ذلك عليك ماتعلم أن محنهم منح ، واستحضر قضية أبى لبابة ، فذلك الأدب هو هذا الأدب بعينه ، وأنت أخوه وشيخك الوارث

والمعتق الله والمقصود واحد ؛ وإياك والمعاجلة ، فإن ذلك يورث الحرج فيكون آخر العهد بك ويقطع الرجاء منك ، فإنه ما امتحنك إلا ليدنيك ، وما أدناك إلا ليذلك ، وما أذلك إلا ليهزّك ، وما هزّك إلا ليغرسك ، وما غرسك إلا لتزهو، وما أزهاك إلا لتثمر ، وما أثمرك إلا لتعمر وتعمر ، وماعمرك إلا لتئوب ، وما أوّبك إلا لتنوب عنه فى المنع والعطاء والشدّة والرخاء ؛ وإياك أن تماشيه والنعل فى رجليك أو عليك شئ من آلات الرفاهية إلا أن يأذن لك لعذر ، ولا تنم معه فى بيت ولا تبصق بحضرته ولا تتمخط ولا تمدّ رجليك ولا تكثر الالتفات ، ولا تجلس على بساطه بخلاف ثوبه على وجه التبرّك ، فإن السادات كانوا يستعملون ملابس أشياخهم للتبرّك ، وكذلك شأن الصحابة مع الرسول فى لباسه وشعره وطهوره وفضل وضوئه وريقه الشريف وعرقه ودابته وإناء شرابه ومواضع صلاته وخلوته ، ويشهدون لذلك تأثيرات فى دفع الأدواء الجثمانية والأسواء الروحانية ، ألا ترى إلى ما يؤثر من كرّة خالد بن الوليد على قلنسوة فيها شعرات من شعره ﷺ ؟ فقيل له فى ذلك لكثرة من مات فى كرّته تلك من المسلمين ، فقال : لم أكرّ لأجل القلنسوة ، وإنما كررت غيرة أن يقع شعر رسول الله ﷺ بأيدى المشركين فأحرم بركته . ومن هذا القبيل اتخاذهم خرقة التصوّف عند ما يأنسون من أنفسهم كمالا ، فهى بمنزلة الراية لصاحب الجيش .

ومن الآداب النافعة احترام كل ما ينسب إليه ولو كلبا ، وحبّ مريده وقرابته وأحبابه ومحبوباته ، حتى من المطاعم والملابس ، وكل تعظيم واحترام للشيخ فهو لله على الحقيقة ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام « بَجِّلُوا المَشائِخَ فإنَّ تَبجيلَهُمْ مِنْ تَعْظِيمِ حُرْمَةِ الله » (١) وقال

---

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال ٩٣/٤ فى ترجمة صخر بن =

« على قَدْرِ التَّعْظِيمِ تَكُونُ البَرَكَةُ » (١) أى فكما يجب على المريدين الاقتداء بالسلف الصالح فى تعظيم المشائخ واحترامهم ظاهرا وباطنا يجب استحضار النية حالة تلقيه من شيخه وسماعه عنه أنه إنما يتلقى ويسمع من الله ورسوله ، إذ الشيخ وارث الرسول ونائبه والله تعالى يقول ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة : ٦] . وقوله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [سورة النجم : ٣] وهذا كله دفعا لتوهم المجاز وإثباتا لحكم الحقيقة . قال ﷺ « قُولُوا : رَبَّنا ولَكَ الحَمْدُ ، فإنَّ اللهَ يَقُولُ على لِسانِ نَبِيِّهِ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حمِدَهُ » والشيخ من هذّبك بأخلاقه وأدّبك باطراقه وأنار باطنك بإشراقه . وقد جمع زرّوق آداب المريد فى أربعة أشياء وهى : اتباع المرسوم وترك الاعتراض ودوام الملازمة والسعى فى الأغراض ، ولقد أحسن وأجاد . واعلم أنه لابد من صدور أربعة عنهم : الأذى والإكرام والإساءة والإحسان ؛ فقابل أذاهم بالصبر لا بالجزع ، وإكرامهم بالثناء دون تعدّ لطور الشرع من زيادة أو نقصان ، والإساءة بالعذر من غير نزاع ولا ازدراء ، والإحسان بالموافقة من غير توقف ، ثم آفة صحة المشائخ الاغترار والفضول فهما أصل الجفاء والاعتراضات ، وعلاجها الاطراح والتسليم ، وشروط الشيوخية علم

= عبد الله الكوفى ثنا عبد الله بن محمد بن ابراهيم المرزوى ثنا عبد الله بن محمود المروزى ثنا صخر بن عبد الله الحاجبى بمرو ثنا الليث بن سعد عن الزهرى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ بجلوا المشايخ فإن تبجيل المشايخ من إجلال الله – وقال ابن عدى وهذا حديث موضوع على الليث بن سعد .

وأورده الديلمى فى الفردوس بمأثور الخطاب ٩/٢ ح رقم ٢٠٨٢ عن أنس : بجلوا المشايخ فإن تبجيل المشايخ من إجلال الله عز وجل فمن لم يبجلهم فليس منا .

(١) لم أقف له على تخريج فيما اطلعت عليه من كتب الرجال .

صحيح وذوق صريح وهمة عالية وحالة مرضية وبصيرة نافذة ، والسرّ كله فى صدق المريد فهو شيخه الحقيقى اهـ . ثم قال بعد كلام : واعلم أيها الأخ أن دليل إرادة الله بك الوصول إليه والاتصال به وصلتك للشيخ المربى ، إذ هو تعالى لا يوصل إليهم إلاّ من أراد أن يوصله إليه ، فلا يصل إليه إلا من اتصل بهم ، ولا يحجب عنهم إلا من حجب بهم ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٦٢] .

قال تاج الدين بن عطاء الله : سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه اهـ .

قلت : وإذا عرفت ما تقدّم عرفت يقينا وجوب طلب شيخ التربية وما يلزمك من الآداب معه بعضه تقدم بنقل كلام المشائخ الأجلاء ، ولا تقل ذهب الرجال الكمل ، فقد تقدّم أن انقطاع مدد النبىّ لا يقوله مؤمن والأولياء ورثة الأنبياء ؛ فالتربية من الله إلى خلقه لا تنقطع أبد الآباد ، فكان فى الصدر الأوّل يرسل الأنبياء بالتربية والإرشاد ، كلما وقعت فترة رفعها بإرسال نبىّ . إلى أن ختم الرسالة بإرسال خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا « محمد » ﷺ ، فصار يبعث بالتربية العارفين أولى الإذن الخاصّ ، فكلما وقعت فترة رفعها ببعث ولىّ كامل مرشد ، فالفترة فترتان : فترة كفر ترفع بإرسال نبىّ ، وفترة إسلام ترفع ببعث شيخ مربّ ، وإليه يشير حديث « عُلَمَاءُ أُمَّتِى كأَنْبِياءِ بَنِى إِسْرَائِيلَ » وحديث « إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ فى كُلّ أُمَّةٍ مُجَدِّدًا » (١) الخ الحديث . ويروى « أن

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الملاحم باب مايذكر فى قرن المائة ١٠٦/٤ - ١٠٧ ح ٤٢٩١ - حدثنا سليمان بن داود المهرى أخبرنا ابن وهب أخبرنى سعيد =

الأرض لما توفى رسول الله ﷺ بكت فقالت : إلهى وسيدى بقيت لا يمشى على ظهرى نبىّ إلى يوم القيامة ، فأوحى الله تعالى إليها : سأجعل على ظهرك من هذه الأمة من قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا أخليك منهم إلى يوم القيامة » الخ الحديث . جعلنا الله من أكابرهم وأجلهم مقاما تجاه صفوة خلقه ﷺ .

وهذا آخر هذا الفصل ، والله الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

= ابن أبى أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافرى عن أبى علقمة عن أبى هريرة فيما أعلم عن رسول الله ﷺ قال إن الله يبعث لهذه الأئمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها .

وأخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الفتن باب ذكر بعض المجددين فى هذه الأمة ٥٢٢/٤ من طريق الربيع بن سليمان بن كامل المرادى ثنا عبد الله بن وهب إلى آخر سند أبو داود ولفظه وسكت عنه الحاكم والذهبى .

الفصل الثالث

وهو الفصل التاسع من فصول الكتاب
فى تحقيق الرؤية التى تدعى الرجال ، وما قال العلماء
فى رؤية ذات البارى جلّ وعلا

فأقول - وبالله التوفيق هو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :

اعلم أن القوم يتكلمون بألفاظ فى اصطلاحهم ليست على ظاهرها ، ولا يعرفها إلا من شرب من مشاربهم ، وربما أنكرها أعمى البصيرة المحروم نور التصديق ويستحيلون صدق ما يدّعون ؛ وربما أنكر المنكر بحجج داحضة حيث لم يهتد إلى الشئ المنكر فيعرف ما يدفعه به ، وإذا سمع أحدا يدّعى مشاهدة الحقّ يقول : قال الله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣] . والمشاهد لا يدّعى الإدراك ولا يرى الأبصار ولا يرى سِوًى ، وكل من يرى سوى مشهوده ولو ذرّة يعتقده هو لم ينف الشريك ، فمدّعى المشاهدة هو أتمّ الناس اعتقادا أن لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . وربما احتجّ المنكر بقوله تعالى ﴿ لَن تَرَانِى ﴾ الآية . واعلم أن قوله ﴿ ترانى ﴾ وقوله ﴿ فَسَوْفَ تَرَانِى ﴾ لا معارضة بينهما فافهم . واعلم أن الله يجذب عبده إذا تقرّب إليه بنوافل الخير حتى أحبه جذبا لا يعرف العبد فيه نفسه ولا غيره ولا أوّله ولا آخره ولا جزءه ولا كله ، يغيب عن شهوده ويستهلك فى شدّة استحضار مولاه جلّ وعلا ، فيشاهد فى ذلك الحال حضرة قبل الدنيا وبعد الآخرة وقبل القبل وبعد البعد ، ليس لها أوّل ولا آخر ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا كيف ولا انحصار ولا اسم ولا صفة

ولا مقابلة ولا مدابرة ولا اتصال ولا انفصال ولا داخل ولا خارج ولا حسّ ولا إدراك ولا حلول ولا اتحاد ؛ فنى المحبّ فى محبوبه ، وفنى فناؤه ، فلم يبق إلا الهوية ، وصاحب هذا يبرز منه كلام يقتضى عند من لا ذوق له دعوى المستحيل وأدبه فى ذلك مع الله كامل ، ولذلك قال أبو مدين الغوث :

فلا تلم السكران فى حال سكره　　فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا

ولا يدعة شيئا محالا ، إذ هو أدرى بمراد الحقّ جلّ وعلا ، وصاحب هذا المقام لا كلام له ولا عبارة إذ قد انقطعت العبارة ، فهذا الذى أشرنا إليه هى الرؤية التى تدعى الرجال ، وقد تقدّم من الآيات والأحاديث بما يدلّ على ذلك مافيه غنية وكفاية ، وإن سلمنا تسليما جدليا أنهم يدعون رؤية الله فما ادّعوها فى الدنيا ولا فى الآخرة . ورؤية الله تعالى من جملة الممكنات على مذهب أهل السنة كما سيأتى فى أنقال العلماء الأجلة وقوله : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣] عموم يقبل التخصيص ، وكرامة الولىّ تخصص العلوم القطعية ، فكيف بالعموم الظنى ؟ وإذا تمهد هذا فنأتى بما قال العلماء ونقدّم كلام الفقهاء قبل كلام الأئمة الصوفية . فقد قال بدر الدين العلامة ميارة فى شرحه على ابن عاشر مانصه ، ومن الممكنات الجائزة عند أهل الحقّ رؤية المخلوق لمولانا جلّ وعلا على مايليق به تبارك وتعالى من غير جهة ولا جرمية ولا تحيز ، لأنه تعالى موجود ، وكل موجود يصحّ أن يرى بالبصر ، واستدعاء الرؤية لمقابلة المرئى والجهة له والتوسط بين القرب جدا والبعد جدا إنما هو عادى يقبل التخلف ؛ وكما صحّ أن يعلم مولانا جلّ وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته من غير إحاطة ، فكذا

يصحّ أن يرى جلّ وعلا بالبصر على مايليق به تعالى ، وليست الرؤية بانبعاث شعاع يتصل بالمرئى حتى تستحيل رؤيته جلّ وعلا لاستحالة اتصال الشعاع به تبارك وتعالى ، إذ لو كانت الرؤية باتصال الشعاع بالمرئى لزم أن لا يرى الرائى إلا مقدار حدقته ، كيف وهو ينكشف للرائى فى نظرة واحدة أضعاف ذاته أضعافا لاحصر لها ، بحيث يقطع أنه لا يمكن أن ينفصل منه شعاع يتصل بأدنى شئ منها اهـ منه بلفظه .

وقال اللقانى كما فى شرح الشنوانى لمختصر البخارى :

ومنه أن ينظر بالأبصار لكن بلا كيف ولا انحصار

وقال فى الإضاءة :

ورؤية الإله بالأبصار تجوز عند أهل الاستبصار

وقال الشيخ الإمام القدوة الهمام سيدى أحمد الصاوى فى حاشيته على الجلالين مانصه عند قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣] قال الجلال : أى لا تراه ، وهذا مخصوص برؤية المؤمنين له فى الآخرة لقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣] . وحديث الشيخين « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ » وقيل المراد من قوله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ جمع بصر وهو حاسة النظر : أى القوّة الباصرة ، ويطلق على العين نفسها من إطلاق الحال وإرادة المحلّ إلى أن قال قوله : وقيل المراد الخ ، وعلى هذا فالنفى باق على عمومه فلا يحيط به بصر أحد أبدا لافى الدنيا ولا فى الآخرة، فلا ينافى أن المؤمنين يرونه فى الآخرة ، لكن بلا كيف ولا انحصار لوجود أدلة عقلية ونقلية ، أما النقلية فالكتاب والسنة والإجماع . والعقلية منها أن الله علق رؤيته على استقرار الجبل

وهو جائز ، والمعلق على الجائز جائز . ومنها لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها موسى ، إذ لا يجوز على النبىّ سؤال المحال إذ هو جهل ويستحيل على النبىّ الجهل . ومنها أن يقال الله موجود ، وكلّ موجود يصحّ أن يرى ، فالله يصحّ أن يرى خلافا للمعتزلة أو المرجئة والخوارج حيث أحالوا الرؤية مستدلين بظاهر هذه الآية وبقولهم : إن الرؤية تستلزم المقابلة واتصال أشعة بصر الرائى بالمرئى ، فيلزم أن يكون المرئى جسما وتعالى الله عن الجسمية ، وردّ كلامهم بما علمت وبأن التلازم عادى لا عقلى ، ويجوز تخلف العادة اهـ . ثم قال الإمام الصاوى بعد كلام : وأما رؤية قلوب العارفين له فى الدنيا بمعنى شهود القلب به فى كل شئ فهو جائز ، بل هو مطلبهم وغاية مقصودهم ومناهم ، قال :

أنلنا مع الأحباب رؤيتك التى إليها قلوب الأولياء تسارع

قال : وكذا رؤياه فى المنام اهـ منه بلفظه :

وقال الشيخ سيدى المختار الكنتى مانصه : فالأنبياء والأولياء يرون الله قبل كل شئ ، والصالحون يرون الله فى كل شئ ، والمؤمنون يرون الله بعد كل شئ ، ولذا قال ابن عطاء الله : من رأى الأكوان ولم ير الله قبلها أو بعدها أو فيها فقد أعوزه وجود الأنوار ، فالذين يظهر لهم قبل كلّ موجود هم الذين يستدلون به على خلقه ، والذين يظهر لهم فى كل ظاهر فهم الذين أفنوا الموجودات فى مشاهدته ، والذين يظهر لهم بعد رؤية خلقه فهم الذين يستدلون بآثار قدرته على وجوده وكمال صفاته ، قال الإمام الرازى : الظاهر والباطن اسمان مقترنان لا يصح إطلاقهما إلا على الله تعالى ، فهو الظاهر فى وجوده ومجده . والباطن بنفى التحديد والكيفية ؛ وقد فسره النبىّ ﷺ بتفسير هو أحسن مافسر به وهو قوله :

« أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَىْءٌ ، وأَنْتَ الباطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَىْءٌ » (١)

اهـ من الكواكب .

وقال فى الرسالة القشيرية مانصه : فصل ، فإن قيل هل تجوز رؤية الله بالأبصار اليوم فى الدنيا على جهة الكرامة ؟ فالجواب عنه أن الأقوى فيه أنه لا يجوز لحصول الإجماع عليه . ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يحكى عن أبى الحسن الأشعرى أنه قال فى ذلك قولين فى كتاب الرؤية الكبير ا هـ .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الذكر باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع ٢٠٨٤/٤ حدثنى زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ . وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ أقض عنا الدين وأغننا من الفقر . وكان أبو هريرة يروى ذلك عن النبى ﷺ وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الدعاء باب دعاء النبى ﷺ ١٢٥٩/٢ - ١٢٦١ ح رقم ٣٨٣١ - من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ . ثم ذكره .

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأدب باب مايقول عند النوم ٣١٤/٤ ح رقم ٥٠٥١ حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا وهيب ح وثنا وهب بن بقية عن خالد نحوه عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة ثم ذكره بمثل حديث مسلم مرفوعًا .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعاء باب رقم ١٩ ج ٥ ص ٤٧٢ ح رقم ٣٤٠٠ - حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا عمرو بن عون أخبرنا خالد بن عبد الله عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذ أحدنا مضجعه أن يقول ثم ذكره بنفس رواية مسلم وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه أحمد فى المسند ٣٨١/٢ من طريق وهيب عن سهيل إلى آخر طريق الترمذى وبنفس رواية مسلم مرفوعًا .

قلت : وقد صحّ أن النبىّ ﷺ رآه ليلة الإسراء ، وما جاز أن يكون معجزة النبىّ يجوز أن يكون كرامة لولىّ ، ولا فرق بينهما إلا التحدّى على الصحيح المقبول .

قال الشيخ الإمام العلامة محمد اليدالى فى شرح خاتمة التصوّف مانصه : كلّ ماكان معجزة لنبىّ جاز أن يكون كرامة لولىّ ولا فرق بينهما إلا التحدّى ، هذا هو الصحيح وهو مذهب الجمهور ، ورجحه الغزالى والفخر الرازى والبيضاوى والنسفى والطوسى وإمام الحرمين وابن الصلاح وابن فورك والطبرى وأبو نصر بن القشيرى والعراقى واليافعى والزركشى وابن جماعة ، ومن حجتهم حديث « رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ لَوْ أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّه ، فإن الإبرار المذكور عامّ فى كلّ مقسم به من إحياء الموتى وغيره » اهـ منه .

وقال العلامة الأبىّ فى إكمال الإكمال عن القرافى : وإذا قبل خبر الولىّ فى الكرامة الخارقة للعادة المخصصة للعلوم القطعية فكيف بتخصيص العموم الذى لا يفيد إلا الظنّ . قال : وأما من ادعاه ممن ليس من أهله كالعاصى والمقصر فإنا نكذّبه . قال فى الفروق : ورؤية الله تعالى على ما يليق به فى النوم يجوّزونها فى الدنيا كما يجوّزونها فى الآخرة ، ولكن من ادّعى هذه الحالة وهو من غير أهلها من العصاة والمقصرين كذبناه ، ومن ادّعاها من الأولياء المعينين لانكذّبه ونسلم له حاله ، وقوله تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ فيه تأويلات وهو عموم يقبل التخصيص ، وإخبار الولىّ الموثوق بدينه المبرز فى عدالته يصلح لتقوية بعض التأويلات ولتخصيص هذا العام ، وخبر العدل مقبول فى تخصيص العموم ونحن نقبل خبر الأولياء فى وقوع الكرامات التى هى خوارق العادات المخصصة للعلوم القطعيات ، فكيف بتخيص العمومات التى لا تفيد إلا الظن اهـ منه بلفظه .

وقال الشيخ سيدى المختار الكنتى كما فى الكواكب بعد كلام : ومثاله ، يعنى ظهور الحقّ وبطونه أن أظهر الأشياء التى تدرك بالحواسّ نور الشمس وقد لا يدركه العميان ولا يحققه العشيان ، وربما عشيت الأبصار الصحيحة عند إرادة نور تحقيق نورها مع علم الجميع بنورها ووجودها ، فكذلك ذات البارى جلّ وعلا فإنها ظاهرة لكل أحد معروفة بالكمال والجلال ، لكنهم ضلوا عن تحقيقها بالعلل الخارجية عن الذات وعن موجبات الصفات ، فضلوا فى مفاوز الضلال . وإنما تعرف الأشياء بأضدادها ، فلو كان ضوء الشمس لا ليل معه ولا كثيف يحجبه لتهاون الناس بالنور ولجعلوه غير شئ ، وفى مثل هذا يقول البوصيرى برّد الله ضريحه :

واختفى منهم على قرب مرآ ٥ ومن شدّة الظهور الخفاء

قلت : وهذه الرؤية التى تنازع العلماء فيها فى إمكانها وعدم إمكانها ليست هى الرؤية التى يدّعى أهل الفناء فى ذات الحقّ جلّ وعلا ، فإن رؤيتهم ليست بالبصر ولا بالقلب ، بل بعين الحقّ جلّ وعلا ، وهذه العين ترى من حيث لا رؤية ولا راء ، وإليه يشير الإمام الجيلى رضى الله عنه بقوله :

فلله خلف الاسم والوصف مظهر وعنه عيون العالمين هواجع
وإياك أن تستبعد الأمر إنه قريب على من فيه للحقّ طابع
فليس يرى الرحمن إلا بعينه وذلك حكم فى الحقيقة قاطع

وقال إمام العاشقين :

فلا تك ممن طيشته طروسة بحيث استقلت فهمه واستفزّت
فثم وَراء العقل علم يدقّ عن مدارك غايات العقول السليمة
تلقيته منى وعنى أخذتَه ونفسى كانت بالعطاء ممدتى

وقال بعض العارفين :

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالغير دون الله إن حققته عدم على التفصيل والإجمال
واعلم بأنك والعوالم كلها لولاه فى محو وفى اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا بأن لم يشهدوا شيئا سوى المتكبر المتعالى
ورأوا سواه على الحقيقة باطلا فى الحال والماضى والاستقبال

وقال آخر :

مذ عرفت الإله لم أر غيرا وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا فأنا اليوم واصل مجموع

وقال آخر :

سرّ سرى من جنات القدس أفنانى لكن بذاك الفنا عنى قد أحيانى
وردّنى للبقا لكى أعبر عن جمال حضرته لكلّ هيمان
فطرت فى ملكوت من عجائبه لم ألق غير وجود ماله ثان

وقال آخر :

كانت لقلبى أهواء مفرّقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى

وغير ذلك من عبارات القوم التى مددها تيار بحر التوحيد الخاصّ .

قال بعضهم :

عبارتنا شتى ومعناك واحد وكلّ إلى ذاك الكمال يشير

فمن كان فيه شئ من قابلية العلم يعلم بالوقوف على ما سطرناه أن كلام المجاذيب مبنى على أساس متين ، وكلهم عند ذى العرش مكين ، ومعبر عن نور قلب مبين ، فالمنكر عليهم فى ضلال بعيد وهو مخروم ، وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، نعوذ بالله من الجراءة على الله

تعالى ، ومن الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء ، ومن البعد بعد القرب والسلب بعد العطاء أنا وسائر إخوانى المؤمنين والمؤمنات بجاه الحجاب الأعظم وعين المعارف الأقوم ، ﷺ وشرّف ومجد وكرّم وعظم .

فنهج سبيلى واضح لمن اهتدى ولكنما الأهواء عمت فأعمت

وإلى الله الشكوى من قوم نحن بين ظهرانيهم لا يعلمون ولا يتعلمون ولا يسألون ولا يصدّقون ولا يسلمون ولا يسكتون ، كلهم أجهل الجهلاء ويرى أنه أعلم العلماء ، وكلهم أجرأ على الإفتاء ولا يعلم مافى الإفتاء بغير علم ، وأسرع للتكفير ولا يعلم حدّ الكفر ولا مافى التكفير من الوعيد ، إذ قد صحّ عن خير المرسلين « مَنْ قالَ لأخيهِ يا كافِرُ فَقَدْ باءَ بِها أحَدُهُما » أى إن لم يكن كافرا فهو كافر ، نعوذ بالله من الجهل ، وقال ﷺ « مَنْ قالَ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أهْلَكُهُمْ » (١) .

وقال شيخنا رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين : إن لنا مرتبة عند الله تعالى تناهت فى العلوّ إلى حدّ يحرم ذكره وإفشاؤه وليس هو

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب البر باب النهى من قول هلك الناس ح رقم ٢٦٢٣

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأدب باب رقم ٨٥ ج ٤ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ حديث رقم ٤٩٨٣ من طريق موسى بن إسماعيل ثنا حماد عن سهيل إلى آخر طريق مسلم ولفظه .

وأخرجه الإمام مالك فى الموطأ كتاب الكلام باب مايكره من الكلام ٧٥١/٢ حدثنا مالك عن سهيل إلى آخر طريق مسلم وعزاه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى محقق الكتاب إلى مسلم فى صحيحه .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٢٧٢/٢ ، ٣٤٣ ، ٤٦٥ ، ٥١٧ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

ما أفشيته لكم ، ولو ذكرته لأجمع أهل الحقّ والعرفان على قتلى فضلا عمن عداهم ، ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يحافظ على خواطر أصحابنا بالتغيير يحلّ عليه الهلاك والعياذ بالله تعالى . نجانا الله من بلواه وجعلنا ممن اجتباه ووالاه ، ونظمنا فى سلك زمرة خاصة الخاصة من أصحاب الختم التجانى ، وسقانا من بحره بأعظم الأوانى ، وجمعنا به وبجدّه العدنانى فى دار التهانى ، إنه تعالى ولىّ ذلك والقادر عليه .

وهذا آخر الفصول ، والله الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

* * *

الخاتمة

فى ذكر مستندنا فى الطريق التجانية ذات الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية وفى علومها وفى أسرارها

فأقول - وبالله التوفيق وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق .

لاخفاء أن الطريقة التجانية أفضل الطرق ، والفرقة المتمسكون بها هم أمثل الفرق ، إذ هى طريقة أحمدية محمدية إبراهيمية ، فظاهرها آداب الشريعة . وباطنها نتيجة الحقيقة ، إذ لاتجد فيها شيئا من أعمالها ووظائفها إلا شيئا أمر الله به فى كتابه العزيز تصريحا ، ولا تجد فيها إلا ما يرضى الله جلّ جلاله قولا وفعلا ، تصريحا أو تلويحا ، إذ الورد التجانى الاستغفار والصلاة على النبى ولا إله إلا الله وآيات من القرآن يقرأ صباحا ومساء ، ومع ذلك فهو مأخوذ عن النبى ﷺ يقظة لا مناما ، وهو الذى بنى أساسه بيده الكريمة ، ورتبه لإمامنا كرامة لهذه الأمة المرحومة ، ومنذ أبرزه الله للوجود وأتحف به من بحر الجود ، فنفعه للعباد مشهود ، قد انتفع الناس به قديما وحديثا فى الظاهر والباطن فى سائر أقطار الأرض فى البلدان والمواطن ، فلم يزل يشاهد عبد مغفل فى غاية البعد عن مولاه ، بل يحارب الله ويحارب من والاه ، فيلقى هذا الإمام أو أحدا من تلامذته ، فيقذف الله فى قلبه محبة هذا الإمام ويتلقى منه هذا الورد فينقلب حاله فيصير من عباد الله الكرام ، يتطهر ويقيم الصلوات ويصوم ويحبّ أهل الله ويحبّ أفضل الأنام ، فلا يمضى يسير من الزمان إلا وتبين أنه من المصطفين الأخيار ، وهذا أمر شاهده كل من عرف طريقة هذا الهمام ولو كان من أعدائها اللئام ؛ فيتعين على كل من عرف هذا الفضل الجزيل أن يتنافس فى هذا الورد الجليل .

هذا ، وقد ساقنى سائق السعادة بفضل مدبر الغيب والشهادة إلى هذه الحضرة الأحمدية التجانية ، والانخراط فى سلك هذه السلسلة المحمدية الربانية فتلقيت هذا الورد العظيم والفضل الجسيم من فريد دهره وحجة أهل عصره وزمزم أوراده وأسراره ومجمع أذكاره وأنواره ، شيخى ووالدى العالم العلامة والقدوة الدراكة الفهامة خليفة الشيخ التجانى بلا ريب وحامل راية طريقه فى بلاد الغرب ، ألا وهو الشيخ الإمام وأحد الأولياء الجامع بين الشريعة والحقيقة ، فصار بذا خِرِّيت الطريقة « الحاج عبد الله بن السيد محمد » لا يزال ربه الكريم يرقيه إلى المقام الأحمد .

حلف الزمان ليأتينّ بمثله　　　كذبت يمينك يازمان فكفِّر

وربانى بهذا الورد الأحمدى ، وتولى تربيتى وتعليمى ، قد تلقيت منه بحمد الله فرائد الفوائد وصلات الأسرار والأذكار والعوائد ، وهو مقدّم فى الطريقة ، له الإذن المطلق من أهله وكلّ شيوخه أجازه وأطلق ، حتى اجتمع عنده إحدى عِشرة سلسلة مابين مطلق ومقيد ، وسلاسله مشهورة قد نظمها بعض الإخوان تحفة لسائر الأقران . وتوفى رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين ، جازاه الله عنى وعن المسلمين خيرا ، وقد اتفق أنه أتاه أحد مشائخ الطريقة وورثة أسرارها على الحقيقة ، وهو الشريف المنيف والعلامة الغطريف سيدى « محمد محمود الشنجيطى التيشيتى » ابن العلامة محمد الصغير ابن الشيخ أحمد الصغير ، فقدّمه الشيخ الوالد بجميع ماعنده وأشار له أنه فعل ذلك ليعطينى الإذن المطلق وصرّح بأنى أهل لذلك ، وقال له فى ذلك بعض أهل الكشف الصحيح : لا حاجة له بتقديم مخلوق فقد قدّمه الخالق تعالى ، هذا وأنا حينئذ صغير . ولما توفى الوالد أتانى الشريف المذكور فقدّمنى كما أوصاه الوالد تقديما

مطلقا كما أطلق الوالد أشياخه أطلق له وأطلق لى ، ولله الحمد أوّلا وآخرا .

ونصّ إجازته : بسم الله الحمد لله اللهمّ صلّ على سيدنا محمد وسلم ؛ وبعد فيقول أفقر العبيد إلى الله تعالى « محمد محمود » بن محمد بن أحمد الصغير : إنى أذنت لأخى فى الله والرسول وفى الشيخ « إبراهيم بن الحاج عبد الله » تلقينا وتقديما ، وأطلقت له الإذن فى جميع ماصحت لى به الرواية عن الشيخ ، كما أجازنى فى ذلك وأطلقنى الشيخ الحاج عبد الله ، قال فى إجازته لى : ولقد مَنّ الله علىّ بملاقاة أجلاء من أكابر أصحاب الشيخ رضى الله عنهم وشافهتهم بالأسرار والمعارف وقدّمونى باجازاتهم الصحيحة ، فقلت أجزت وأذنت هذا الأخ المحبّ بحسب ما أجازونى فيه من الأسرار والدعوات والأسماء وسرّ الاسم الأعظم وسورة القدر وحزب البحر والفاتح بمراتبها الثلاث ومفتاح القطبانية وكلّ سرّ ثبت عن الشيخ ، وآخذ العهد عليه بتقوى الله ، وأن لا يطلب بهذا إلا وجه الله الكريم ، وأن لا يعطى السرّ إلا من يستحقه ، وحسبى الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما . ووقع كتب هذه الإجازة ضحوة يوم الخميس عام ١٣٤٠ ، وهو عام وفاة الوالد ، وهو عام شمس ألف وثلاثمائة وأربعين ، وحصل لى الإذن من الشيخ بنفسه ، لقيته فى حال المنام وهو منام كاليقظة ، وفعل لى ذلك مرارا ، ولقيت والدى مرارا يقول لى : كل ما تركت فهو لك فخذه من غيرك ، وأشياء لاتكتب هنا . ووقع لى الإذن المطلق من أعجوبة الزمان ، من أشار له بالولاية الكبرى كلّ بنان ، العارف الربانى ووارث تربية الإمام التجانى من معارفه وحقائقه ، طارت بها الركبان ولا يخفيها الخفاء ولا الكتمان ، شيخى وسندى ومولاى « الحاج عبد الله » ابن الحاج العلوى ، وذلك

عن شيخه الشيخ أحمد ، وذلك عن شيخه الشيخ محمد الملقب ببدّ بن سيدين ، وذلك عن شيخه الشيخ محمد الحافظ ، وذلك عن الختم التجانى رضى الله عن الجميع آمين ونفعنا بهم آمين . وهذا الشيخ انتفعت على يده بعلوم وأسرار لا تكتب فى الأوراق ولا تنظر بالأحداق وعليه اعتمادى فى باب الأذواق ، إذ هو الحجة فى ذلك فى عصره رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين .

ونصّ إجازته : بسم الله الرحمن الرحيم المعلوم ، من أمر بالصلاة على السيد المكتوم ، والحمد لله حقّ حمده الكائن منه له ، والصلاة والسلام على من أصلا جعله ؛ وبعد : فقد أمرنى شيخى ووالدى ومرشدى الحاج عبد الله بن الحاج أن أكتب لإبراهيم بن الحاج عبد الله أنه أذن له فى إرشاد الخلق وتربيتهم بالقول والعمل ، وتلقين الأوراد والأذكار اللازمة وغير اللازمة عموما وخصوصا فى كل ماصحت له به الرواية عن الشيخ رضى الله تعالى عنه إذنا شاملا ، وأنه أجازه إجازة مطلقة تامة متصلا حبله فيهما بحبله إلى يوم الدين بل أبدا ، مع أنه رآه أهلا لذلك كله ، وكتب شاهدا على جميع ذلك محمد عبد الرحمن بن الحاج عبد الله بن الحاج عام ١٣٤٥ . ووقع لى الإذن المطلق من طريق العلامة العارف بالله « سيدى محمد الكبير » بن السيد أحمد بن محم ابن العباس العلوى ، وهو عن شيخه الشيخ أحمد بن بدّ ، عن شيخه الشيخ محمد ، عن الشيخ محمد الحافظ ، عن الختم التجانى رضى الله عن الجميع . وله : أى السيد محمد الكبير إجازات من طرق بعضها يتصل إلى سيدى موسى بن معزوز ، وبعضها إلى سيدى ومولاى محمد ابن أبى النصر ، وبعضها إلى السيد الحاج عبد الوهاب بن الأحمر رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم آمين .

ونصّ إجازته : الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ، وبعد : فقد أجزت أخانا الفاضل العلامة الواصل ، من جمع بين علمى الشريعة والحقيقة ، خريت الطريقة فى كل ماصدر من الشيخ التجانى من الأذكار اللازمة وغير اللازمة ، إذنا تاما عاما خاصا ، كما أجازنى سيدى الغالى بن موسى بن معزوز ، عن أبيه ، عن شيخنا التجانى رضى الله عنهم وأرضاهم وعنا بهم قال : إنه أجازه أبوه ومولاى محمد بن أبى النصر ، والثالث نسبته أنا وأظنه عبد الوهاب بن الأحمر كل واحد أجازه عند موته « ح » أى تحويل ، وكما أجازنى شيخى أحمد بن بد ، عن أبيه ، عن الشيخ محمد الحافظ ، عن الشيخ التجانى عن رسول الله ﷺ ، والمجازى هو السيد المذكور ، أوله إبراهيم ابن العارف الكامل الشيخ الواصل الحاج سيدى عبد الله أنيس لازال يترقى فى حضرة القدس ، وأذنته أن يأذن من كان أهلا لما ذكر ، وكتبه آذنا ومجيزا محمد الكبير بن أحمد بن محم بن العباس العلوى التجانى ، كان الله لهم بمنه آمين فى ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ اهـ .

ووقع الإذن المطلق للعبد الفقير أيضا عن الخليفة الأكبر والعلم الأشهر والكبريت الأحمر والبدر المنير الأزهر الشيخ الأغرّ محمد سعيد ابن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ، عن والده سيدى أحمد ، عن شيخه بد ، عن جدّه الشيخ محمد الحافظ ، عن الختم التجانى رضى الله عنهم وأرضاهم وعنا بهم آمين .

ونصّ إجازته : الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وبعد : فيسلم الكاتب على حبيبه وخليله السيد الأديب الأريب الشيخ بن الشيخ عبد الله إبراهيم ، لازلنا وإياه فى عون من الكريم ، فمن الواجب السؤال عن حالكم وحال عيالكم وحال من

معكم من التجانيين ، جعلنا الله وإياكم من خاصة الخاصة منهم ، ومن الموجب أنى أطلقت لكم الإذن فى طريقة شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدى أحمد التجانى أخذا وإعطاء ، فالعامة للعامة ، والخاصة للخاصة ، وهذا سرّ السرّ ، لأنى أحببت أن أكون من سلسلتك كى أحظى بدعوتك ، وأحببت أن تكون بينى وبينك خاصية ، وأحبّ أن تكون من جهة الآخرة ، لأن الدنيا أصغر عندنا من المكاتبة لكم ، وأعلمكم بشئ أرجو من الله أن يجعلكم من أهله ، وهو إعلامكم بأنى من أصغر أولاد والدى ، وحين خلفنى عليهم صرتُ لهم تلميذا ووالدا ، فحين فعلت ذلك صاروا هم لى أولادا وتلامذة ، ولا تلتفتوا إلى قول الناس واستعينوا بالله فى كل ما أهمكم ، جزاكم الله عنا وعن المسلمين خيرا ، وكتب أخوكم ومحبكم محمد سعيد بن أحمد بن محمد الحافظ ، انتهى من خطه مباشرة ومعه طابعه عام ١٣٤٩ :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فجزى الله عنا ساداتنا خيرا ورضى عنهم وأرضاهم . وانتسابنا اليوم حقا وسندنا عن الشيخ الختم التجانى من غير واسطة ، إذ هو ولله الحمد حاضر معنا دائما ولله الحمد وله المنة .

يحكى أن أبا الحسن الشاذلى سئل عن شيخه فقال : كنت أنتسب إلى مولاى « عبد السلام بن مشيش » واليوم أعوم من عشرة أبحر : خمسة من الآدميين : « محمد » ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ رضى الله عنهم . وخمسة من الروحانيين : جبريل ، وميكائيل ، وعزرائيل ، وإسرافيل والروح . قلت : ونحن من بحر واحد لا ساحل له ولا غاية ولا أمد ولا انتهاء ، وذلك البحر يستمدّ من بحر لا ساحل له

ولا غاية ولا أمد ولا انتهاء ، ويمدّه بوسعه ، وذلك يستمدّ من حضرة الإطلاق ويمدّه بوسع ربوبيته ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [سورة المطففين : ٢٦] .

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وهذا آخر الكتاب . والله الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

وقيده بإذن الحضرة الكتمية ومددها ، العبد الفقير إلى رحمة الرحيم ابن الشيخ الحاج عبد الله إبراهيم لا يزال فى جمال مولاه يهيم .

وسوّدته فى تسعة أيام فى زمن الجهل وتراكم الظلام وكثرة اشتغال الأنام وجمود العقل وفتور الفكر وخمود الفطنة ، معتذرا عند ذوى الألباب من التقصير الواقع فى هذا الكتاب ، والله أسأل أن ينظر بعين الرضا والصواب .

فعين الرضا عن كلّ عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

على أن من نظر بعين الرضا يرى أنه من فيض الختم التجانى صاحب السرّ الربانى ، لكونه جامعا لزبدة الكتب المؤلفة فى هذا الفنّ ، وقلّ أن تجد مجموعا يحتوى على ما احتوى عليه هذا المجموع ، فمن دقق النظر وأنصف يعلم يقينا أنه ألفه الشيخ التجانى بيده .

وأسأل الله تعالى متوسلا به وبخاتم أنبيائه وبخاتم أوليائه أن ينفعنا وينفع به جميع المسلمين ويتقبله منا بقبول حسن ، ويبارك فيه بركة عظيمة حتى يبارك فى كل مكان حل فيه ، ويدارك به الطريقة وأهلها وينظمها فى سلك الختم الكريم ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [سورة الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] .

وكان الفراغ من تسويده عشية يوم الجمعة لاثنتى عشرة بقيت من المحرم الحرام عام ١٣٥٠ بمدينة كولخ والسلام .

* * *

تم بحمد الله وحسن عونه « كاشف الإلباس »

ويليه :

تذييل للمؤلف

تذييل
كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبى العباس
للمؤلف

ATC for
SHEIKH MAHY CISSE

ATC for
SHEIKH MAHY CISSE

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بعد حمده بما يليق بجلاله ، وصلاته على صفوة رجاله وعلى سائر صحابته وآله ، فهذا تذييل ألحقته بتأليفنا « كاشف الإلباس » ويشتمل على فصول ، ولنفاسته لا يستغنى عنه من يرغب فى علوم الطريقة ، والله أسأل أن يقبل لنا وعلينا فى البدء والختام ، فهو المبدئ المعيد الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد . فأقول - وبالله التوفيق وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق :

نقل فى الجيش كلام الشيخ سيدى المختار الكنتى فى جنة المريد ، ونصه : والعجب كل العجب من إنكار القراء من أهل العصر لكرامات الأولياء وادعائهم انقطاع التربية من سنة نيف وثمانمائة معتمدين بزعمهم على ماحكى عن زروق رحمه الله تعالى من قوله : انقطعت التربية الخ ، ولا شبهة لهم فى ذلك لأنه إنما حكى انقطاعها من المغرب وهو أمر جائز فى زمن مخصوص بقطر مخصوص ، إذ لا قائل بوجود المربى فى كل قطر ولا بلزومه بقطر واحد فى كل زمن ، بل الذى أجمع عليه محققو السلف والخلف وجود قائم بأعباء التربية من غير تعيين لعدد بخصوصه أو قطر ، فانقطاعها من المغرب وفقد القائم فيه بأعبائها لا يقدح فى إجماع العلماء على وجوده فى الجملة لصحة قيام مربّ فى التكرور مثلا أو فى مصر أو الحرمين أو الشام أو العراق منفردا أو متعدّدا بمواضع أراد الله تعالى انتفاع أهله على يديه باظهاره وكشف الحجاب دون خصوصيته لأهل بلدته ، أو بموضع قضى الله تعالى بحرمان ساكنيه وطردهم عن حضرته بعدم نفعهم على يديه لسدل حجاب البشرية دون

خصوصيته فيقول معاصروه ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٣٣] . لاسيما القرّاء المنتسبون لفضيلة رسم العلوم الذين قيل فى مثلهم :

قالوا فلان عالم فاضل   فأكرموه مثل ما يرتضى

فقلت لما لم يكن ذا تقى   تعارض المانع والمقتضى

فانكار مثل هؤلاء لمثل وجود المربين وحكمهم بانقطاع التربية مجازفة على الشارع ومصادمة لصريح النصّ .فإن يكونوا منكرين لأصل الولاية ووجود الأولياء رأسا فلا كلام معهم لكفرهم لتكذيبهم ماينيف على مائتى آية من كتاب الله عزّ وجلّ مابين صريح واقتضاء وأكثر من ثلاثمائة حديث . وإن كان إنكارهم لها من جهة دعوى الانقطاع من كل الوجوه ، فهى دعوى أيضا يكذّبها أنه لا يخلو إما أن يدّعوا انقطاع الدين من أصله أو لا يدعوه ، فإن ادّعوا انقطاعه كلفوا بالحجة ، ولا حجة لهم من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع ، بل يحجبهم ويكذبهم غير ماحديث . فمنها قوله ﷺ « أُمَّتى كالغَيْث لا يُدْرى أوَّلُهمْ خَيْرٌ أَمْ آخرُهُمْ » (١) . ومنها حديث « لا تَزَالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتى على الحَقّ ظاهِرِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خالَفَهُمْ وَخذَلَهُمْ حتَّى يأتِىَ أَمْرُ الله وَهُمْ على

---

(١) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب الأمثال باب رقم ٦ ح رقم ٢٨٦٩ - حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن يحيى الأبح عن ثابت البنانى عن أنس قال قال رسول الله مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره وقال أبو عيسى وفى الباب عن عمار وعبد الله بن عمرو وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٤٣/٣ من طريق حسن بن موسى ثنا حماد بن يحيى إلى آخر طريق الترمذى ولفظه .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الفضائل باب ماجاء فى فضل الأمة ٦٨/١٠ عن عمار بن ياسر بنفس رواية الترمذى وعزاه إلى أحمد .

ذلكَ » وإن ادّعوا انقطاع مذهب التصوّف دون غيره من عَلوم الرسوم فشواهد الكتاب والسنة صادحة عليهم بالتثريب والتفنيد والتكذيب ، إذ حاصل علم الحقيقة باطن علم الحقّ ، والرسول ﷺ يقول « إنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً » (١) وقد مثل شارحوا الحديث ذلك بالقشر واللبّ ، فالشريعة قشر والحقيقة لبه . فلبّ لا قشر له مبتذل فاسد ، وقشر لا لبّ له تحته باطل كاسد ، وإلى ذلك تشير آية ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [سورة البينة : ٥] . فأخبر عزّ وجلّ بقصر التعبد على إمحاض العبودية بالإخلاص الذى هو عبارة عن النية الخالصة المجرّدة عن شوائب الرياء من ابتداء الفعل إلى انتهائه . وأخرج مسلم رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إنَّ الله لا يَنْظُرُ إلى أجْسامِكُمْ وَلا إلى صُوَرِكُمْ وَلكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ » (٢) ومعلوم ضرورة أن صلاح القلوب

---

(١) أخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٦٦/٣ معجم الحارث ابن النعمان رضى الله عنه .

وابن أبى شيبة فى المصنف كتاب الرؤيا ٤٣/١١ ح رقم ١٠٤٧٤ وأورده علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ٣٥٣/١٣ ح رقم ٣٦٩٩٠ عن أنس وعزاه إلى العسكرى فى الأمثال .

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب البر باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ١٩٨٦/٤ - ١٩٨٧ حدثنى أبو طاهر أحمد بن عمرو بن سرح حدثنا ابن وهب عن أسامة وهو ابن زيد أنه سمع أبا سعيد مولى عبد الله بن عامر ابن كريز يقول سمعت أبا هريرة يقول قال قال رسول الله ﷺ إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » وأشار بأصابعه إلى صدره .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الزهد باب القناعة ١٣٨٨/٢ ح ٤١٤٣ - حدثنا أحمد بن سنان ثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان ثنا يزيد بن الأصم عن أبى هريرة رفعه إلى النبى ﷺ قال إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم . وأحمد فى المسند ٢٨٥/٢ بنفس طريق ابن ماجه ولفظه . ص ٥٣٩ بنفس الطريق .

ذلك ، وإن كان الظاهر غير متلبس بكبير عبادة ، ولذلك كان صاحبها يصوم ويفطر ويقوم وينام ويقارب النساء ويأتى بسائر وظائف الشرع التى تضادّ رياضة الأبدان انتهى . قال : وقد كان شيخنا أبو العباس سيدى أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه يقول : الشكر باب الله وهو أقرب الأبواب إليه ، ولذا قعد الشيطان عليه ، قال تعالى حكاية عنه ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦] . ومن لم يدخل من باب الشكر فى هذا الزمان لم يدخل ، لأن النفوس قد غلظت فلا تنزجر بمحاسبة ولا مناقشة ، ولا تتأثر برياضة . فإذا استغرقها الفرح بالمنعم غابت عن ذلك كله وطوت مسافتها انتهى منه بلفظه . وفى روح البيان فى تفسير القرآن للشيخ العلامة الجامع بين الشريعة والحقيقة خاتمة المفسرين إسماعيل حقى البروسى قدّس سرّه آمين عند قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٨١] . مانصه : وعنه عليه الصلاة والسلام « إنَّ مِنْ أُمَّتِى قَوْمًا على الحَقّ حتَّى يَنْزِلَ عِيسَى عليه السلام » (١) والمراد لا يخلو زمان منهم ، وفى الحديث « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى لا يُقالَ فى الأَرْض الله الله » . قال الشيخ الكبير صدر الدين القنوى قدّس سرّه : أكده بالتكرار ، ولاشك أن لا يذكر الله ذكرا حقيقيا وخصوصا بهذا الاسم الأعظم

---

(١) أورده السيوطى فى تفسيره الدر المنثور فى التفسير بالمأثور سورة الأعراف قوله تعالى وممن خلقنا أمة ١٤٩/٣ عن الربيع وعزاه إلى ابن أبى حاتم .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره القرآن العظيم سورة الأعراف قوله تعالى « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وهم يعدلون » ١٦٢٢/٥ ح ٨٥٨٩ حدثنا على بن الحسين ثنا محمد بن أبى حماد ثنا مهران عن أبى جعفر عن الربيع بن أبى أنس ثم ذكره .

مِنَ السَّبْعَةِ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَه مِنَ الأَرْبَعِينَ ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الأَرْبَعِينَ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلَاثِمَائَةِ ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلَاثِمَائَةِ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ العَامَّةِ ، يَدْفَعُ اللهُ بِهِمُ البَلَاءَ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ » . والواحد المذكور فى هذا الحديث هو القطب وهو الغوث ، ومكانه ومكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها به يقع صلاح العالم . ورووا عن أبى الدرداء أنه قال : إن لله عبادا يقال لهم الأبدال لم يبلغوا مابلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ، ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور والرحمة لجميع المسلمين ، واصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه ، وهم أربعون رجلا على مثل قلب إبراهيم ، لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه ، واعلم أنهم لا يسبون شيئا ولا يلعنونه ، ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ، ولا يحسدون من فوقهم ، أطيب الناس خبرًا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا ، لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم ، إنما قلوبهم تصعد فى السقوف العلى ارتياحا إلى الله تعالى فى استباق الخيرات ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ انتهى كلامه .

قال الإمام أبو المواهب التونسى رضى الله عنه فى بعض وصاياه : واحذروا من قولكم ذهب الأكابر والصادقون من الفقراء ، فإنهم ماذهبوا حقيقة وإنما هم ككنز صاحب الجدار ، وقد يعطى الله من جاء فى آخر الزمان ماحجبه عن أهل العصر الأوّل ، فإن الله تعالى قد أعطى محمدا ﷺ مالم يعط الأنبياء قبله ، ثم قدّمه فى المدح عليهم . وقال أيضا كما فى رسالة قوانين الإشراق إلى كل الصوفية فى جميع الآفاق : لا تقل إن تأخر الزمان يوجب ذهاب الأعيان ، لكنهم والله فى هذه الأعصار ككنز صاحب الجدار :

ليس إلا لأنهم حسدوا الحيبى ورقوا على العظام الرميم

وأنشدنى أيضا :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى خبثا ولؤما فإذا ماذهب

لجّ به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب

والمراد من ذلك كله النظر بعين الإنصاف من المعاصرين وغيرهم ، فإن الإخلاص والإنصاف هو المقصود من العلم انتهى منه بلفظه . وقال الإمام الحكيم الترمذى فى كتابه نوادر الأصول فى الأصل الثانى والعشرين والمائة فى أن خير هذه الأمة أوّلها وآخرها وفى وسطها الكدر . وفى رواية ابن عمر رضى الله عنهما « مَثَلُ أُمَّتى مَثَلُ المَطَرِ لا يُدْرَى أوَّلُهُ خَيْرٌ أمْ آخِرُهُ » (١) . وعن عبد الرحمن بن سمرة (٢) رضى الله عنه « بعثنى خالد بن الوليد بشيرا إلى رسول الله ﷺ يوم مؤتة . فلما دخلت عليه قلت يارسول الله ، فقال : على رسْلِكَ ياعَبْدَ الرَّحْمَن . أخَذَ اللِّوَاءَ زَيْدُ بْنُ حارِثَةَ فقاتَلَ زَيْدٌ حتَّى قُتِلَ رَحِمَ الله زَيْدًا ، ثُمَّ أخَذَ اللِّوَاءَ

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الأمثال باب رقم ٦ ح ٢٨٦٩ ح ٥ ص ١٥٢ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

وأخرجه أحمد فى مسنده ١٤٣/٣ مسند أنس بن مالك رضى الله عنه من طريق حسن بن موسى حدثنا حماد بن يحيى إلى آخر طريق الترمذى ولفظه .

وأورده السيوطى فى كتابه الحاوى على الفتاوى ح ٢ ص ١٩٥ والخطيب البغدادى ح ١١ ص ١١٤ والعجلونى فى كشف الخفاء ٢٧٦/٢

(٢) قول النبى ﷺ على رسلك لم أقف عليها عن سمرة لكن قالها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فيما أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب دعوة اليهود ٥٨/٤ .

وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٠٧/٩ كتاب السير باب دعاء من لم تبلغه الدعوة من المشركين .

كما وصفهم الله تعالى فى كتابه ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة : ٣١] والفقيه إذا كان مبغوضا عند الناس ، فما ظنك بالعالم بالله ؛ ألا تراهم إذا وجدوا الرجل كاملا فى العلوم الظاهرة والباطنة متفرّدا فى فنه متميزا من جنسه متفوقا على أقرانه ، فمن قائل فى حقه إنه زنديق ، ومن قائل إنه مبتدع ، وقلما تسمع من يقول إنه صدّيق ، فانظر إلى غيرة الله تعالى كيف ستره الله عن الأغيار وأخفى سرّه عن الأشرار . قال رويم من المشايخ الكرام : لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا ، فإذا اصطلحوا هلكوا ، وذلك لأنه لو قبل بعضهم بعضا لبقى بعضهم مع بعض ، وسكن بعضهم إلى بعض ، والسكون إلى غير الله تعالى عند الخواصّ من قبيل عبادة الأصنام عند العوامّ ، وهذا التبرّى بين الصوفية المحققين ليس كالتبرّى بين اليهود والنصارى ، لأن تبرّيهم فى الحقّ للحقّ ، وتبرّى هؤلاء فى الباطل للباطل .

والحاصل أن من الاختلاف ماكان مذموما وماكان ممدوحا ؛ فالمذموم هو ماكان فى العقائد وأصول الدين ، والممدوح هو ماكان فى الأعمال أو فروع الدين كما قال عليه الصلاة والسلام « اخْتِلافُ الأُمَّةِ رَحْمَةٌ » (١) وعن علىّ كرّم الله وجهه قال له يهودى : ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم ، فقال : إنما اختلفنا عنه لافيه ، ولكنكم ماجفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم « اجعل لنا إلها كما لهم آلهة » وهذا من الأجوبة المسكتة ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [سورة

---

(١) أورده الإمام العجلونى فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث ٦٦/١ حديث رقم ٥٣ .

الأحزاب : ٤] اهـ . ويؤيده ماذكره الأبى رحمه الله فى إكمال الإكمال ونصه : فالذى للآمدى قال : كان المسلمون عند موته ﷺ على عقد واحد لم يقع بينهم اختلاف إلا فى مسائل اجتهادية لاتوجب تكفيرا كاختلافهم : وقد قال ﷺ « إيتُونى بِدَوَاةٍ وقِرْطاسٍ أَكْتُبْ مالَنْ تَضِلُّوا مَعَهُ »(١) ، فاختلفوا هل يأتونه حتى قال عمر : إن رسول الله ﷺ غلبه الوجع ، حسبنا كتاب الله »(٢) وكاختلافهم وقد قال « جهِّزُوا جَيْشَ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجزية باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ٣٠٣/٢ ح ٣١٦٨ - حدثنا محمد حدثنا ابن عيينة عن سليمان بن أبى سليم الأحول سمع سعيد بن جبير سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقول يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمعه الحصى قلت ياابن عباس مايوم الخميس قال اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال ائتونى بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدًا » .

فتنازعوا ولا ينبغى عند نبى تنازع فقالوا ماله ؟ أهجر ؟ استفهموه فقال ذرونى فالذى أنا فيه خير مما تدعوننى إليه فأمرهم بثلاث قال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بمثل ماكنت أجيزهم والثالثة خير إما أن اسكت عنها وإما أن قالها فنسيتها . قال سفيان هذا من قول سليمان .

كتاب الجهاد هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم ٢٧٢/٢ ح ٣٠٥٣ حدثنا قتيبة حدثنا ابن عيينة إلى آخر الطريق الأول ولفظه .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شئ يوصى فيه ١٢٥٧/٣ - ١٢٥٨ حدثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبى شيبة وعمرو الناقد واللفظ لسعيد قالوا حدثنا سفيان عن سليمان الأحول إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٢٢٢/١ مسند عبد الله بن عباس رضى الله عنهما من طريق أحمد عن سفيان إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شئ يوصى فيه ١٢٥٩/٣ حدثنى محمد بن رافع وعبد بن حميد قال عبد أخبرنا وقال ابن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله ﷺ وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب =

أُسامَة » فقال قوم نفعل ، وقال قوم ننتظر مايكون من مرضه . وكاختلافهم وقد مات ﷺ هل مات ؟ حتى قال عمر : من قال مات علوته بالسيف وإنما رفع كعيسى . وكاختلافهم فى الخلافة حتى قال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . وكاختلافهم فى الشورى حتى استقرَ الأمر على عثمان . وكاختلافهم فى قتال مانعى الزكاة وفى ميراث الكلالة والجدّ . ثم لم يزل الخلاف فى الاجتهاديات يتدرّج إلى أن ظهر معبد وغيلان الدمشقى ويونس الأسوارى . فقالوا لا قدر . وهو أوّل خلاف نشأ فى الاعتقادات ، ثم لم يزل الخلاف يتشعب إلى أن اختلف أهل الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة كما أخبر ﷺ فى حديث « افْتَرَقَتْ يهودُ إلى إحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَافْتَرَقَتِ النَّصارَى إلى اثْنَتَيْنَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَسَتَفْتَرِق أُمَّتِى على ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلَّها فى النَّارِ إلاَّ وَاحِدَةٌ ، (١) قالوا : وماتلك الواحدة ؟ قال : ما أنا علَيْه وأَصْحابِى » فكان ذلك من معجزاته ﷺ اهـ منه بلفظه .

= فقال النبى ﷺ هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده » فقال عمر بن الخطاب إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما كثر اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال « قوموا » .

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة باب شرح السنة ١٩٧/٤ ح ٤٥٩٦ حدثنا وهب بن بقية عن خالد عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة ثم ذكره وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الإيمان باب ماجاء فى افتراق هذه الأمة ٢٥/٥ ح رقم ٢٦٤٠ - من طريق الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو إلى آخر طريق أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الفتن باب افتراق الأمم ١٣٢١/٢ ح رقم ٣٩٩١ - من طريق عمر بن بشر ثنا محمد بن عمرو إلى آخر طريق أبو داود ولفظه وفى الباب عن عوف بن مالك وأنس بن مالك وأخرجه أحمد فى مسنده ٣٣٢/٢ بنحو طريق أبو داود ولفظه .

قلت : وقد قال الشيخ التجانى كما فى الجامع : إن الذى كان أراد أن يكتبه ﷺ فى الكتاب هو توحيد العارفين وهذا بين واضح والله أعلم .

واعلم أن أصول البدع كما فى شرح الأربعين النووية للفقيه على بن السلطان محمد الحنفى سبعة : المعتزلة القائلون بأن العباد خالقو أعمالهم ، وينفون رؤية البارى جلّ وعلا وهم عشرون فرقة . والشيعة المفرطون فى محبة علىّ رضى الله عنه وهم اثنان وعشرون فرقة . والمرجئة القائلون بأنه لا تضرّ معصية مع الإيمان كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم خمس فرق . والخوارج المفرطون فى بغض على رضى الله عنه المكفرة له ولمن أذنب كبيرة وهم عشرون فرقة . والنجاريه الموافقة لأهل السنة فى خلق الأفعال والمعتزلة ونفى الصفات فى نفى الكلام وهم ثلاث فرق . والجبرية القائلون بسلب الاختيار عن العبد وهم فرقه . والمشبهة الذين يشبهون الحقّ بالخلق فى الجسم والحلول وهم فرقة أيضا ، فتلك اثنتان وسبعون فرقة فى النار . والفرقة الناجية وهم أهل السنة البيضاء اهـ منه .

وقال فى روح البيان عند قوله تعالى ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [سورة النساء : ٥٩] ثم اعلم بأن المراد بأولى الأمر فى الحقيقة المشايخ الواصلون ومن بيده أمر التربية ، فإن أولى أمر المريد شيخه ؛ فينبغى للمريد فى كلّ وارد حقّ يدق باب قلبه أو إشارة أو إلهام أو واقعة تنبئ عن أعمال أو أحوال فى حقه أن يضرب على محك نظر شيخه ، فما يرى فيه الشيخ من المصالح ويشير إليه أو يحكم عليه يكون منقادا لأوامره ونواهيه لأنه أولو الأمر . وأما الشيخ فأولو أمره الكتاب والسنة ، فينبغى له أن ماسنح له من الغيب بوارد الحقّ من الكشوف والشواهد

والأسرار والحقائق يضرب على محكّ الكتاب والسنة فما صدقاه ويحكمان عليه فليقبله وإلا فلا ، لأن الطريقة مقيدة بالكتاب والسنة ، كذا ذكره الشيخ الكامل نجم الدين الكبرى فى تأويلاته اهـ . قلت : وليس علماء السوء عبيد الأهواء مرادا بهذا فهم شرّ من تظلّ السماء . قال فى روح البيان عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران : ٩٩] واعلم أن ظاهر الخطاب مع أهل الكتاب وباطنه مع علماء السوء الذين يبيعون الدين بالدنيا ولا يعملون بما يعلمون ، فهم الذين يكفرون بما جاء به القرآن من الزهد فى الدنيا والورع والتقوى ونهى النفس عن الهوى ، وإيثار مايبقى على مايفنى ، والإعراض عن الخلق والتوجه إلى الحقّ وبذل الجهود لنيل المقصود ، والله شهيد على ما يعملون ، حاضر معهم ، ناظر إلى نياتهم فى أعمال الخير والشرّ فيجازيهم بها ، وهم يصرفون بحرصهم على الدنيا واتباعهم الهوى المؤمنين الذين يتبعونهم بحسن الظنّ ، ويحسبون أن أعمالهم وأحوالهم على قاعدة الشريعة ومنهاج الطريقة عن سبيل الله وطريق الحقّ الذى أمر الأنبياء بدعوة الخلق إليه ، وهم يطلبون اعوجاج طريق الحقّ بالسير فى طريق الباطل ، وقد وصى الله المؤمنين بقوله ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية ، حتى لا يرتدّوا عن طريق الهداية بعد الإيمان بالاتباع بسيرتهم وهواهم ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] . وقال بعض المشايخ خير العلم ماكانت معه الخشية ، وذلك لأن الخشية إنما تنشأ عن العلم بصفات الحقّ ، فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله الخشية ، وشاهد الخشية موافقة الأمر ، وأما العلم الذى تكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لأربابها وصرف الهمة لاكتسابها

والجمع والادّخار والمباهاة والاستكثار وطول الأمل ونسيان الآخرة ، فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء . وهل ينتقل الشئ الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التى كان بها عند الموروث ، وما مثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء إلا كمثل الشمعة تضئ على غيرها وهى تحرق نفسها ، قال رسول الله ﷺ « يأتى على النَّاسِ زَمانٌ لا يَبْقى مِنَ الإِسْلام إلاَّ اسْمُهُ ، وَلا مِنَ القُرآنِ إلاَّ رَسْمُهُ ، قُلُوبُهُمْ خَرِبَةٌ مِنَ الهُدَى ، وَمَسَاجِدُهُمْ عامِرَةٌ بِأَبْدَانِهِمْ ، شَرُّ مَنْ تُظِلُّ السَّماءُ يَوْمَئِذٍ عُلَمَاؤُهُمْ ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الفِتْنَةُ وَإِلَيْهِمْ تَعُودُ » (١) . وعن فضيل بن عياض : بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان ، فعلى العاقل أن لا يغترّ بظاهر حالهم ، بل ينظر إلى وهن اعتقادهم وفساد بالهم ، فيعتبر كل الاعتبار ، ويجتنب من هذه سيرتهم ، ويسلك طريق الأخيار ، ويعتصم بالله بالانقطاع عما سواه ، ويتمسك بالتوحيد الحقيقى حتى يهتدى إلى الصراط المستقيم ؛ فمن انقطع إليه بالفناء فى الوحدة كان صراطه صراط الله فلا يصدّه عنه أحد ولا يضرّه شئ ولا يضله كيد عدوّه وشرّه ، فإن من كان مع الله كان الله معه ، فهو حافظه وناصره ، وهذا الاستمساك ليس من شأن كل السُّلاك لكن الله تعالى قادر على أن يأخذ بيد عبده ويوصله إلى مراده ؛ وإذا صحّ الطلب من العبد فلا يحرم الإجابة البتة ، فإن من طلب وجدَّ وجد ، ومن قرع بابا ولجّ ولج ، عصمنا الله وإياكم من كيد الشيطان ومكر النفس الأمّارة بالسوء كل آن آمين يامستعان اهـ ، وقال أيضا عند قوله تعالى :

---

(١) أورده الإمام علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال كتاب الفتن ج ١١ ص ١٨١ ح رقم ٣١١٣٥ عن ابن عمرو عزاه إلى الديلمى وفى الباب عن على وعزاه إلى البيهقى فى شعب الإيمان .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٤] الآية ، مانصه : والإشارة بالآية إلى أن الأمة التى يدعون إلى الخير بالأفعال دون الأقوال هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ، وعيد من يأمر بالمعروف ولا يأتيه ، والذى يدلّ عليه ماروى أسامة عن رسول الله ﷺ قال : سمعته يقول « يُجاءُ بالرَّجُل يَوْمَ القِيامَةِ فَيُلْقَى فى النَّارِ فتنْدَلِقُ أَقْتابُهُ فى النَّارِ فَيَدُورُ بِها كما يَدُورُ الحِمارُ بِرَحاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ : أىْ فُلانُ ماشأْنُكَ أَلَسْتَ كُنْتَ تأمُرُنا بالمَعْرُوفِ وتَنْهانا عَنِ المُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ آمُرُكُمْ وَلا آتِيهِ » (١) .

والداعى إلى الخير فى الحقيقة شيوخ الطريقة ، فإنّ من لم يعرف الله لم يعرف الخير ، إذ الخير المطلق هو الكمال المطلق الذى يكون للإنسان بحسب النوع من معرفة الحقّ والوصول إليه كما كان للنبىّ ﷺ ، والإضافى ما يتوصل به إلى المطلق ، فالخير المدعو إليه إما الحقّ وإما طريق الوصول إليه ، والمعروف كلّ ما يقرّب إليه ، والمنكر كلّ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب برء الخلق باب صفة النار وإنها مخلوقة ٣٢٨/٢ - ٣٢٩ ح رقم ٣٢٦٧ حدثنا على حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل لأسامة لو أتيت فلانا فكلمته قال إنكم لترون أنى لا أكلمه إلا أسمعكم أنى أكلمه فى السر دون أن افتح بابا لا أكون أول من فتحه ولا أقول لرجل - إن كان على أميراً إنه خير الناس بعد شئ سمعته من رسول الله ﷺ قالوا وما سمعته يقول قال سمعته يقول « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور كما يدور الحمار برحاه ثم ذكره .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الزهد باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ٢٢٩٠/٤ - ٢٢٩١ من طريق أبو معاوية عن الأعمش إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه أحمد فى المسند ٢٠٥/٥ من طريق يعلى بن عبيد عن الأعمش إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

مايبعد عنه ، فمن لم يكن له التوحيد والاستقامة لم يكن له مقام الدعوة ، فغير المستقيم وإن كان موحدا ربما أمر بما هو معروف عنده منكر فى نفس الأمر ، وربما نهى عما هو منكر عنده معروف فى نفس الأمر ، كمن بلغ فى مقام الجمع واحتجب بالحقّ عن الخلق ، فكثيرا ما يستحلّ محرّما ويحرّم حلالا فهم أهل الحجاب . وأهل الفلاح المطلق هم الذين لم يبق لهم حجاب وهم خلفاء الله فى أرضه ، أوصلنا الله وإياكم إلى معرفة حقيقة الحال ، وشرّفنا بالوصول إلى جنابه المتعال اهـ . وفى جواهر المعانى ، وكان شيخنا الشيخ محمد المغربى الشاذلى رضى الله عنه يقول : اطلب طريق ساداتك من القوم وإن قلوا ، وإياك وطريق الجاهلين بطريقهم وإن جلوا ، وكفى شرفا لعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [سورة الكهف : ٦٦] وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة كما يجب طلب علم الشريعة ، وكلّ عن مقامه يتكلم اهـ . قلت : وقد رأيت مراسلة أرسلها الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه إلى الشيخ فخر الدين الرازى صاحب التفسير يبين له فيها نقص درجته فى العلم ، هذا والشيخ فخر الدين مذكور فى العلماء الذين انتهت إليهم الرياسة فى الاطلاع على العلوم من جملتها : اعلم يا أخى وفقنا الله وإياك أن الرجل لا يكمل فى مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عزّ وجلّ بلا واسطة من نقل أو شيخ ، فإن من كان علمه مستفادا من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ عن المحدثات ، وذلك معلوم عند أهل الله عزّ وجلّ ، ومن قطع عمره فى معرفة المحدثات وتفصيلها فإنه حظه من ربه عزّ وجلّ ، إن العلوم المتعلقة بالمحدثات يفنى الرجل فيها ولا يبلغ إلى حقيقتها ، ولو أنك يا أخى سلكت على يد شيخ من أهل الله عزّ وجلّ لأوصلك إلى حضرة شهود الحقّ تعالى ، فتأخذ منه العلم بالأمور من طريق الإلهام

الصحيح من غير تعب ولا نصب ولا سهر كما أخذه الخضر عليه السلام ، فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود ، لا عن نظر وفكر وظنّ وتخمين . هذا وكان الشيخ الكامل أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه يقول لعلماء عصره : أخذتم علمكم عن علماء الرسوم ، ميت عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحىّ الذى لا يموت . وينبغى لك يا أخى أن لا تطلب من العلوم إلا ما تكمل به ذاتك وينتقل معك حيث انتقلت ، وليس ذلك إلا العلم بالله تعالى من حيث الوهب والمشاهدة ، فإن علمك بالطبّ مثلا إنما تحتاج إليه فى عالم الأسقام والأمراض ، فإذا انتقلت إلى عالم ما فيه سقيم ولا مريض فمن تداوى بذلك العلم ، فقد علمت يا أخى أنه لا ينبغى للعاقل أن يأخذ من العلوم إلا ما ينتقل معه إلى البرزخ دون مايفارقه عند انتقاله إلى عالم الآخرة ، وليس المنتقل معه إلا علمان فقط : العلم بالله عزّ وجلّ ، والعلم بمواطن الآخرة حتى لا ينكر التجليات الواقعة فيهن ولا يقول للحقّ إذا تجلى له نعوذ بالله منك . فينبغى لك يا أخى الكشف عن هذين العلمين فى هذه الدار لتجنى ثمرات ذلك فى تلك الدار ، ولا تحمل من علوم هذه الدار إلا ماتمسّ الحاجة إليه فى طريق سيرك إلى الله عزّ وجلّ على مصطلح أهل الله تعالى ، وليس طريق الكشف عن هذين العلمين إلا بالخلوة والرياضة والمجاهدة والجذب الإلهى ، وكنت أريد أن أذكر لك الخلوة وشروطها وما يتجلى لك فيها على الترتيب شيئا فشيئا لكن منعنى من ذلك الوقت من لا غرض له فى أسرار الشريعة ممن دأبهم الجدال حتى أنكروا كل ما جهلوا ، وقيدهم التعصب وحبّ الظهور والرياسة وأكل الدنيا بالدين عن الإذعان لأهل الله والتسليم اهـ من خطّ الخليفة على حرازم مباشرة ، نفعنا الله به وبإمامنا آمين .

* * *

فصــل

قال الشعرانى فى لطائف المنن مانصه : ولم تزل طريق القوم عزيزة فى كل عصر لقلة صبر من يصبر تحت تربية شيخه ومناقشته فى جميع أعماله ، ولذلك صار الشيخ يرى الأخلاق المحمدية من ورع وزهد وخشية وخوف من الله تعالى ونحو ذلك فى يد أهل الله تعالى ، فلا يقدر على الوصول إلى التخلق بخلق منها على وجهه ، لأن طريق القوم كلها مجاهدة للنفس ، وأين من يقدر على التخلق والتقيد بمخالفتها إيثارا لجناب مراد الحقّ على مرادها هذا لا ينال إلا ببذل الروح ، نعلم أن الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين هم الصوفية حقيقة ، فإن قال قائل : لو أن طريق التصوّف أمر مشروع لوضع الأئمة المجتهدون فيه كتبا ولا نرى لهم قط كتابا فى ذلك . قلنا له : إنما لم يضع المجتهدون فى ذلك كتابا لقلة الأمراض فى أهل عصرهم ، وكثرة سلامتهم من الرياء والنفاق ، ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من ذلك فكان ذلك فى بعض أناس قليلين لا يكاد يظهر لهم عيب ، وكان معظم همة المجتهدين إذ ذاك إنما هو فى جميع الأدلة المنتشرة فى المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم التى هى مادّة كل علم ، وبها يعرف موازين جميع الأحكام ، فكان ذلك أهمّ من الاشتغال بمناقشة بعض أناس فى أعمالهم القلبية التى لا يظهر بها شعار الدين ، وقد لا يقعون فيها بحكم الأصل ، ولا يقول عاقل قطّ إن مثل الإمام أبى حنيفة أو مالك والشافعى وأحمد رضى الله عنهم يعلم أحدهم من نفسه رياء أو عجبا أو كبرا أو حسدا أو نفاقا ثم لا يجاهد نفسه ولا يناقشها

أبدا ، ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والأمراض لقدموا الاشتغال بعلاجها على كلّ علم فافهم . وقال القشيرى رحمه الله : وأصل تسمية الصوفية صوفية كان حين ظهرت الأهواء والبدع فى عصر الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، فسموا كل من تمسك بالكتاب والسنة وعمل بهما صوفيا دون غيره . قال : وقد روينا عن الإمام أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه أنه كان يقول : طريقتنا هذه مشيدة بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فيها : وقال الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات : اعلم أنه ماثم لنا دليل يرد طريق الصوفية ولا قادح يقدح فيها شرعا ولا نقلا ، وإنما يطعن فيها من طعن بالجهل اهـ ، وحكى ابن المبارك فى الإبريز عن شيخه مانصه : قال لى مرّة أخرى : إن علم الباطن بمثابة من كتب تسعة وتسعين سطرا بالذهب ، وعلم الظاهر بمثابة من كتب السطر المكمل المائة بالمداد ، ومع ذلك فإذا لم يكن ذلك السطر الأسود مع سطور الذهب المذكورة لم تفد شيئا وقلّ أن يسلم صاحبها . وقال لى مرّة أخرى : إن علم الظاهر بمنزلة الفنار الذى يضئ ليلا فإنه يفيد فى ظلمة الليل فائدة جليلة ، وعلم الباطن بمثابة طلوع الشمس وسطوع أنوارها وقت الظهيرة ، فربما يقول صاحبه لا فائدة لهذا الفنار الذى فى يده قد أغنانى الله عنه بضوء النهار فيطفئه ، وعند ذلك يذهب عنه ضوء النهار ويعود إلى ظلام الليل ، فبقاء ضوء نهاره مشروط بعدم انطفاء الفنار الذى بيده اهـ . قال الشعرانى فى الجواهر والدرر : سألت شيخنا رضى الله عنه عن قول بعضهم إنّ الجمع بين الضدّين محال ، هل هذا القول صحيح فى حق العارفين بالله عزّ وجلّ ؟ فقال رضى الله عنه : سمعت بعض أهل الشطح يقول : ما أحال الجمع بين الضدين إلا

من وقف مع عقله ، وأما من أمدّه الله بقوّة إلهية يندرج فيها حكم العقل فلا محال عنده فى ذلك ، فإن المعلوم أن الحقّ تعالى والعالم ضدّان وهما مجتمعان من غير حلول ولا اتحاد ولا تحديد ، فمن لم يجمع بين الضدّين فلا توحيد له كامل ، وفاته الإيمان بأحاديث كثيرة ، فإن الجمع بين الضدّين من أقوى دليل على الوحدانية ، لأن من شهد نفسه موجودا واجبا فقد أشرك ، ومن لم يكن واجب الوجود فهو معدوم موجود فى آن واحد ؛ ثم اعلم أنا لا نريد بالجمع بين الضدّين إلا ماهو محال فى العقل كأن يشهد واحد كثيرا والكثير واحدا فى آن واحد بادراك واحد من غير تأويل ولا تغيير مع اجتماع الشروط التى يتوقف عليها إثبات التناقض ، وذلك لأن طور الولاية بخلاف ما يألفه العلماء الذين لا يحكمون إلا بمقتضى عقولهم ، فقد بان لك يا أخى بهذا التقدير أن الجمع بين الضدّين محال لأنه لا موجود إلا الله فلا ضدّ له ، فرجع الأمر إلى صورة اعتقاد المتكلمين ، لكن على ملحظ خلاف ما لحظوه فتأمل اهـ . وفى روح البيان مانصه : واعلم أن من السالكين من يقطع العقبات ويخرق الحجب فى سبعين سنة ، ومنهم من يقطعها بعشرين سنة ، ومنهم يحصل له فى سنة ، ومنهم من يقطعها فى شهر بل فى جمعه بل فى ساعة ، حتى إن منهم من تحصل له فى لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة ، أما تذكر سحرة فرعون ماكان مدتهم إلا لحظة حيث رأوا معجزة موسى قالوا ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢١] فأبصروا الطريق وقطعوه حقه ، فصاروا من ساعة إلى ساعة ، بل أقلّ من العارفين بالله .

وحكى أن إبراهيم بن أدهم كان على ماكان عليه من أمر الدنيا ، فعدل عن ذلك وقصد الطريق الحقّ ، فلم يكن إلا مقدار سيره من بلخ إلى مرو الروذ حتى صار بحيث أشار إلى رجل سقط من القنطرة فى الماء

الكثير هنالك أنْ قِفْ فوقف الرجل مكانه فى الهواء فتخلص . وإن رابعة العدوية البصرية كانت أَمة كبيرة يطاف بها فى سوق البصرة لا يرغب فيها أحد لكبر سنها ، فرحمها بعض التجار فاشتراها بمائة درهم فأعتقها ، فاختارت الطريق الحقّ فأقبلت على العبادة ، فما تمت لها سنة حتى زارها قراء البصرة وعلماؤها لعظم منزلتها ؛ وأما الذى لم تسبق له العناية ولا توجهت له ولم يعامل بالفضل فيوكل إلى نفسه فربما يبقى فى شعب من عقبة واحدة من العقبات سبعين سنة ولا يقطعها ، وكم يصيح وكم يصرخ ما أظلم هذا الطريق وأشكله وأعسر هذا الأمر وأعضله ، فإن قلت : لم اختصّ هذا بالتوفيق الخاصّ وحرم هذا وكلاهما مشتركان فى ربقة العبودية ، فعند هذا السؤال تنادى من سرادق الجلال أن الزم الأدب واعرف سرّ الربوبية وحقيقة العبودية ، فإنه ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ - ذلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيم - إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ - وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ اللهم اجعلنا ممن سبقت له العناية وتقدّم فى حقه التوفيق الخاص والهداية آمين يارَبّ العالمين ا هـ .

وقال الشيخ زروق فى تأسيس القواعد : أَخْذُ العلم والعمل عن المشايخ أتم من أخذه دونهم ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ - وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ فلزمت المشيخة سيما والصحابة أخذوه عنه عليه الصلاة والسلام ، وأخذ عن جبريل واتبع إشارته فى أن يكون نبيا عبدا لانبيا ملكا ، وأخذ التابعون عن الصحابة ، فكان لكل أتباع يختصون به كابن سيرين وابن المسيب والأعرج فى أبى هريرة ، وطاووس ووهب ومجاهد لابن عباس إلى غير ذلك ، وأما العلم والعمل فأخذه جلىّ فيما ذكر ، وأما الإفادة بالهمة والحال فقد أشار إليها أنس بقوله : ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه عليه الصلاة والسلام

حتى أنكرنا قلوبنا . فأبان أن رؤية شخصه الكريم كانت نافعة لهم فى قلوبهم ، والعلماء ورثة الأنبياء حالا ومآلا وإن لم يدانوا المنزلة ، وهو الأصل فى طلب القرب من أهل الله فى الجملة ، إذ من تحقق بحالة لم يخل حاضره منها ، فلذلك أمر بصحبة الصالحين . ونهى عن صحبة الفاسقين فافهم اهـ . وقال الشيخ الصاوى فى حاشيته عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ [سورة طه : ١١٤] مانصه : المعنى لا تتعجل بقراءة ما ألقاه عليك جبريل فى قلبك حتى يقرأه عليك . وسبب ذلك أن جبريل كان يأتى بالنبىّ بالقرآن فيلابس جسمه ويضعه فى قلبه فيريد النبىّ التعجيل والنطق به ، فأمره الله أن لا ينطق به حتى يقرأه جبريل باللسان عليه ظاهرا ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [سورة القيامة : ١٦ / ١٩] والحكمة فى تلقى رسول الله ﷺ عن جبريل ظاهرا أنه يكون سنة متبعة لأمته ، فهم مأمورون بالتلقى من أفواه المشايخ ، ولا يفلح من أخذ العلم والقرآن من السطور ، بل التلقى له سرّ آخر انتهى . وقال الشيخ زروق فى تأسيس القواعد مانصه : الخواصّ ثابتة فى الأقوال والأفعال والأعيان ، وأعظمها خواصّ الأذكار ، إذ ما عمل آدمىّ عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله ، وقد جعل الله الأشياء كالأشربة والمعاجين فى منافعها لكلّ ما يخصه فلزم مراعاة العامّ فى العموم ، وفى الخاصّ لا يوافق حال الشخص وعمله مع اعتبار الجانب الشرعى فى القصد والعمل ، سيما وقد قال مالك رحمه الله فى المجهولات : وما يدريك لعلها كفر . قلت : وقد رأيت من يرقى بألفاظ كفرية ، والله أعلم . وقال فيه أيضا ما نصه : بساط الشريعة قاض بجواز الأخذ بما اتضح معناه من الأذكار

والأدعية وإن لم يصحّ رواية كما نبه عليه ابن العربى فى السراج وغيره ، وجاءت أحاديث فى تأثير الدعاء الجارى على لسان العبد المنبعث من همته حتى أدخل مالك رحمه الله فى موطئه فى باب دعائه عليه الصلاة والسلام قول أبى الدرداء « نامَتِ العُيُون وَهَدأتِ الجُفُونُ ولَمْ يَبْقَ إلاَّ أَنْتَ ياحَى ياقَيُّوم (١) وقال عليه الصلاة والسلام للذى دعا بأنى أسئلك بأنك أنت الله الأحد الخ « لَقَدْ دَعَوْتَ الله باسْمِهِ الأَعْظِمِ » (٢) وكذا قال للذى دعا بياودود « ياوَدُودُ ياذَا العَرْشِ المَجِيدِ » إلى غير ذلك ، فدلّ على أن كل واضح فى معناه مستحسن فى ذاته يحسن الأخذ به ، سيما

---

(١) أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة باب مايقول إذا أصابه الأرق ص ٢٧٣ ح رقم ٧٥٤ - أخبرنا أبو يعلى حدثنا عمرو بن الحصين حدثنا أبو غلاثة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال سمعت عبد الملك بن مروان بن الحكم عن أبيه مروان بن الحكم عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال شكوت إلى رسول الله ﷺ أرقًا أصابنى فقال قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حى قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ياحى ياقيوم إهد ليلى وأنم عينى فقلتها فأذهب الله عز وجل عنى ماكنت أجد .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الوتر باب الدعاء ٨٠/٢ - ٨١ ح ١٤٩٥ - حدثنا عبد الرحمن بن عبيد الله الحلبى ثنا خلف بن خليفة عن حفص يعنى ابن أخى أنس عن أنس أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يصلى ثم دعا : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ياحى ياقيوم فقال النبى ﷺ لقد دعا الله باسمه العظيم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى .

وأخرجه النسائى فى سننه كتاب السهو باب الدعاء بعد الذكر ٥٢/٣ أخبرنا قتيبة قال حدثنا خلف بن خليفة عن حفص بن أخى أنس ثم ذكره إلى آخر طريق أبو داود ولفظه .

وأخرجه أحمد فى مسنده ١٥٨/٣ من طريق محمد وعفان قالا ثنا خلف بن خليفة إلى آخر سند أبو داود ولفظه .

إذا استند لأصل شرعى كرؤيا صالح وإلهام ثابت المزية كأحزاب الشاذلى والنووى ونحوهما ، وفى أحزاب ابن سبعين كثير من المبهمات والموهمات ، فوجب التجنب جملة لمحلّ الخطر إلا لعالم يعتبر المعنى ولا يتقيد باللفظ فيه ، والوظائف المجموعة من الأحاديث أكمل أمرا ، إذ لا زيادة فيها سوى الجمع ، سيما إن أخذت من المشائخ ، وجلّ أحزاب الشاذلى عند التفصيل والنظر التامّ للعالم بالأحاديث من ذلك مع ماتضمنته من التذكير والتأثير بالأمور المطلوبة فى الجملة والله أعلم اهـ . وإذا تقرّر هذا فلنذكر ورد طريقتنا التجانية وهو الاستغفار والصلاة على النبىّ المختار ، ولا إله إلا الله يذكر بالعشىّ والإبكار ، وآيات من القرآن الذى هو أفضل من جميع الأذكار ، وقد تلقاه عن النبىّ مشافهة فيما أخبر به ، وهو عدل وخبر العدل مقبول ، ولا سيما وقد شوهد ما يدُلّ على صدقه لمن نوّر الله بصيرته .

وافتتاح وردنا بالاستعاذة بقولنا « أعُوذُ بالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم » وقد قال فى روح البيان : اعلم أنّ الحكمة فى التعوّذ الاستئذان وقرع الباب ، لأن من أتى باب ملك من الملوك لا يدخل إلا بإذنه ، كذلك من أراد قراءة القرآن إنما يريد الدخول فى المناجاة مع الحبيب ، فيحتاج إلى طهارة اللسان لأنه قد تنجس بفضول الكلام والبهتان فيطهره بالتعوّذ . قال أهل المعرفة ، هذه الكلمة وسيلة المتقرّبين واعتصام الخائفين وعتبى المجرمين ورجعى الهالكين ومباسطة المحبين ، وهو امتثال قول ربّ العالمين فى سورة النحل ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [سورة النحل : ٩٨] فالاستعاذة مقدّمة على القراءة عند عامة المسلمين ، وقولهم الجزاء متأخر عن الشرط فيلزم أن يؤخر الاستعاذة . قلنا : المعنى إذا أردت القراءة ، وهو تأويل شائع جار مجرى

الحقيقة العرفية ، ثم المختار قول الجمهور ، وهو « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » وهو أثبت رواية وفى الحديث « هَكَذَا أقرأنيه جِبْرِيلُ عَنِ القَلَم عَنِ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ » وقال أيضا بعد كلام : واعلم أن كلمات الاستعاذة ثلاث : صفاتية ، وأفعالية ، وذاتية ، كما قال ﷺ « أعُوذُ بِرِضَاكَ مَنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعافاتِك مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ » (١) فاختير اسم الجلالة الجامع لتتناول عبارة الاستعاذة أنواع الاستعاذة .قال فى التفسير الكبير : الشرور إما من الاعتقاديات ويدخل فيها جميع المذاهب الباطلة وعقائد فرق الضلال الاثنتين والسبعين فرقة ، وإما من الأعمال البدنية ، فمنها مايضر بالدين وهو منهيات التكاليف وضبطها كالمتعذر ؛ ومنها ماضرره لا فى الدين كالأمراض والآلام والحريق والغرق والفقر والعمى والزمانة وغيرها من البلايا والنوازل ويقرب إلى أن لا يتناهى ، وأعوذ بالله يتناول الاستعاذة من كلها ؛ فعلى العاقل إذا أراد الاستعاذة أن يستحضر هذه الأجناس الثلاثة وأنواعها المتناولة ، فإذا عرف عدم تناهيها عرف أن قدرة الخلق لاتفى بدفعها فحمله عقله أن يقول : أعوذ بالله القادر على كل المقدورات من جميع المخاوف

---

(١) أخرجه الإمام الترمذى كتاب الدعاء باب رقم ٧٦ ج ٥ ص ٥٢٤ ح ٣٤٩٢ - حدثنا الأنصارى حدثنا معين حدثنا مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبرهيم التيمى أن عائشة قالت كنت نائمة إلى جنب رسول الله ﷺ ففقدته من الليل فلمسته فوقعت يدى على قدميه وهو ساجد وهو يقول أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال أبو عيسى هذا حديث حسن .

والنسائى فى سننه كتاب الطهارة باب ترك الوضوء من مس الرجل امرأته من غير شهوة ١٠٢/١ عن عائشة رضى الله عنها .

وأخرجه أحمد فى المسند ٥٨/٦ عن عائشة رضى الله عنها .

والآفات .قيل كل العلوم فى الكتب الأربعة وعلومها فى القرآن وعلومه فى الفاتحة وعلومها فى البسملة وعلومها فى الباء ؛ ففى التفسير الكبير لأن المقصود من العلوم وصول العبد إلى الربّ ، فباء الإلصاق فى الله تلصقه إليه ، وسيجئ أسرار الباء فى البسملة إن شاء الله تعالى اهـ . ثم قال أيضا بعد كلام طويل مانصه : يقال ظهور حقيقة الاستعاذة لا يمكن بمجرّد القول ، بل لابدّ من حضور القلب وموافقة القول بالحال والفعل ، وأن لا يقول لسانك : أعوذ بالله ، وفعلك وحالك : أعوذ بالشيطان ، وذلك بمشاركة النفس مع الشيطان فى ارتكاب المعاصى والطغيان ، واستعاذة العارف من رؤية غير الله تعالى وحجاب الكثرة ، فإن الشيطان يهرب من نور المعارف .حكى أن أبا سعيد الخرّاز قدّس سرّه رأى إبليس فى المنام فأراد أن يضربه بالعصا ، فقال : يا أبا سعيد أنا لا أخاف من العصا وإنما أخاف من شعاع شمس المعرفة إذا طلعت من سماء قلب العارف ، قالوا : فى الاستعاذة من الشيطان إظهار الخوف من غير الله وهو يخلّ بالعبودية قلنا : اتخاذ العدوّ عدوّا تحقيق للمحبة والفرار من غير الله إلى الله تتميم للعبودية والامتثال لأمر الله تقديم للطاعة ، والخوف ممن لا يخاف الله إظهار للمسكنة ، كما قيل : أخاف من الله ، أى من عذابه وغضبه ، وأخاف ممن يخاف الله : أى من سوء دعائه ، وأخاف ممن لا يخاف الله : أى من سوء أفعاله اهـ. ثم قال أيضا بعد كلام : «وسئل النبىّ عليه الصلاة والسلام عن وسوسة الشيطان فقال عليه الصلاة والسلام : السَّارِقُ لا يَدْخُلُ بَيْتًا لَيْسَ فِيهِ شَئٌ » فذلك من محض الإيمان . قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : الفرق بين صلاتنا وصلاة أهل الكتاب وسوسة الشيطان ، لأنه فرغ من عمل الكفار لأنهم وافقوه والمؤمنون يخالفونه ويحاربونه ، والمحاربة تكون مع المخالفة .

حكى أن رجلا كان من أهل خراسان خرج نحو العراق ، وكان يتردّد إلى عالم من علمائها حتى علمه أربعة آلاف حديث من الحكمة ، ولما أراد الانصراف إلى وطنه استأذن من أستاذه ، فقال له الأستاذ : أعلمك كلمة خير لك من أحاديثك ؟ قال : وماهى ؟ قال : هل يكون فى خراسان إبليس ؟ قال نعم ، قال : وهل يوسوسكم ؟ قال نعم ، قال : وماتصنعون فى وسوسته ؟ قال نردّه ، قال : إن وسوس ثانيا ؟ قال نردّه ، قال : إذا آذاكم عدّو الله وشغلكم عن الطاعة فلا تشتغلوا بردّ وسوسته ، ولكن كونوا معه كالغريب مع كلب الراعى ، واستعيذوا بالله ، وإنه كلب من الكلاب ، عصمنا الله وإياكم من كيده وشرّه اهـ .

قلت : والسرّ فى افتتاح وردنا بالاستعاذة أن الله أعلمنا أن الشيطان عدوّ لنا وأمرنا أن نتخذه عدوّا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [سورة فاطر : ٦] وكيفية اتخاذ العدّو عدوّا هو دوام الاحتراز منه بالتحصن ، فإذا استعذنا دخلنا فى حصن حصين ، وبقى لنا التحلى والتخلى الحاصلان فى باقى الورد ، لأن درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح ، ثم ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ متصلة بالفاتحة . ففى روح البيان قالوا : لله تعالى ثلاثة آلاف اسم ، ألف عرفه الملائكة لاغير ، وألف عرفها الأنبياء لاغير ، وثلثمائة فى التوراة وثلثمائة فى الإنجيل ، وثلثمائة فى الزبور ، وتسعة وتسعون فى القرآن ، وواحد استأثر الله به ، ثم معنى هذه الثلاثة آلاف فى هذه الأسماء الثلاثة ، فمن علمها وقالها فكأنما ذكر الله تعالى بكل أسمائه . (١) وفى الخبر أن النبى ﷺ قال « لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى إِلَى السَّمَاءِ عُرِضَ عَلَىَّ جَمِيعُ الجِنَانِ ، فَرَأَيْتُ

---

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور سورة محمد قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقين ٢٥/٦ وعزاه إلى ابن مردويه بمعناه .

فِيها أَرْبَعَةَ أنهارٍ : نَهْراً مِنْ ماءٍ ونَهْرًا من لَبَنٍ ونَهْرًا مَنْ خمْرٍ ونَهْرًا مَنْ عَسَلٍ ، فَقُلْتُ : يا جِبْرِيلُ مِنْ أَيْنَ تَجِئُ هَذِهِ الأَنهارُ وَإِلى أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ قالَ : تَذْهَبُ إِلى حَوْضِ الكَوْثَرِ وَلا أَدْرِى مِنْ أيْنَ تَجِئُ فادْعُ الله تعالى لِيُعْلِمَكَ أَوْ يُرِيَكَ ، فَدَعارَبَّهُ ، فَجاءَ مَلَكٌ فَسَلَّمَ على النَّبِىِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ثُمَّ قالَ : يا مُحَمَّدُ غَمِّضْ عَيْنَكَ ، قالَ : فَغَمَّضْتُ عَيْنَىَّ ، ثُمَّ قالَ : افْتَحْ عَيْنَيْكَ ، فَفَتَحْتُ فإذَا أنا عِنْدَ شَجَرَةٍ ، وَرأَيْتُ قُبَّةً مِنْ دُرَّةٍ بَيْضاءَ وَلَها بابٌ مِنْ ذَهَبٍ أَحْمَرَ وَقُفْلٌ لَوْ أَنَّ جميعَ مافِى الدُّنْيا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وُضِعُوا على تِلْكِ القُبَّة لكانُوا مِثْلَ طائِرٍ جالِسٍ على جَبَلٍ فرأَيْتُ هَذِهِ الأنهارَ الأَرْبَعَةَ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ هَذِهِ القُبَّةِ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أنْ أَرْجِعَ قالَ لى ذلكَ المَلَكُ : لِمَ لَمْ تَدْخُلِ القُبَّةَ ؟ قُلْتُ : كَيْفَ أَدْخُلُ وعلى بِابها قُفْلٌ لا مِفْتاحَ لَهُ عِنْدِى ؟ قالَ : مِفْتاحُهُ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ، وَلَمَّا دَنَوْتُ مِنَ القُفْلِ وَقُلْتُ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم انفْتَحَ القُفْلُ وَدَخلْتُ فى القُبَّة ، فرأَيْتُ هَذِهِ الأنهارِ تَجْرى مِنْ أَرْبَعَةِ أرْكانِ القُبَّةِ ، وَرأَيْتُ مَكْتُوبًا على أَرْبعَةِ أرْكانِ القُبَّة بِسْم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ، ورأَيْتُ نَهْرَ المَاءِ يَخْرُجُ مِنْ مِيمِ بِسْمِ الله ، ورَأَيْتُ نَهْرَ اللَّبَنِ يَخْرُجُ مِنْ هاءِ الله ، ونَهْرَ الخَمْرِ يَخْرُجُ مِنْ ميم الرَّحْمَنِ ، ونَهْرَ العَسَلِ يَخْرُجُ مِنْ ميم الرَّحِيم ، فَعَلِمْتُ أَنَّ أَصْلَ هَذِهِ الأَنَهارِ الأَرْبَعَة مِنَ البَسْمَلَةِ ، فَقالَ الله عَزَّ وَجَلَّ : يامُحَمَّدُ مَنْ ذَكَرَنى بِهَذِهِ الأَسْماءِ مِنْ أُمَّتِكَ بِقَلْبٍ خالِصٍ مِنْ رِياءٍ وَقالَ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم سَقَيْتُهُ هَذِهِ الأَنهارِ » . وفى الحديث « لا يُرَدُّ دُعاءٌ أَوَّلُهُ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم » . وفى الحديث أيضا « مَنْ رَفَعَ قِرْطاسًا مِنَ الأَرْضِ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم إجْلالاً لَهُ وَلاسْمِهِ عَنْ أنْ يُدَنَّس كانَ عِنْدَ الله مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَخُفِّفَ عَنْ وَالِدَيْه وَإن كَانَا

مُشْرِكَيْنِ » (١) وذكر الشيخ أحمد البونى فى لطائف الإشارات : أنّ شجرة الوجود تفرّعت عن بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن العالم كله قائم بها جملة وتفصيلا ، فلذلك من أكثر ذكرها رزق الهيبة عند العالم العلوى والسفلى . وكتب قيصر ملك الروم إلى عمر رضى الله عنه : إن بى صداعا لا يسكن ، فابعث إلىّ دواء إن كان عندك فإن الأطباء عجزوا عن المعالجة ، فبعث عمر رضى الله عنه قلنسوة ، فكان إذا وضعها على رأسه سكن صداعه ، وإذا رفعها عن رأسه عاد صداعه فتعجب منه ، ففتش القلنسوة فإذا فيها كاغد مكتوب عليه ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . قال الشيخ الأكبر فى الفتوحات : إذا قرأت فاتحة الكتاب فصل بسملتها معها فى نفس واحد من غير قطع . وعن محمد المصطفى ﷺ حالفا عن جبريل عليه السلام ، حالفا عن ميكائيل عليه السلام ، حالفًا عن إسرافيل عليه السلام ، قال تعالى : « يا إسْرَافِيلُ بِعِزَّتى وَجَلالى وَجُودِى وَكَرَمى مَنْ قرأ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحيم مُتَّصِلَةً بفاتِحَة الكِتابِ مَرَّةً وَاحِدَةً فاشْهَدُوا عَلىَّ أنى قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَقَبِلْتُ مِنْهُ الحَسنَاتِ ، ولا أَحْرِقُ لِسانَهُ بالنَّارِ ، وأُجِيرُهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَعَذاب النَّارِ وَعَذَابِ يَوْمِ القِيامَةِ وَالفَزِعِ الأَكْبَرِ ، ويَلْقَانى قَبْل الأَنْبِياءِ وَالأَوْلِياءِ أَجْمعِينَ » اهـ .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى ذكر أخبار أصبهان ٨٤/٢ فى ترجمة عبد الله بن باذان – عن أنس رضى الله عنه .

وأورده السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١١/١ فى تفسير بسم الله الرحمن الرحيم .

وأخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخه ٢٤١/١٢

وأما الفاتحة فناهيك من فضلها أنها أمّ القرآن والسبع المثانى ، ومن فضائلها كما فى روح البيان ماقال عليه الصلاة والسلام « لَوْ كانَتْ فى التَّوْرَاة لمَا تَهَوَّدَ قَوْمُ مُوسَى ، وَلَوْ كانَتْ فى الإنجيل لَمَا تَنَصَّرَ قوم عِيسىَ ، وَلَوْ كانَتْ فى الزَّبُورِ لَمَا مُسِخ قَوْمُ دَاوُدَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، وأَيَّمَا مُسْلِمٍ قَرأها أعْطاهُ الله مِنَ الأجرِ كأنمَا قَرأ القُرآنَ كُلَّهُ ، وكأنمَا تَصَدَّقَ على كُلِّ مُؤمِنٍ وَمُؤمنَةٍ » . ومن فضائلها أيضا أن الحروف المعجمة فيها اثنان وعشرون ، وأعوان النبىّ ﷺ بعد الوحى اثنان وعشرون ، وأن ليست فيها سبعة أحرف : ثاء الثبور ، وجيم الجحيم ، وخاء الخوف ، وزاى الزّقوم ، وشين الشقاوة ، وظاء الظلمة ، وفاء الفراق ؛ فمعتقد هذه السورة وقارئها على التعظيم والحرمة آمن من هذه الأشياء السبعة . وعن حذيفة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال « إنَّ القَوْم لَيَبْعَثُ الله عَلَيْهِمُ العَذَابَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، فَيَقْرأُ صَبِىٌّ مِنْ صِبْيانِهِمْ فى المَكْتَبِ : الحَمْدُ لله رَبّ العالَمِينَ ، فَيَسْمَعُهُ وَيَرْفَعُ عَنْهُمْ بِسَبَبِهِ العذَابِ أرْبَعِينَ سَنَةً » (١) . وقد مرّ ماروى من إبداع علوم جميع الكتب فى القرآن ثم فى الفاتحة ، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير الكلّ ، ومن قرأها فكأنما قرأ الكلّ . قال فى التفسير الكبير : والسبب أن المقصود من جميع الكتب علم الأصول والفروع والمكاشفات ، وقد علم اشتمالها عليها ، قال الفنارى : وذلك لما علم أن أوّلها إلى قوله تعالى : ﴿ مـٰلِكِ

---

(١) أورده الإمام العجلونى فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر على ألسنة الناس ٢٥٦/١ عن حذيفة رضى الله عنه .

وأورده الزمخشرى فى تفسيره الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ١٥/١ سورة الفاتحة وعزاه إلى الثعالبى .

يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [سورة الفاتحة : ٤] إشارة إلى العقائد المبدية المتعلقة بالإلهيات ذاتا وصفة وفعلا ، لأن حصر الحمد يقتضى حصر الكمالات الذاتية والوصفية والفعلية ، ثم النبوات والولايات لأنهما إجلاء النعم وأخصاؤها ثم إلى العقائد المعادية لكونه مالكا للأمر كله يوم المعاد . وأوسطها من قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [سورة الفاتحة : ٥] إلى أقسام الأحكام الرابطة بين الحقّ والعبد من العبادات ، وذلك ظاهر من المعاملات والمزاجر ، لأن الاستعانة الشرعية إما لجلب المنافع أو لدفع المضار . وآخرها إلى طلب المؤمنين وجوه الهداية المرتبة على الإيمان المشار إليه فى القسم . والإسلام المشار إليه فى القسم الثانى وهى وجوه الإحسان : أعنى المراتب الثلاث من الأخلاق الروحانية المحمودة ، ثم المراقبات المعهودة فى قوله عليه الصلاة والسلام « أن تعبد الله كأنَّك تراهُ » . ثم الكمالات المشهودة عند الاستغراق فى مطالع الجلال الرافع لكاف التشبيه الذى فى ذلك الخبر والدافع لغضب تنزيه الجبر وضلال نسبة القدر ، وهذه هى المسماة بعلوم المكاشفات ، والله أعلم بأسرار كلية المبطنات اهـ .

وأما آمين ، فقد قال فيه عليه الصلاة والسلام « عَلَّمنى جِبْرِيلُ آمينَ عنْدَ فَراغِى مِنْ قِرَاءَةِ الفاتِحَةِ وَقالَ إِنَّهُ كالخَتْمِ عَلى الكِتاب » (١) . وزاده علىّ رضى الله عنه توضيحا فقال : آمين خاتم ربّ العالمين ختم به دعاء عبده ، فسره أن الخاتم كما يمنع من المختوم الاطلاع عليه والتصرّف فيه يمنع آمين عن دعاء العبد الخيبة . وقال وهب : يخلق بكلّ حرف منه

---

(١) أورده الزمخشرى فى تفسير الكشاف ١٥/١ سورة الفاتحة وقال صاحب الكافى الشافى فى تخريج أحاديث الكشاف لم أجده .

ملك يقول : اللهمّ اغفر لمن قال آمين . وفى الحديث « الدَّاعِي وَالمؤَمِّنُ شَرِيكانِ » يعنى به قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ [سورة يونس : ٨٩] قال عليه الصلاة والسلام « إِذَا قَالَ الإِمَامُ وَلا الضَّالِّينَ ، فَقُولُوا آمِينَ ، فإِنَّ المَلائِكَةَ تَقُولَها ، فَمَنْ وَافَقَ تأمِينُهُ تأمِينَ المَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ ماتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »(١) . وسرّه مامرّ فى كلام وهب . أما الموافقة فقيل فى الزمان ، وقيل فى الإخلاص والتوجه الأحدى . واختلف فى هؤلاء الملائكة ، فقيل هم الحفظة ، وقيل غيرهم ، ويعضده ماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال « فإِنَّ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ أَهْلِ السَّماءِ »(٢) ويمكن

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الآذان باب جهر المأموم بالتأمين ح رقم ٧٨٢ ، ٢٢٤/١ حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن سمى مولى أبى بكر عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين ... الخ

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الصلاة باب التسميع والتحميد والتأمين ٣٠٦/١ حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن سمى إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الصلاة باب ماجاء فى فضل آمين ٣٠/٢ ح رقم ٢٥٠ من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة عن أبى هريرة بنحو حديث البخارى وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه النسائى فى سننه كتاب الافتتاح باب جهر الإمام بآمين ١٤٣/٢ بنفس طريق الترمذى وبنحو رواية البخارى وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب إقامة الصلاة باب الجهر بآمين ٢٧٧/١ ح رقم ٨٥١ بنفس طريق الترمذى وبنحو رواية البخارى وأخرجه الإمام مالك فى الموطأ كتاب الصلاة باب ماجاء فى التأمين خلف الإمام ٩٥/١ ح رقم ٤٧ حدثنى مالك عن سمى مولى أبى بكر إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٢٣٣/٢ من طريق الزهرى إلى آخر طريق الترمذى وبنحو رواية البخارى .

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الصلاة باب التسبيح والتحميد والتأمين ٣٠٧/١ ح ٧٦

وأخرجه ابن ماجه فى إقامة الصلاة باب الجهر بآمين ٢٧٧/١ ح رقم ٨٥٢

أن يجمع بين القولين بأن يقولها الحفظة وأهل السماء أيضا اهـ منه . وهنا كلام طويل الذيل ثنينا عنان القلم عنه .

ثم استغفروا الله مائة مرة ، قال تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾ [سورة هود : ٣] وفى الحديث « إِنَّهُ لَيُغانُ على قَلْبِى فاسْتَغْفِرُ الله فى اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » (١) . قلت : هو غين أنوار لاغين أغيار ، ومعناه : دوام ترقيه مع الأنفاس ، فيرى أن كلّ مقام نقص بالنسبة لما فوقه ، فاستغفاره من هذا المعنى ، والله أعلم . وقال فى الكوكب الوهاج مانصه : اعلم أنه ينبغى لكلّ عاقل حاذق وكل مؤمن صادق الاشتغال بالاستغفار آناء الليل وأطراف النهار ، فإن الإنسان ليس بمعصوم ، والمتكل على طاعته هو المحروم .

وإن قلت مَا أذنبت قالت مجيبة
وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الذكر باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ٢٠٧٥/٤ حدثنا يحيى بن يحيى وقتيبة بن سعيد وأبو الربيع العتكى جميعًا عن حماد قال يحيى أخبرنا حماد بن زيد عن ثابت عن أبى بردة عن الأغر المزنى وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال إنه ليغان على قلبى وإنى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة .

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الوتر باب الاستغفار ٨٦/٢ ح ١٥١٥ حدثنا سليمان بن حرب ومسدد قال ثنا حماد إلى آخر طريق مسلم ولفظه .

وأخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الدعوات باب استغفار النبى ﷺ فى اليوم والليلة ١٥٢/٤ ح رقم ٦٣٠٧ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال قال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول والله أنى لاستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير باب سورة محمد ﷺ ٣٨٣/٥ ح ٣٢٥٩ - بسم الله الرحمن الرحيم . حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى إلى آخر طريق البخارى ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : عليك بالاستغفار وإن لم يكن هنالك ذنب ، واعتبر استغفار النبىّ ﷺ بعد البشارة واليقين بمغفرة ماتقدّم من ذنبه وما تأخر ، هذا فى معصوم لم يقترف ذنبا قطّ وتقدّس عن ذلك ، فما ظنك بمن لا يخلو من العيب والذنب فى وقت من الأوقات اهـ وقد جاء فى فضل الاستغفار آيات قرآنية وأحاديث نبوية . روى الإمام الترمذى عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ « أَنْزَلَ الله تعالى عَلَىَّ أمانَيْنِ لأُمَّتى - وَمَا كانَ الله لِيُعَذِّبهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ - وما كانَ الله مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [١] - فإذا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيهِمْ الاسْتِغْفار » . وروى أبو داود والطبرانى وأبو يعلى وابن مردويه عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أتانى آتٍ مِنْ رَبى فَقَالَ - وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يَجِدِ الله غَفُورًا رَحِيمًا - وَقَدْ كانَتْ شَقَّتْ عَلَيْهِمُ الآيَةُ الَّتى قَبْلَها - مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ - فأَرَدْتُ أنْ أُبَشِّرَ أصْحابِى قالَ : قُلْتُ يارَسُولَ الله وإن زنى وإن سرق ثم استغفر غفر له ؟ قال نَعْم ، قال : قلت يارسول الله وإن زنى وإن سرق ثم استغفر غُفِر له ؟ قال نَعَمْ ، ثم ثلث ، قال نَعَمْ على رَغْمِ أنْفِ عُوَيْمِرٍ » قال كعب بن ذهل : وأنا رأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه [٢] . وروى ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى قوله

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير باب تفسير سورة الأنفال ٢٧٠/٥ ح رقم ٣٠٨٢ - حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف بن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ ثم ذكره وقال أبو عيسى هذا حديث غريب .

(٢) أورده السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور سورة النساء قوله تعالى « ومن يعمل سـوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله عفورًا رحيمًا » ٢١٩/٢ - ٢٢٠ =

تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ [سورة النساء : ١١٠] قال : أخبر الله تعالى عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته ، فمن أذنب ذنبا صغيرًا كان أو كبيرا ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ، ولو كانت ذنوبه أعظم من السماوات والأرض والجبال (١) وروى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا وتَستَغفِرُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ وَلَجاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ وَيَستَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لهُمْ » (٢) . وروى الإمام ابن

= وعزاه إلى أبى يعلى والطبرانى وابن مردويه عن أبى الدرداء .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب التفسير باب فى سورة النساء ١٠/٧ - ١١ عن أبى الدرداء وعزاه إلى الطبرانى وفيه مبشر بن إسماعيل وثقه ابن معين وغيره وضعفه البخارى وغيره .

(١) أخرجه ابن جرير فى تفسيره جامع البيان عن تأويل أى القرآن سورة النساء قوله تعالى « ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيما » ٢٧٣/٥ حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس ثم ذكره ط عيسى الحلبى .

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة ٢١٠٦/٤ حدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن جعفر الجزرى عن يزيد بن الأصم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لولم تذنبوا ثم ذكر الحديث .

وأخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات باب فى فضل التوبة والاستغفار ٥٤٨/٥ ح ٣٥٣٩ - حدثنا قتيبة - حدثنا الليث عن محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز عن أبى صرمة عن أبى أيوب أنه قال حين حضرته الوفاة قد كتمت عنكم شيئًا سمعت رسول الله ﷺ يقول : لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون ويغفر لهم . وقال أبو عيسى حسن غريب وأخرجه أحمد فى مسنده ٣٠٩/٢ من طريق أحمد قال حدثنا عبد الرزاق إلى آخر طريق مسلم ولفظه .

حنبل رضى الله عنه والحاكم ، وصحّحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبىّ ﷺ « قالَ إبْليسُ : وعِزَّتِكَ لا أَبْرَحُ أُغْوِى عِبادَكَ ما دَامَتْ أرْوَاحُهُمْ فى أجْسَادِهِمْ ، فَقالَ الله : وَعِزَّتى وَجَلالى لا أَزالُ أغْفِرُ لهُمْ ما اسْتَغْفَرُونى » (١) . وروى الطبرانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إنى أذنبت ، فقال له النبىّ ﷺ : إذَا أذْنَبْتَ فاسْتَغْفِرْ رَبَّكَ ، قال : فإنى أستغفر ربى ثم أعود فأُذنب ، قال : فإذَا أذْنَبْتَ فاسْتَغْفِرْ رَبَّكَ ، فقال فى الرابعة : اسْتَغْفِرْ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ حتَّى يَكُونَ الشَّيطانُ هُوَ المُخْسأ » (٢) . وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فيما يحكيه عن ربه عزّ وجلّ « إذَا أذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لى ذُنُوبِى ، فَقالَ تَبارَكَ وَتَعالى : أذْنَبَ عَبدِى ذَنبًا فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَيأخُذُ بالذنب ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ فَقَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لى ذَنْبِى ، فقالَ تبارَكَ وَتَعالى : أَذْنَبَ عَبدِى ذَنبًا فعَلِم أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوب وَيأخُذُ بالذَّنْب ، ثُمَّ عادَ فأذْنَبَ فقالَ : رَبّ اغْفِرْ لِى ذَنْبِى ، فَقَالَ تبارَكَ وَتَعالى : أذْنَبَ عَبْدِى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٧٦/٣ - ثنا يحيى بن إسحاق أنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال قال إبليس أى رب لا أزال أغوى بنى آدم مادامت أرواحهم فى أجسادهم .... الخ .

وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب باب الترغيب فى الاستغفار ٤٦٧/٢ - ٤٦٨ عن أبى سعيد الخدرى وعزاه إلى أحمد والحاكم وصححه . والحاكم فى المستدرك ٢٦١/٤ كتاب التوبة .

(٢) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب التوبة باب ماجاء فيمن يستغفر ويتوب كلما أذنب ٢٠٠/١٠ - ٢٠١ عن أنس وعزاه إلى البزار وفيه بشار بن الحكم الضبى ضعفه غير واحد وقال ابن عدى أرجو أنه لا بأس به وبقية رجاله وثقوا .

فَعَلِم أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَيأخُذُ بالذَّنْب قَدْ غَفَرْتُ فَلْيَفْعَلْ مايَشاءُ » وفى رواية « اعْمَلْ ما شِئْتَ قَدْ غفَرْتُ لَكَ » (١) . وفى كشف الغمة كان ﷺ يقول « مامِنْ مُسْلِمٍ يَعْمَلُ ذَنْبًا إلَّا وَقَفَ المَلَكُ ثَلاثَ ساعاتٍ ، فإن اسْتَغْفَرَ مِنْ ذُنُوبِهِ لَمْ يُوقِفْهُ عَلَيْهِ وَلَمْ يُعَذِّبْهُ يَوْمَ القِيامَة » (٢) . وكان ﷺ يقول : « إن لِلْقُلُوبِ صَدأً كَصَدإِ الحَدِيدِ وجِلاؤُهُ الاِسْتغْفارُ » (٣) اهـ . وقد روى أبو منصور الديلمى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إنَّ لِكلِّ صَدَإٍ جِلاءً ، وَجلاءُ القلوبِ الاسْتِغْفارُ » (٤) وفى ترغيب الطالب روى أن رسول الله ﷺ قال « أكْثِرُوا مِنَ الاسْتغْفارِ ، فإنَّ الإسْتِغْفارَ يأكل الذُّنوبَ كما تأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ وكما

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الفتح : ١٥] ٤٤٧/٤ ح رقم ٧٥٠٧ - حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام حدثنا اسحاق بن عبد الله سمعت عبد الرحمن بن أبى عمرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ثم ذكره .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ٢١١٢/٤ - حدثنى عبد الأعلى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبد الله بن طلحة عن عبد الرحمن إلى آخر طريق البخارى وبلفظه .

(٢) أورده أبى المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى فى كتاب كشف الغمة عن جميع الأمة ٣٣٦/١ باب خاتمة فى الاستغفار .

وأخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب التوبة باب ذكر فضيلة الاستغفار ٢٦٢/٤ - حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن عرق الطائى ثنا أبو المغيرة ثنا سعيد بن سنان عن أم الشعثاء عن أم عصمة العوصية ثم ذكره وصححه الحاكم .

(٣) انظر كشف الغمة عن جميع الأمة ٣٣٦/١ باب الاستغفار .

(٤) أورده المنتقى الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال الباب الخامس فى الاستغفار والتعوذ ٤٨١/١ ح رقم ٢١٠٣

تأكلُ الشاةُ الخضْرَةَ ، وَإِنَّ صَحِيفَةَ المَرْءِ إذا عُرِجَ بِها إلى السَّماءِ وَلَمْ يَكُنْ فِيها اسْتِغْفارٌ لَمْ يَكنْ لَهَا نورٌ ، وَإذا طَلَعَتْ وَفِيهَا الاسْتِغْفارُ كانَ لَهَا نُورٌ يَتَلأْلأُ وَإنْ يكُنْ فِيها الاِسْتغْفارُ يَسيرًا ، وَما جَلَسَ قَوْمٌ بِمَجْلِس لَهْوٍ ثُمَّ خَتَمُوهُ بالاسْتِغْفارِ إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ مَجْلِسُهُمْ ذَلكَ اسْتِغْفارًا كُلُّهُ » . وروى النسفى عنه ﷺ « مامِنْ مُؤْمِنٍ إلاَّ وَلَهُ كُلَّ يَوْم صَحِيفَةٌ ، فإذَا طُويَتْ وَلَيْسَ فِيها اسْتِغْفارٌ طُوِيَتْ وَهِيَ سَوْداءُ مُظْلِمَةٌ ، وَإذَا طُوِيَتْ وَفِيها اسْتِغْفارٌ طُوِيَتْ وَلَهَا نُورٌ يَتَلأْلأُ » . وروى البيهقى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ألاَ أَدُلُّكُمْ على دائِكُمْ وَدَوائِكُمْ ؟ ألاَّ إنَّ داءَكُمْ ذنوبُكُمْ ، وَدَوَاءَكُمُ الاسْتِغْفارُ » (١) . وروى ابن ماجه عن عبد الله أن بشارا رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول « طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فى صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفارًا كَثِيرًا » (٢) . وروى

---

(١) أخرجه الإمام البيهقى فى شعب الإيمان باب معالجة الذنوب بالتوبة ٤٢٨/٥ ح رقم ٧١٤٧ - أخبرناه على بن بشران أنا على بن محمد المصرى نا يحيى بن عثمان نا عبد الله بن هلال العطار حدثنى الربيع بن نجاح بن يسار عن أبيه نجاح بن يسار عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ ألا أدلكم على دائكم ... ثم ذكره وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب باب طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارًا كثيرًا ٤٦٨/٢ وعزاه إلى البيهقى عن أنس .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الأدب باب الاستغفار ١٢٥٤/٢ ح رقم ٣٨١٨ - حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى ثنا أبى ثنا محمد ابن عبد الرحمن بن عرق سمعت عبد الله بن بسر يقول قال النبى ﷺ طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارًا كثيرًا . وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى تعليقا على هذا الحديث . فى الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات .

وأخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٩٥/١٠ عن عائشة رضى الله عنها قال أن النبى ﷺ ينهى عن سب الأموات وقال طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارًا كثيرًا .

الترمذى وحسنه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال تعالى : ياابْنَ آدَمَ إنَّكَ ما دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ على ماكانَ مِنْكَ وَلا أُبالى ، ياابْنَ آدمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماء ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ على ماكانَ مِنْكَ وَلا أُبالى ، يا ابْنَ آدَمَ إنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطايا ثُمَّ أَتَيْتَنِى لا تُشْرِكُ بِى شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً » (١) إلى غير ذلك مما هو مشهور . ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [سورة الأحزاب : ٤] اهـ .

ثم (اللهم صلى على سيدنا محمد الفاتح) الخ مائة مرة ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٦] . وفى روح البيان عند هذه الآية بعد كلام قال سهل بن عبد الله التسترى قدّس سرّه : الصلاة على محمد أفضل العبادات ، لأن الله تولاها هو وملائكته . ثم أمر بها المؤمنين ، وسائر العبادات ليس كذلك : يعنى أن الله تعالى أمر بسائر العبادات ولم يفعله بنفسه ، قال الصديق الأكبر : الصلاة عليه أمحق للذنوب من الماء البارد للنار ، وهى أفضل من عتق الرقاب لأن عتق

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب فضل التوبة والاستغفار ٥٤٨/٥ ح رقم ٣٥٤٠ - حدثنا عبد الله بن إسحاق الجوهرى البصرى حدثنا أبو عاصم حدثنا كثير بن فائد حدثنا سعيد بن عبيد قال سمعت بكر بن عبد الله المزنى يقول : حدثنا أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله ياابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على مافيك ولا أبالى ... الخ وقال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وأخرجه الإمام الدارمى فى سننه كتاب الرقاق باب إذا تقرب العبد إلى الله ٢٣٠/٢ ح رقم ٢٧٩١ - أخبرنا أبو النعمان ثنا مهدى ثنا غيلان عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معديكرب عن أبى ذر ثم ذكره .

الرقاب فى مقابلة العتق من النار ودخول الجنة ، والسلام على النبىّ ﷺ فى مقابلة سلام الله ، وسلام الله أفضل من ألف حسنة .قال الواسطى : صلّ عليه بالأوقار ولا تجعل لها فى قلبك مقدارا : أى لا تجعل لصلواتك عليه مقدارا تظنّ أنك تقضى به من حقه شيئا بصلواتك عليه استجلاب رحمتك على نفسك به . وفى الحديث : « إنَّ لله مَلكاً أعْطاهُ سَمْعَ الخَلائِقِ وَهُوَ قائِمٌ على قَبْرِى إذا مِتُّ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ، فَلَيْسَ أحَدٌ مِنْ أُمَّتِى يُصَلِّى علَيَّ صَلاةً إلاَّ سَمَّاهُ باسْمِهِ وَاسْمِ أبيهِ قالَ : يا مُحَمَّدُ صَلَّى عَلَيْكَ فُلانٌ كَذا وكَذَا ، وَيُصَلِّى الرَّبُّ على ذلكَ الرَّجُلِ بكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرًا » (١) . وفى الحديث « إذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فأحْسِنُوا عَلَيَّ الصَّلاةَ فإنَّكُمْ تُعْرَضُونَ عَلَيَّ بأسْمَائِكُمْ وأسْماءِ آبائِكُمْ وَعَشائِرِكُمْ وأعْمامِكُمْ » (٢) ومن إحسان الصلوات حضور القلب وجمع الخاطر ، وقال بعضهم : إنما تكون الصلوات على النبىّ طاعة وقربة ووسيلة واستجابة إذا قصد بها التحية والتوسل والتقرّب إلى حضرة النبوة الأحمدية ، فإنه بهذه المناسبة يحصل له تقرّب إلى حضرة الأحدية ، ألا ترى أن التقرّب إلى القمر كالتقرّب إلى الشمس فإنه مرآتها ومطرح أنوارها . وفى الحديث « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً أمَرَ الله حافِظَهُ أنْ لا يَكْتُبَ عَلَيْهِ ثَلاثَةَ أيَّام » (٣) . ورأت امرأة ولدها بعد موته يعذب فحزنت لذلك ، ثم رأته بعد ذلك فى النور والرحمة ، فسألته عن ذلك

---

(١) أورده الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/٤٣ - ٤٤ حديث رقم ١٥٣٠ وعزاه إلى الديلمى ١/٣١ عن عمر بن عبد الله بن صالح المروزى حدثنا بكر بن خداش عن فطر بن خليفة عن أبى الطفيل عن أبى بكر الصديق مرفوعًا .

(٢) أورده علاء الدين الهندى فى كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ١/٤٩٧ ح رقم ٢١٩٣

(٣) أورده السيوطى فى كتابه الحبائك فى أخبار الملائك ٢/١٩

فقال : مرّ رجل بالمقبرة فصلى على النبىّ عليه الصلاة والسلام وأهدى ثوابها للأموات ، فجعل نصيبى من ذلك المغفرة فغفر لى .

وحكى عن سفيان الثورى رحمه الله أنه قال : بينما أنا أطوف بالبيت إذ رأيت رجلا لا يرفع قدما إلا وهو يصلى على النبىّ عليه الصلاة والسلام ، فقلت ياهذا إنك تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبىّ عليه الصلاة والسلام ، فهل عندك فى هذا شئ ؟ فقال : من أنت عافاك الله ؟ فقلت : أنا سفيان الثورى ، فقال : لولا أنك غريب فى أهل زمانك لما أخبرتك عن حالى ولا أطلعتك على سرّى ، ثم قال : خرجت أنا وأبى حاجين إلى بيت الله الحرام ، حتى إذا كنا فى بعض المنازل مرض أبى ومات واسودّ وجهه وازرقت عيناه وانتفخ بطنه ، فبكيت وقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات أبى فى أرض غربة هذه الموتة ، فجذبت الإزار على وجهه ، فغلبتنى عيناى فنمت ، فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجها ولا أنظف ثوبا ولا أطيب ريحا ، فدنا من أبى و كشف الإزار عن وجهه ومسح على وجهه ، فصار أشدّ بياضا من اللبن ، ثم مسح على بطنه فعاد كما كان ، ثم أراد أن ينصرف فقمت إليه فأمسكت بردائه وقلت : ياسيدى بالذى أرسلك إلى أبى رحمة فى أرض غربة من أنت ؟ فقال : أو ماتعرفنى ؟ أنا محمد رسول الله ، كان أبوك هذا كثير المعاصى غير أنه كان يكثر الصلاة علىّ ، فلما نزل به مانزل استغاث بى فأغثته وأنا غياث لمن يكثر الصلاة علىّ فى دار الدنيا ، فانتبهت فإذا وجه أبى قد ابيض وانتفاخ بطنه قد زال . قال كعب بن عجرة رضى الله عنه « لما نزل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٦] قمنا إليه فقلنا أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك يارسول الله ؟ قال قُولُوا :

« اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَعلى آلِ مُحَمَّدٍ كما صَلَّيْتَ على إِبْرَاهِيمَ وَعلى آل إبْراهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وبَارِكْ على مُحَمَّدٍ وَعلى آل مُحَمَّدٍ كما بارَكْتَ على إبْرَاهيم وَعَلى آل إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » (١) . كما فى تفسير التيسير اهـ .

(وأما صلاة الفاتح لما أُغلق) فقال شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجانى كما فى جواهر المعانى : كنت مشتغلا بذكر صلاة الفاتح حين رجعت من الحجّ إلى تلمسان لما رأيت من فضلها ، وهو أن المرّة الواحدة منها بستمائة ألف صلاة كما هو فى وردة الجيوب ، وقد ذكر صاحب الوردة أن صاحبها سيدى محمد البكرى الصديقى نزيل مصر وكان قطبا رضى الله عنه قال : إنّ من ذكرها مرّة ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله ، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبى سمغون ، فلما رأيت التى فيها المرّة الواحدة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات تركت الفاتح لما أغلق الخ واشتغلت بها وهى « اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك ، وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاما يعدل سلامهم » لما رأيت فيها من كثرة الفضل ، ثم أمرنى ﷺ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير « سورة الأحزاب » باب قوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ج ٣ ص ٢٥٤ ح رقم ٤٧٩٧ – حدثنا سعيد بن يحيى حدثنا أبى حدثنا مسعر عن الحكم عن ابن أبى ليلى عن كعب بن عجزه ، ثم ذكره .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الصلاة باب الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد ٣٠٥/١ من طريق شعبة عن الحكم إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير باب سورة الأحزاب ج ٥ ص ٣٥٩ عن أبى مسعود الأنصارى ثم ذكر الحديث بمثل رواية البخارى ومسلم وقال أبو عيسى وفى الباب عن كعب بن عجرة وهذا حديث حسن صحيح .

بالرجوع إلى صلاة الفاتح لما أغلق ؛ فلما أمرنى بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها ، فأخبرنى أوّلا بأن المرّة الواحدة منها تعدل من القرآن ستّ مرّات ، ثم أخبرنى ثانيا بأن المرّة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع فى الكون من كل ذكر ومن كلّ دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرّة لأنه من الأذكار اهـ منه . قال فى الكوكب الوهاج : وإن أردت أن تطلع على بعض حقيقة ذلك ليتضح لك الأمر لئلا تقع فى عواطب أمر فاعلم كما قال سيدنا رضى الله عنه كما كتبه رضى الله عنه جوابا للخليفة سيدنا على حرازم براده قدّس سرّه ، ونصه كما فى جواهر المعانى : وخاصية الفاتح لما أغلق أمر إلهى لا مدخل فيه للعقول ، فلو قدرت مائة ألف أمة فى كل أمة مائة ألف قبيلة فى كل قبيلة مائة ألف رجل ، وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم فى كل يوم ألف صلاة على النبى ﷺ من غير صلاة الفاتح لما أغلق ، وجمع ثواب هذه الأمم كلها فى مدة هذه السنين كلها فى هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب مرّة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق ، فلا تلتفت لتكذيب مكذّب ولا لقدح قادح فيها ، فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، فإنّ لله سبحانه وتعالى فضلا خارجا عن دائرة القياس ، ويكفيك قوله سبحانه ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٨] فما توجه متوجه إلى الله تعالى بعمل يبلغها وإن كان ماكان ، ولا توجه متوجه إلى الله بعمل أحبّ إليه منها ولا أعظم عند الله منها إلا مرتبة واحدة ، وهى من توجه إلى الله باسمه العظيم الأعظم لاغير هو غاية التوجهات والدرجة العليا من جميع التعبدات ، ليس لفضله غاية ولا فوقه نهاية ، وهذه الصلاة تليه فى المرتبة والتوجه والثواب والفوز بمحبة الله لصاحبها وحسن المآب ، فمن توجه إلى الله مصدّقا بهذا الحال فاز

برضا الله وثوابه فى دنياه وأخراه بما لاتبلغه جميع الأعمال ، يشهد بها الفيض الإلهى الذى لا تبلغه الآمال وَلا يحصل هذا الفضل المذكور إلا مع التسليم ، ومن أراد المناقشة فى هذا الباب وهذا الحلّ فليترك ، فإنه لا يفيده استقصاء حجج المقال ، واترك عنك محاججة من يطلب منك الحجج ، فإن القول فى ذلك ردًا وجوابا كالبحر لا تنقطع منه الأمواج ، والقلوب فى يد الله هو المتصرّف فيها والمقبل بها والمدبر بها ، فمن أراد سعادته والفوز بثواب هذه الياقوتة الفريدة جذب قلبه إلى التصديق بما سمعه فيها وعرفه التسليم لفضل الله سبحانه بأنه لا يأخذه الحدّ والقياس فصرف همته فى التوجه إلى الله تعالى بها والإقبال على الله بشأنها ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [سورة السجدة : ١٧] ومن أراد الله حرمانه من خيرها صرف قلبه بالوسوسة وبقوله من أين يأتى خبرها ، واشتغل بما قلناه لك ، ومن أطاعك فى ذلك وأعرض عن مناقشتك فى البحث بتحقيق ذلك فإنا أخذناه من الوجه الذى تعلمه وكفى اهـ . والكلام فى الياقوته الفريدة لا تحمله المجلدات الكبار ، وفى هذا القدر اليسير غنية وكفاية .

ثم ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الصافات ١٨٠ : ١٨٢] قال الله تعالى : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٤٢] وفى الحديث الصحيح « أَفْضَلُ الكَلامِ سُبحانَ الله وَالحَمْدُ لله وَلا إِلَهَ إلاَّ الله والله أكْبَرُ »[١] انظر الجامع الصغير للحافظ السيوطى . وفى روح البيان

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الأيمان والنذور باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته ٢٣٦/٤ « فى الترجمة » .
=

مانصه : وعن علىّ رضى الله تعالى عنه « مَنْ أحَبَّ أنْ يَكْتَالَ بالمِكْيَالِ الأوْفى مِنَ الأجْرِ يَوْمَ القيامَةَ فَلْيَكُنْ آخِرُ كَلامِهِ مِن مَجْلِسِهِ : سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ » الخ (١) . وفى بعض النسخ « مَنْ أحَبَّ أنْ يُكالَ لَهُ » . يقول الفقير أصلحه الله القدير : « فللمؤمن أن يتدارك حاله بشيئين قبل أن يقوم من مجلسة : أحدهما بجلب الأجر الجزيل وهو بالآية المذكورة ، والثانى بالكفارة وهو بما أشار إليه النبىّ عليه الصلاة والسلام فى قوله : « مَن جَلَسَ مَجْلِسًا فَكَثُرَ فِيه لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أنْ يَقُومَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ أنْتَ أسْتَغْفِرُكَ وأتُوبُ إلَيْكَ ، فَقَدْ غُفِرَ لَهُ » (٢) يعنى من الصغائر مالم يتعلق بحقّ آدمىّ كالغيبة

= وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الأداب باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه ١٦٨٥/٣ - حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا منصور عن هلال بن يساف عن ربيع بن عميلة عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت ولا تسمين غلامك يسارًا ولا رباحا ولا نجيحا ولا أفلح فإنك تقول ثم هو ؟ فلا يكون فيقول : لا .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الأدب باب فضل التسبيح ١٢٥٣/٢ ح رقم ٣٨١١ حدثنا أبو عمر حفص بن عمر ثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن هلال بن يساف عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ قال أربع أفضل الكلام لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله وأكبر .

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور سورة الصفات قولـه تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون ... الآية ج ٥ ص ٥٥٤ وعزاه إلى حميد ابن زنجويه فى ترغيبه عن على رضى الله عنه .

(٢) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب مايقول إذا قام من المجلس ٤٩٤/٥ ح ٣٤٣٣ - حدثنا أبو عبيدة بن أبى السفر الكوفى أحمد بن عبد الله الهمدانى حدثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرنى موسى بن عقبة عن سهيل ابن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا =

كما فى شرح الترغيب المسمى بفتح القريب ، فعلى العاقل أن لا يغفل فى مجلسه بل يذكر ربه لأنسه ويختمه بما هو من باب التخلية والتحلية والتصفية والتجلية ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة يونس : ١٠] اهـ . وحيث كان الغرض ذكر التسبيح ، والحديث شجون ، فلنأت بصلاة التسبيح تتميما للفائدة . (١ أخرج الإمام الطبرانى فى الكبير ، وأبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « جاء العباس إلى النبى » ﷺ فى ساعة لم يكن يأتيه فيها ، فقيل يارسول الله هذا عمك على الباب ، فقال ، ائْذَنُوا لَهُ فَقَدْ جاءَ لِأَمْرٍ ، فلما دخل عليه قال : ماجاءَ بِكَ يا عَمَّاهُ هِذِهِ السَّاعَةَ ؟ قال : يا ابن أخى ذكرت الجاهلية وجهلها فضاقت علىّ الدنيا بما رحبت ، فقلت من يفرّج عنى ؟ فعلمت أنه لا يفرج عنى أحد إلا الله تعالى ثم أنت ، فقال : الحَمْدُ لله الَّذِى أوْقَعَ هَذَا فى قَلْبِكَ أحْبُوكَ ؟ قال نعم ، أُعْطِيكَ ؟ قال نعم : قال : فإذَا كانَ

= إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر له ماكان من مجلسه ذلك . وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه لا نعرفه من حديث سهيل إلا من هذا الوجه .

وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٤٩٤/٢ - ٤٩٥ من طريق أحمد ثنا الحجاج أخبرنى موسى بن عقبة إلى آخر طريق الترمذى ولفظه .

(١ - ١) أخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ١٦١/١١ - ١٦٢ ح رقم ١٣٦٥ - حدثنا ابراهيم بن نائلة ثنا شيبان ثنا نافع بن هرمز عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء العباس إلى النبى ﷺ ساعة لم يأتيه فيها فقيل يارسول الله هذا عمك على الباب فقال : « ائذنوا له فقد جاء لأمر فلما دخل قال فما جاء بك ياعماه هذه الساعة ثم ذكر الحديث بطوله .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٨٢/٢ وعزاه إلى الطبرانى وفيه نافع بن هرمز وهو ضعيف .

ساعَةٌ يُصلَّى فِيها لَيْسَتْ بَعْدَ العصْرِ وَلا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِيما بَيْنَ ذلك فاسْبغْ طَهُورَكَ ثُمَّ قُمْ إلى الله عَزَّ وَجلَّ فاقرأ بِفاتِحَةِ الكِتاب وَسُورَة إنْ شِئْتَ جعَلْتَها مِنْ أوّلِ المُفصَّل ، فإذا فَرَغْتَ مِنَ السُّورَةِ فَقُلِ : سُبْحانَ الله وَالحمْدُ لله وَلا إلَهَ إلَّا الله وَالله أكْبرُ خَمسَ عَشرَةَ مَرَّةً ، فإذا رَكَعْتَ فَقُلْ ذلكَ عَشْرَ مَرَّات ، فإذا رَفَعْتَ رَأْسَكَ فَقُلْ ذلْكَ عَشْرَ مَرَّات ، فإذا سَجَدْتَ فَقُلْ ذلَكَ عَشْرَ مَرَّات ، فإذا رَفَعْتَ رِأْسَكَ فَقُلْ ذَلْكَ عَشْرَ مَرَّات ، فإذا سَجَدْتَ فَقُلْ ذلكَ عَشْرَ مَرَّات ، فإذا رَفَعْتَ رأْسَكَ وَجلَسْتَ فَقُلْ ذلكَ عَشْرَ مَرَّات ، فَهذه خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ ، ثُمَّ قُمْ فارْكَعْ رَكْعَةً أُخْرَى فاصْنَعْ فيها ما صَنَعْتَ فى الأُولى : ثُمَّ قُل قَبْلَ التَّشَهُّدِ عَشْرَ مَرَّاتٍ فَهَذِهِ مَائَةٌ وَخَمْسُونَ ، ثُمَّ ارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنَ مِثْلَ ذلكَ ، فَهَذِهِ ثَلاثُمائَةٍ ، فإذا فَرَغْتَ وَلَوَ كانَتْ ذُنُوبُكَ مِثْلَ عَدَدِ نُجُومِ السَّماءِ مَحاها الله ، وَإنْ كانَتْ مِثْلَ رَمْلِ عالِجٍ ، وَإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ ، فإن اسْتَطَعْتَ فَصَلِّها فى كلّ يَوْمٍ مَرَّةً ، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ففى كُلِّ جُمعَةٍ مَرَّةً ، فإنْ لَمْ تَستَطِعْ فَفِى كُلِّ شَهْرٍ ، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفِى كُلَّ سَنَةٍ مادُمْتَ حَيًّا » (١) اهـ . (١ وفى الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله : للعباس بن

(١ - ١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الصلاة باب صلاة التسابيح ٢٩/٢ ح رقم ١٢٩٧ - حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى ثنا موسى بن عبد العزيز ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب ياعباس ياعماه إلا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ثم ذكره وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب إقامة الصلاة باب ماجاء فى صلاة التسبيح ٤٤٣/١ ح رقم ١٣٨٧ بنفس طريق أبو داود ولفظه .

وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب كتاب الصلاة باب صلاة التسبيح ٤٦٧/١

عبد المطلب « ياعَبَّاسُ يا عَمَّاهُ ألاَ أُعْطِيكَ ألاَ أمْنَحُكَ ألاَ أحْبُوكَ ألاَ أفْعَلُ لكَ ؟ عَشْرُ خِصَالٍ إذا أنت فَعَلْتَ ذلكَ غَفَرَ اللهُ لَكَ ذَنْبَكَ أوَّلَهُ وآخِرَهُ وَقَدِيمَهُ وحَدِيثَهُ وَخطأهُ وَعَمْدَهُ وَصَغِيرَهُ وكَبِيرَهُ وَسِرَّهُ وَعَلانِيَتَهُ ، عَشْرُ خِصَالٍ : أنْ تُصَلِّيَ أرْبَعَ رَكعَاتٍ ، تقْرأُ فى كُلِّ رَكْعَةٍ بِفاتِحَةِ الكِتَابِ وَسُورَةٍ ، فإذَا فَرَغْتَ مِنَ القِرَاءَةِ فى أوَّلِ رَكْعَةٍ فَقُلْ وأنْتَ قائِمٌ : سُبْحانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلا إلَهَ إلاَّ اللهُ واللهُ أكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُ وأنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا ، ثُمَّ تَرْفَعُ رأسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ فتَقُولُها عَشْرًا ، ثُمَّ تَهْوِى ساجِدًا فَتَقُولُ وأنْتَ ساجِدٌ عَشْرًا ، ثُمَّ تَرْفَعُ رأسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولَها عَشْرًا ، فَذلكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ مَرَّةً فى كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذلكَ فى أرْبَعِ رَكَعَاتٍ إنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تُصَلِّيَها فى كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فافْعَلْ ، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفى كُلِّ جُمْعَةٍ مَرَّة ، فإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِى كُلِّ شَهْرٍ مَرَّة ، فإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِى كُلِّ سَنَةٍ ، فإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِى عُمُرِكَ مَرَّةً »(١) انتهى . رواه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه وقال : إن صحّ الخبر فإن فى القلب من هذا الإسناد شيئا فذكره ، ثم قال : رواه إبراهيم بن الحكم ابن أبان عن أبيه عن عكرمة مرسلا ولم يذكر ابن عباس . قال الحافظ : ورواه الطبرانى وقال فى آخره « فَلَوْ كانَتْ ذُنُوبُكَ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ أوْ رَمْلِ عالجٍ غَفَرَ اللهُ لَكَ » قال الحافظ : وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة وعن جماعة من الصحابة ، وأمثلها حديث عكرمة هذا ، وقد صححه جماعة منهم الحافظ أبو بكر الآجرى ، وشيخنا أبو محمد بن عبد الرحيم المصرى ، وشيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسى رحمهم الله تعالى ، وقال أبو بكر بن أبى داود : سمعت أبى يقول : ليس فى صلاة التسبيح حديث صحيح غير هذا . وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى : لا يروى فى هذا الحديث إسناد أحسن من هذا : يعنى إسناد

حديث عكرمة عن ابن عباس وقال فى آخره : وإذا فرغت قلت بعد التشهد وقبل السلام « اللهمّ إنى أسئلك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وحذر أهل الخشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك ؛ اللهم إنى أسألك مخافة تحجزنى بها عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملا أستحق به رضاك ، وحتى أناصحك بالتوبة خوفا منك ، وحتى أخلص لك النصيحة حبا لك ، وحتى أتوكل عليك فى الأمور كلها حسن ظنّ بك ، سبحان خالق النور » اهـ منه بلفظه . قلت : فشدّ يدك على هذه الذخيرة العظمى والكنز الأسمى .

ثم (لا إله إلا الله) مائة مرّة ، قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأنفال : ٤٥] . وفضائل هذه الكلمة أكثر من أن تحصى ، وأحاديثها الصحيحة الواردة عن رسول الله لا تستقصى ، ومالا يمكن كله لا يترك بعضه أو جله . قال العلامة العارف بالله الربانى السيد أحمد ابن الحاج العياشى سكيرج متع الله بطول بقائه فى الكوكب الوهاج مانصه : اعلم أن هذه الكلمة الطيبة قد أجمع أئمة الظاهر والباطن على أنه لا يكفى العباد غيرها عند موتهم ، ولا يكون علامة على شهادتهم سواها من الأذكار ، وقد أمر الله عباده أن يعتقدوها ، وقال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة محمد : ١٩] . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله : قال « أُمِرْتُ إِنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله » (١) .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ٤٧/١ ح رقم ٢٥ - حدثنا عبد الله بن محمد المسندى ثنا حدثنا أبو روح الحرمى بن عمارة قال حدثنا شعبة عن واقد بن محمد قال سمعت أبى =

وعن سيدنا عثمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنى لأَعْلَمُ كَلِمَةً لا يَقُولُها عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ إلاَّ حَرَّمَهُ الله تعالى على النَّارِ » (١) . وقال سيدنا عمر رضى الله عنه : أنا أحدثكم ماهى ،

= يحدث عن عمر أن رسول الله ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ماجاء به النبى ﷺ وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله ... الخ ٥٢/١ حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الإيمان باب ماجاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله - ٣/٥ ح رقم ٢٦٠٦ - حدثنا هناد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها منعوا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله .

وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه النسائى فى سننه كتاب الإيمان باب على من يقاتل ١٠٩/٨ أخبرنا محمد بن حاتم بن نعيم قال أنبأنا حيان قال أنبأنا قال أنبأنا عبد الله عن حميد عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدو أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ .

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٦٣/١ ثنا عبد الوهاب الخفاف ثنا سعيد عن قتادة عن مسلم بن يسار عن حمران بن أبان أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًا من قلبه إلا حرم على النار فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنا أحدثك ماهى هى كلمة الإخلاص التى أعز الله تبارك وتعالى بها محمدًا ﷺ وأصحابه وهى كلمة التقوى التى عليها نبى الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله . =

هى كلمة الإخلاص التى ألزمها محمد وأصحابه وهى : لا إله إلا الله وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : لقدْ ظننتُ يا أبا هُرَيْرَةَ أنْ لا يسألنى عنْ هذا الحديثِ أحدٌ أوْلى منكَ لِمَا رأيتُ مِن حرْصِكَ على الحديث : أسْعَدُ الناسِ بِشفاعتى يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ قالَ لا إلَهَ إلاَّ الله أخْلَصَ مِنْ قَلْبِهِ أوْ نَفْسِهِ » (١) . وقال ﷺ « ماقالَ عَبْدٌ لا إلَهَ إلاَّ الله خالِصًا مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ إلاَّ صَعِدَتْ لا يَرُدُّها حِجابٌ ، فإذَا وَصَلتْ إلى الله تعالى نَظَرَ الله إلى قائِلِها ، وَلا يَنْظُرُ الله تَعالى إلى مُوَحِّد إلاَّ رَحِمَهُ » . وعن أبى هريرة

= وأخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الإيمان من قال لا إله إلا الله حقًا من قلبه حرمه الله على النار ٧٢/١ من طريق يحيى بن أبى طالب ثنا عبد الوهاب بن عطاء إلى آخر سند الإمام أحمد ولفظه وقال الحاكم تعليقا على هذا الحديث هذا حديث صحيح على شرط الشيخان ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبى فى ذيل المستدرك .

والهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الإيمان باب فيمن شهد أن لا إله إلا الله ١٥/١ عن عثمان بن عفان رضى الله عنه والمنذرى فى الترغيب والترهيب كتاب الذكر والدعاء باب مفاتيح الجنة شهادة لا إله إلا الله ٤١٦/٢ وعزاه إلى الحاكم وصححه .

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب الحرص على الحديث ٧٠/١ ح ٩٩ - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنى سليمان عن عمرو بن أبى عمرو عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال قيل يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله ﷺ لقد ظننت ياأبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث - أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه ، ٢١٠/٤ - ٢١١ كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ح رقم ٦٥٧٠ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عمرو إلى آخر الطريق الأول ولفظه .

وأخرجه أحمد فى المسند ٣٧٣/٢ من طريق اسماعيل أخبرنى عمرو إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إِنَّ لله تَبارَكَ وَتَعالى عَمُودًا مِنْ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ العَرْشِ ، فإذَا قالَ العَبْدُ : لا إلَهَ إلاَّ الله اهْتَزَّ ذلكَ العَمُودُ ، فَيَقُولُ الله تبارَكَ وَتَعالى : اسْكُنْ ، فَيَقُولُ : كَيْفَ اسْكُنُ وَلَمْ تَغْفِرْ لِقائِلِها ، فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلا : إنى قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ، فَيَسْكُنُ عِنْدَ ذلكَ »(١) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « قال مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ : يارَبِّ عَلِّمْنى شَيْئا أذكُرُكَ بِهِ وأدْعُوك بِهِ ، قالَ يا مُوسَى قُلْ لا إلَهَ إلاَّ الله قالَ : يارَبّ كُلُّ عِبادِكَ يَقُولُون هَذا ، قال : قُلْ لا إلَهَ إلاَّ الله ، قالَ : إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنى بِهِ ، قالَ : يامُوسَى لَوْ أنَّ أهْلَ السَّمواتِ السَّبْعِ والأَرَضِينِ السَّبعِ فى كِفَّةٍ وَلا إلَهَ إلاَّ الله فى كِفَّة مالَتْ بِهِنَّ لا إلَهَ إلاَّ الله »(٢) . وعنه ﷺ أنه قال « لَيْسَ على أهْلِ لا إلَهَ إلاَّ

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١٦٤/٣ فى ترجمة صفوان بن سليم حدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا محمد بن يونس الكديمى ثنا عبد الله بن إبراهيم بن أبى عمرو الغفارى ثنا عبد الله بن أبى بكر بن المنكدر عن صفوان عن سليمان بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن لله تعالى عمودًا من نور ... ثم ذكره وقال أبو نعيم غريب من حديث صفوان تفرد به ابن المنكدر ورواه محمد بن أشرس عن عبد الصمد بن حسان عن سفيان الثورى مثله .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى فضل لا إله إلا الله ٨٢/١٠ عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أن لله تبارك وتعالى عمودا ثم ذكره وعزاه إلى البزار وفيه عبد الله بن إبراهيم بن أبى عمرو وهو ضعيف جدًا .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب الدعاء باب فضل لا إله إلا الله وأمر الله بها موسى عليه السلام ٥٢٨/١ - حدثنا أبو النضر محمد بن يوسف الفقيه ثنا عثمان بن سعيد الدارمى ثنا أصبغ بن الفرج المصرى أنبأنا وهب ثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبى السمح حدثهم عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : قال موسى عليه السلام علمنى شيئا أذكرك به وأدعوك به . ثم ذكره وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى . =

اللهِ وَحْشَةٌ فِى قُبُورِهِم وَلا نُشُورِهِمْ ، وكأنى بِأَهْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ وَيَقُولُونَ : الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ » (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبىّ ﷺ قال « أَخْبَرَنِى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ أُنْسٌ لِلْمُسْلِمِ عِنْدَ مَوْتِهِ وفى قَبْرِهِ وَحِينَ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ ، يامُحَمَّدُ لَوْ تَرَاهُمْ حِينَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَن رُءُوسِهِمْ ، هَذا يَقُولُ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فَيَبْيَض وَجْهُهُ ، وَهَذَا : ياحَسْرَتَى على مافَرَّطْتُ فى جَنْبِ اللهِ فَيَسْوَدُّ وَجْهُهُ » (٢) . وفى الخبر « يَقُولُ اللهُ تَعالى : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ حِصْنِى ، فَمَنْ دَخَلَ حَصْنِى أَمِنَ مِنْ عَذَابِى » (٣) . وروى الإمام القرطبى بسنده أن النبىّ ﷺ قال « حَضَرَ مَلَكُ المَوْتِ عَلَيْهِ السَّلامُ رَجُلاً ، فَنَزَلَ فى كُل عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ فَلَمْ

= وأخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٣٢٧/٨ - ٣٢٨ فى ترجمة عبد الله بن وهب من طريق حرملة بن محيى ثنا عبد الله بن وهب إلى آخر سند الحاكم ولفظه .

(١) أورده الإمام الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب ماجاء فى فضل لا إله إلا الله ٨٢/١٠ - ٨٣ عن ابن عمر رضى الله عنهما وعزاه إلى الطبرانى فى الأوسط فى رواية محيى الحمانى وفى رواية مجاشع بن عمرو وكلاهما ضعيف .

وأورده الإمام المنذرى فى الترهيب والترهيب كتاب الذكر والدعاء باب مفاتيح الجنة شهادة إلا إله إلا الله ٤١٦/٢

وعزاه إلى الطبرانى وذكر ماقاله الهيثمى .

وانظر اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١٠/٥ - وكشف الخفاء ٢٤/٢

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ولكن وقفت عليه عن ابن عمر انظر الحديث السابق .

(٣) أورده الزبيدى فى اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١٤٦/٣ - ١٤٧ وقال العراقى رواه الحاكم فى التاريخ وأبو نعيم من طريق أهل البيت من حديث على بإسناد ضعيف جدًا .

يَجِدْ فِيهِ حَسَنَةً ، ثُمَّ شَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئا ، ثُمَّ فَكَّ عَنْ لَحْيَيْهِ فَوَجَدَ طَرَفَ لِسانِهِ لاصِقًا بِحَنَكِهِ يَقُولُ : لا إِلَهَ إلاَّ الله ، فَقالَ : وَجَبَتْ لَكَ الجَنَّةُ بِقَوْلِ كَلِمَةِ الإخْلاصِ » (١) . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه « أن النبىّ ﷺ أردف معاذ بن جبل رضى الله عنه على حمار له اسمه عفير وقال : يا مُعاذُ ، قال : لبيك يارسول الله وسعديك ، فناداه ثانيا ، فقال : لبيك يارسول الله وسعديك ، فناداه ثالثا ، فقال : يامُعاذُ ، قال : لبيك يارسول الله وسعديك ، قال : مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ إلاَّ حَرَّمَهُ الله على النَّارِ ، قال : قلت يارسول الله أفلا أخبر بهذا الناس فيستبشروا ؟ قال : إذًا يَتَّكِلُوا » فأخبر بها معاذ عند موته تأثما (٢) . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبىّ ﷺ قال « يَفْتَحُ الله تعالى أبْوَابَ الجَنَّةِ وَيُنادِى مُنادٍ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ : أيَّتُهَا الجَنَّةُ وكُلُّ مافِيكِ مِنَ النِّعَم لِمَنْ أنْتِ ؟ فَتُنادِى الجَنَّةُ وكُلُّ مافِيها نَحْنُ لِأهْلِ لا إِلَهَ إلاَّ الله ، وَلَا نَطْلُبُ إلاَّ أهْلَ لا إِلَهَ إلاَّ الله وَلا يَدْخُلُ عَلَيْنا إلاَّ أهْلَ لا إِلَهَ إلاَّ الله ، وَنَحْنُ مُحَرَّمُونَ على مَنْ لَمْ يَقُلْ لا إِلَهَ إلاَّ الله ، وَعِنْدَ هَذَ تَقُولُ النَّارُ وَمافيها مِنَ العَذابِ لا يَدْخُلُنِى إلاَّ مَنْ

---

(١) أورده الإمام القرطبى فى كتابه التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة باب تلقين الميت لا إله إلا الله ص ٣١ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ٦١/١ حدثنا إسحاق بن منصور أخبرنا معاذ بن هشام قال حدثنى أبى عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك أن النبى ﷺ ومعاذ بن جبل رديفه على الرحل قال يامعاذ قال لبيك رسول الله وسعديك ثم ذكره .

وأخرجه البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا ٧٨/١ ح رقم ١٢٨ - حدثنا اسحاق بن إبراهيم حدثنا معاذ بن هشام إلى آخر طريق الإمام مسلم ولفظه .

أنكَرَ لا إلَهَ إلاَّ الله ، وَلا أطْلُبُ إلاَّ مَنْ كَذَّبَ بِلا إلَهَ إلاَّ الله ، وأنا حَرَام على مَنْ قال لا إلَهَ إلاَّ الله ، وَلا أمْتَلِئُ إلاَّ بِمَنْ جَحَد لا إلَهَ إلاَّ الله ، وَلَيْسَ غَيْظى وَزَفِيرى إلاَّ على مَنْ أنْكَرَ لا إلَهَ إلاَّ الله ، ثُم قالَ : فَتَجِئُ رَحْمَةُ الله وَمَغفِرَتُه فتقُولُ : أنَا لأهْلِ لا إلَهَ إلاَّ الله ، وَنَاصِرَةٌ لِمَنْ قالَ لا إلَهَ إلاَّ الله وُمُحِبَّةٌ لِمَنْ قالَ لا إلَهَ إلاَّ الله ، وَالجَنَّةُ مُباحَةٌ لِمَنْ قالَ لا إلَهَ إلاَّ الله ، وَالنَّارُ مُحرَّمَةٌ على مَنْ قالَ لا إلَهَ إلاَّ الله ، وَالمَغْفِرَة مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ لِمَنْ قالَ لا إلَهَ إلاَّ الله ، وَالرَّحْمَةُ وَالمغْفِرَةُ غيْرُ مَحْجوبَةٍ عنْ أهْلِ لا إلَهَ إلاَّ الله » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبى ذرّ الغفارى رضى الله عنه « نادِ النَّاسَ مَنْ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ ، قال أبو ذرّ : وإن زنى وسرق ؟ قال : وَإنْ زَنى وَسَرَق حتى قالها ثلاث مرّات ، وقال فى الثالثة : وَإنْ زَنى وَسَرَق على رَغْمِ أنْفِ أبى ذَرّ » (١) . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مازِلْتُ أشْفَعُ إلى ربى فَيُشَفِّعُنى حتَّى أقُولَ يارَبِّ شَفِّعْنى فيمَنْ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب اللباس باب الثياب البيض ٤٦/٤ ح رقم ٥٨٢٧ - حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث عن الحسين عن عبد الله بن بريرة عن يحيى بن يعمر حدثه أن أبا الأسود الديلى حدثه أن أباذر حدثه قال أتيت النبى ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال مامن عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق ... ثم ذكره وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من مات لا بشرك بالله سيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار ٩٥/١ - حدثنا زهير بن حرب وأحمد بن خراش قالا حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنى أبى قال حدثنا حسين المعلم عن ابن بريدة إلى آخر طريق البخارى ومسلم .

وأخرجه أحمد فى مسنده ١٦٦/٥ من طريق أحمد حدثنا عبد الوارث إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

قالَ لا إلَهَ إلاَّ الله ، فَيقُولُ الله تعالى : هَذِهِ لَيْسَتْ لَكَ يا مُحَمَّدُ ، وإنَّمَا هِيَ لِى ، وَعِزَّتِى وَجَلالى وَحِلْمى وَرَحْمَتِى لا أضَعُ فِى النَّار أحَدًا قالَ لا إلَهَ إلاَّ الله » (١) . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « يُؤتى بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى يَوْمَ القِيامَةِ على رُءُوسِ الخَلائِقِ فَيُنْظَرُ عَلَيْهِ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سِجلاً كُلُّ سِجلٍّ مِنْهَا مَدُّ البَصَرِ ، فَيُقالُ لَهُ : أتُنْكِرُ مِنْ هَذا شَيْئًا ؟ فَيَقُولُ : لا يارَبْ ألكَ عُذْرٌ . فيَقُولُ : لا يارَبِّ ، فَيقُولُ الله لَهُ : إنَّ لَكَ عِنْدَى وَدِيعَةً وإنَّهُ لا ظُلْمَ اليَوْمَ عَلَيْكَ ، فَتَخْرُجُ لَهُ بطاقَةٌ فِيها أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله ، أشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ ، فَيَقُولُ ، يارَبِّ ماهَذِهِ البِطاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجلاَّت ؟ فَيقُولُ الله تعالى : لا ظُلْمَ اليَوْمَ عَلَيْكَ ، وَتُوضَعُ السِّجلاَّتُ فى كِفَّةٍ وَالبِطاقَةُ فى كِفَّةٍ ، فَطاشَتِ السِّجلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطاقَةُ فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شَئٌ » (٢) وبالله التوفيق .

---

(١) أخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة باب ذكر الشفاعة ٣٩٥/٢ - ٣٩٦ ح رقم ٨٢٨ - ثنا عباس بن عبد العظم ثنا حماد بن مسعدة عن عمران العمى عن الحسن عن أنس يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال مازلت أشفع إلى ربى ثم ذكره وقال محققه الشيخ الألبانى حديث صحيح رجاله ثقات .

وأخرجه أبو نعيم فى ذكر أخبار أصبهان ٢٣٤/١ فى ترجمة بشر بن حبان .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الإيمان باب ماجاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ٢٤/٥ - ٢٥ ح رقم ٢٦٣٩ - حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله عن ليث بن سعد حدثنى عامر بن يحيى عن أبى عبد الرحمن المعافرى ثم الحلبى قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص ثم ذكره وقال أبو عيسى هذا حديث حسن .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الزهد باب ماجاء ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ١٤٣٧/٢ ح رقم ٤٣٠٠ من طريق ابن أبى مريم ثنا الليث إلى آخر طريق الترمذى ولفظه .

وأخرجه أحمد فى المسند ٢١٣/٢ من طريق ابن المبارك ثنا ليث إلى آخر طريق الترمذى ولفظه .

(الحديقة الثانية في ذكر أسمائها وبعض النكت المستخرجة منها) . قال السيد العارف بالله السيد الحسن بن مسعود اليوسى قدّس سره فى كتابه منهاج الخلاص من كلمة الإخلاص مانصه : اعلم أن الكلمة المشرفة هى بحسب اعتبار أهل اللغة يقال لها كلمة النفى والإثبات لوقوع ذلك فيها ، ويقال لها فى عرف الفقهاء والأصوليين كلمة الشهادة لأنها وقعت فيها الشهادة لله تعالى بالوحدانية فى الألوهية لأنها الكلمة التى تقع بها من الإنسان الشهادة بذلك أوّل الإسلام ، وهما اعتباران متقاربان ، وقد يقال كلمتا الشهادة بالتثنية أو كلمة الشهادتين ، وتراد هى وأختها : محمد رسول الله ﷺ ، فإن الإيمان لا ينتظم إلا بهما معا ، وقد يقال لها عندهم كلمة التوحيد إما لتضمنها عندهم توحيد الله تعالى بالألوهية وهو صريحها ، وإما لتضمنها جميع مباحث التوحيد ، وهى ثلاثة أقسام : إلهيات ، ونبوّات ، وسمعيات . وأما المفسرون والصوفية فقد اعتبروا لها أسماء كثيرة استنبطوها من النصوص ، ذكر جملة منها حجة الإسلام ، وزاد بعض المتأخرين فيها ؛ ونحن نذكر مجموع ذلك مع ذكر أدلتها على حسب ما تأوّلوها وبالله التوفيق (الاسم الأوّل) كلمة التوحيد كما مرّ من قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٣] . (الثانى) وهو يجمع ثلاثة أسماء : كلمة الإسلام ، كلمة الإيمان ، كلمة الإحسان من قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٩٣] فقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ﴾ قالوا : لا إله إلا الله فى مقام الإسلام ﴿ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ﴾ قالوا . لا إله إلا الله فى مقام الإيمان (ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا) قالوا :

لا إله إلا الله فى مقام الإحسان ، وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [سورة الإسراء : ٧] وقوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ قيل الإحسان قول : لا إله إلا الله. (الاسم الخامس) كلمة السواء من قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ٦٤] قيل هى لا إله إلا الله . (السادس) كلمة العهد من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ [سورة مريم : ٨٧] قيل هو لا إله إلا الله. (السابع) كلمة العدل من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ ﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن العدل قول لا إله إلا الله . (الثامن) كلمة الحقّ من قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة الزخرف : ٨٦] أى قال لا إله إلا الله . (التاسع) كلمة الإخلاص من قوله تعالى : ﴿ وَما أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أى ليوحدوا بلا إله إلا الله . (العاشر) كلمة الصدق من قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [سورة التوبة : ٣٣] قيل هو لا إله إلا الله . (الحادى عشر) كلمة الاستقامة من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ [سورة فصلت : ٣٣] قيل هو لا إله إلا الله . (الثانى عشر) كلمة التقوى من قوله تعالى ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة الفتح : ٢٦] قيل هى لا إله إلا الله لأنها تقى صاحبها من الكفر أو من النار . (الثالث عشر) الكلمة الطيبة من قوله تعالى ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ [سورة ابراهيم : ٢٤] قيل هى لا إله إلا الله ، لأنها تَظْهر من القلب وأصلها ثابت فيه وهو المعرفة . (الرابع عشر) الكلمة الباقية من قوله تعالى فى قصة إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ [سورة الزخرف : ٢٨] وهى لا إله إلا الله ، لأنها إشارة إلى براءته

مما يعبدون من دون الله ، وقوله ﴿ إلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى فانَّهُ سَيهْدِينِ ﴾ وذلك مضمون لا إله إلا الله . (الخامس عشر) الكلمة العليا من قوله ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَاۗ ﴾ [سورة التوبة : ٤٠] أى لا إله إلا الله . (السادس عشر) القول الثابت من قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِۖ ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٧] هو لا إله إلا الله . (السابع عشر) القول الطيب من قوله تعالى : ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [سورة الحج : ٢٤] هو لا إله إلا الله . (الثامن عشر) الصواب من قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [سورة طه : ١٠٩] أى بأن كان قال لا إله إلا الله . (التاسع عشر) الدين الخالص : أى لا إله إلا الله . (العشرون) المثل الأعلى قيل : هو لا إله إلا الله ، والمراد به لغة الوصف الأعلى . (الحادى والعشرون) العروة الوثقى من قوله تعالى : ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٦] قيل لا إلا إلا الله . (الثانى والعشرون) دعوة الحقّ من قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّۖ ﴾ [سورة الرعد : ١٤] قيل : هو لا إله إلا الله . (الثالث والعشرون) مقاليد السموات والأرض من قوله تعالى : ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ ﴾ [سورة الزمر : ٦٣] روى ابن عباس رضى الله عنهما هى لا إله إلا الله ، والمقاليد : المفاتيح لأنها هى مفتاح الجنة ومفتاح خزائن الغيب وخزائن السموات والأرض ، والأشرف مفتاح النفوس والأجسام والأرواح والقلوب والأسرار والعقول ﴿ واللَّهِ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٢] ولا يخفى أن ماذكرنا من الآيات اتباعا لمن ذكرها من أهل هذا الشأن ، منها ماهو جار على مشهور التفسير ، ومنها ماليس كذلك ، وتصحّ كلها بأنواع من الاعتبارات كأخذ جزئى من كلّى ، أو لازم من ملزوم ، ومنه أخذ

المسبب من السبب ، والوسيلة من غيرها ، وأحد المتلازمين المتصاحبين ونحو ذلك . وأما معانى تلك الأسامى فمشهورة فى موادها من التفاسير اهـ .

قلت : وتسمى أيضا على ماذكروه بأسام أخر ، منها الآية الكبرى ، ومنها الفلاح الذى ينادى به المؤذّن ، وهى أمان الله وحصن الله وزبدة القرآن ، وأفضل الذكر وعشره : أى زكاته .قال الإمام ابن عربى فى الفتوحات المكية ولكونها : أى لا إله إلا الله تكرّرت فى القرآن ستة وثلاثين قيل لها زكاته ، وهذه الستة والثلاثون المذكورة فى القرآن عشر درجات الفلك الذى جعل الله إيجاد الكائنات عند حركاتها من أصناف الموجودات من عالم الأرواح والأجسام والنور والظلمة ، فهذه الستة والثلاثون حقّ الله مما يكون فى العالم من الموجودات ، فإنها تكون فى عين التلفظ الإنسانى بالقرآن ، فهى كالعشر مما سقت السماء وهو المسمى الأعلى من قوله ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ [سورة الأعلى : ١] فالتهليل عشر الذكر وهو زكاته لأنه حقّ الله فهو عشر ثلاثمائة وستين انتهى . ثم قال ابن عربى : واعلم أن هذه الكلمة الشريفة أربع كلمات : نفى ومنفى وإيجاد وموجود ، والأربعة الإلهية أصل وجود العالم ، والأربع الطبيعية أصل وجود الأجسام ، والأربعة العناصر أصل وجود المولدات ، والأربعة الأخلاط أصل وجود الحيوان ، والأربعة الحقائق أصل وجود الإنسان ، والأربعة الإلهية الحياة والعلم والإرادة والقول وهو عين القدرة عقلا وشرعا، والأربعة الطبيعية الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ، والأربعة العناصر الماء والنار والهواء والتراب ، والأربعة الأخلاط المرتان والدم والبلغم ، والأربع الحقائق الجسم والتغذّى والحسّ والنطق ، فإذا قال العبد لا إله إلا الله على هذا التربيع كان لسان العالم ونائب الحقّ فى النطق ، فيذكره العالم والحقّ بذكره اهـ .

قال فى منهاج الخلاص : قد ورد أن « لا إله إلا الله حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى » فلا إله وحده لا يكون حصنا ، وإنما هو بعض الحصن ، ومتى لم تصله بإلا الله لم يتمّ الحصن ، قال : وكل حصن له أربعة أركان ، ولا إله إلا الله أربع كلمات ، فكل كلمة ركن ، فإذا اتصلت حدودها تمّ الحصن ، وكما للكلمة أربعة أركان فى الصورة ، فلها أربعة أركان فى الباطن وهى الصلاة والزكاة والصوم والحجّ وهى الخامسة « بنى الإسلام على خمس » ثم هذه الكلمة هى أربع كلمات ومجموعها اثنا عشر حرفا ترجع إلى أربعة أحرف ، وهى تركيب اسم الجلالة الواقع فيها لأنه المقصود وإثباته هو المراد ، وليس فى نفى غيره إعدام شئ كان ، وإنما هو إخبار أنه هو الثابت ، والأربعة هى الكلمة ، والكلمة هى الأربعة ، وهى تركب لا إله إلا الله ، وهذا العدد أعنى الأربعة شأنه عجيب ، فإن العناصر أربعة والطبائع أربع والكتب أربعة والخلفاء أربعة والمذاهب أربعة ، وعلى التربيع كانت أكثر هذه الموجودات فى عالم الكون ، والإنسان مربع مستطيل ، وكذلك أكثر الحيوانات ، والديار مربعة والأبواب مربعة ومجلدات الكتب مربعة والمساجد مربعة ، حتى إنه تكره الصلاة فى غير المربع ، والجهات أربع والرياح إلى غير هذا ، ومراتب الزلفى أربع وهى مراتب النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ، واللطائف الإنسانية أربع وهى العقل والنفس والقلب والروح ، ولو ضربت فى نفسها كانت ستة عشر وهى مجموع السموات السبع والأرضين السبع والعرش والكرسى ، وفى شفع هذا العدد معظم الموجودات ، والاثنا عشر حرفا هى مبنى الكلمة المشرّفة ، هى عدد البروج ، والاثنا عشر التى هى مدار تصريفات الأحوال وتقلبات الأكوان بإذن الله تعالى ؛ وقد أكثر الباحثون على

خواصّ الأعداد وأسرار الحروف من هذه الاعتبارات اهـ . وحروفها الاثنا عشر نورانية ، فمن ذكرها امتلأ قلبه نورا وحكمة وهدى ، وسعادتها تحوطه أيضا وتتوّجه بالسعادة ولا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا ، عدد ساعات الليل والنهار ، فمن قالها محت ماكتب فى صحيفته فى تلك الساعات ، وحروفها الغير المكررة تسعة ، عدد الأفلاك التسعة المحيطة بالعالم العلوى والسفلى ، فمن قالها مرّة حاز مقدار ثواب مافى العالم كله ، وهى سبع كلمات عدد أبواب جهنم ، ولابن آدم سبعة أعضاء ، فمن قالها مرّة تغلق كل كلمة منها بابا من أبوابها السبعة حتى لا يدخل صاحبها النار . وقد ذكر الإمام الفخر الرازى أن رجلا كان واقفا بعرفة ، فكان فى يده سبعة أحجار وقال : يا أيها الأحجار اشهدوا أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فنام فرأى فى المنام كأن القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجبت له النار ، فلما ساقوه إلى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الأحجار السبعة وألقت نفسها فى ذلك الباب ، فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فما قدروا ، ثم سيق به إلى الثانى فكان الأمر كذلك ، وهكذا الأبواب السبعة ، فسيق به إلى العرش فقال سبحانه وتعالى : عبدى أشهدت الأحجار فلا يضيع حقها ، وأنا شاهد على شهادتك بتوحيدى ، ادخل الجنة ، فلما قرب من أبواب الجنان فإذا أبوابها مغلقة ، فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله وفتحت الأبواب فدخل الرجل الجنة اهـ .

(تكميل للتهليل) قال الإمام ابن عطية : اختلف العلماء هل الأفضل قول ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أو قوله (لا إله إلا الله) ؟ فذهبت طائفة إلى الأوّل لأن فى ضمنها التوحيد ، ففى قوله : الحمد لله توحيد

وحمد ، وفى قوله لا إله إلا الله توحيد فقط . واحتجوا بما روى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « مَنْ قالَ لا إلَهَ إلاَّ الله كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً ، وَحُطَّ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً ، وَمَن قالَ الحَمْدُ لله رَبّ العالَمِينَ كُتِبَ لَهُ ثَلاثون حَسَنَةً وَحُطَّ عَنْهُ ثَلاثُونَ سَيِّئَةً » . وذهبت طائفة إلى الثانى لأنها تنفى الكفر وعليها يقاتل الخلق ، واحتجوا بقوله ﷺ « مِفْتاحُ الجَنَّةِ لا إلَهَ إلاَّ الله » (١) قال الإمام ابن عطية بعد أن اختار هذا : والحاكم بذلك قول النبىّ ﷺ « أَفْضَلُ ماقُلْتُ أنا وَالنَّبِيُّون مِنْ قَبْلِى : لا إلَهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ » (٢) اهـ . وقد سئل أبو الوليد بن رشد : من الأفضل : الحمدلة أو الهيللة ؟ فأجاب بتفضيل الهيللة ، فبلغ جوابه إلى الفقيه ميمون بن مهدى فكتب إلى ابن رشد :

أعد نظرا فيما كتبت ولا تكن   بغير سهام للنضال مسارعا
فحظك تسليم العلوم لأهلها   وحسبك فيها أن تكون متابعا

---

(١) أورده المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤١٦/٢ كتاب الذكر والدعاء باب مفاتيح الجنة شهادة ألاّ إله إلا الله وعزاه إلى أحمد والبزار عن معاذ بن جبل رضى الله عنه . وأخرجه أحمد فى المسند ٢٤٢/٥ - حدثنا إبراهيم بن مهدى ثنا اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال قال لى رسول الله ﷺ مفاتيح الجنة شهادة لا إله إلا الله .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعاء باب فى دعاء يوم عرفة ٥٧٢/٥ ح ٣٥٨٥ - حدثنا أبو عمر ومسلم بن عمر ، حدثنى عبد الله بن نافع عن حماد بن أبى حميد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال خير دعاء عرفة وخير ماقلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير . وقال أبو عيسى هذا حديث غريب .

وأخرجه الإمام البيهقى فى سننه كتاب الحج باب أفضل الدعاء يوم عرفة ثم ذكره عن طلحة بن كرير .

فأجابه الإمام ابن رشد بقوله :

رويدك مانبهت منى نائما فدونك فاسمعها إذا كنت سامعا
أخلت ابن رشد كالذين عهدتهم ومن دونه تلقى الهزبر المدافعا
ولو كنت سلمت العلوم لأهلها لما كنت فيما تدّعيه منازعا
وإن ضمنا عند التنازع مجلس سقيناك فيه السمّ لاشكّ ناقعا

وفى هذا القدر كفاية والله الموفق للصواب ، وإليه سبحانه المرجع والمآب .

ثم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٦] صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين . وقد تقدم الكلام على الصلاة على النبىّ ﷺ وعلى التسبيح .

وأما أذكار الوظيفة التجانية فالاستعاذة أيضا والبسملة والفاتحة ، وقد تقدم الكلام عليها مستوفى .

ثم (أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحىّ القيّوم) ثلاثين مرّة .

وفى الأذكار روينا فى سنن أبى داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ قالَ : اسْتَغْفِرُ الله العَظيمَ الَّذى لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَىَّ القَيُّومَ وأتُوبُ إليَهْ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ » قال الحاكم : هذا حديث صحيح (١) .

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الوتر باب فى الاستغفار ٨٦/٢ ح رقم ١٥١٧ حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا حفص بن عمر الشنى حدثنى أبى عمرة بن مرة قال سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى النبى ﷺ قال سمعت أبى يحدثنيه عن جدى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من قال استغفر الله الذى لا إله إلا هو .... الخ . =

قلت : قد نبه السيد العارف بالله السيد العربى بن السائح فى البغية على علة اقتصارنا على اللفظ السابق ونص كلامه : تنبيه : قد علمت أن صيغة الاستغفار فى الطريقة الثانية فى الوظيفة يقتصر فيها على اللفظ السابق إلى القيوم وليس فيها وأتوب إليه ، وكلا اللفظين وردت به الأخبار الثابتة عنه ﷺ ، ولعلّ اختيار الشيخ رضى الله عنه للأوّل ، لأن الاستغفار إذا أتى به العبد لا يكون كاذبا فيه بخلاف التوبة ، فإنه إذا قال : وأتوب إليه وليس بتائب فهو كاذب ، لأن التوبة الرجوع والندم ، وإن كان اللائق بالاستغفار هو أن يكون مقرونا بالإقرار بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود فمرجعه إلى التوبة ، لكن صورة الغافل فى الإتيان به مجرّدا عن ذكر التوبة ليست كصورته فى الإتيان به مقرونا بها لما فى الثانية من ظهور الكذب والاستهزاء بخلاف الصورة الأولى فإنما فيها طلب المغفرة ، ذكره الفخر الرازى رضى الله عنه فى تفسيره ، وفيه دقيقة سنية كما لا يخفى ، والله تعالى أعلم .

ولنختم الكلام فى هذا الفصل بحديث أبى ذرّ عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى تبركا به ، وهو أنه تعالى قال (١) « ياعِبادى إنى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسى وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّما

= وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الدعوات باب فى دعاء الضيف ٥٦٨/٥ - ٥٦٩ ح ٣٥٧٧ حدثنا محمد بن إسماعيل . حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حفص بن عمر الشنى إلى آخر طريق أبو داود ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث غريب .

ك ٥١١/١ ، ١١٨/٢

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحة كتاب البر باب تحريم الظلم ١٩٩٤/٤ - ١٩٩٥ - حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمى حدثنا مروان يعنى ابن محمد الدمشقى حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر عن النبى ﷺ فيما روى عن الله تبارك أنه قال : ياعبادى إنى حرمت =

فَلا تَظَالَمُوا ياعِبادى إنَّكُمُ الَّذِينَ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، وأنا الَّذِى أغْفِرُ الذُّنوبَ وَلا أُبالى فَاسْتَغْفِرُونِى أغْفِرْ لكُمْ ، ياعِبادى كُلُّكم جائعٌ إلاَّ مَنْ أطْعَمْتُهُ فاسْتَطْعِمُونى أُطعِمْكُمْ ، ياعبادِى كُلُّكُمْ عارٍ إلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فاسْتَكْسُونى أكْسُكُمْ ، ياعِبادِى لَوْ أنَّ أوَّلكم وآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كانُوا على أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُم لَم يَنْقُصْ ذلكَ مِنْ مُلْكِى شَيْئا ، ياعِبادى لَوْ أَنَّ أوَّلكُمْ وآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كانُوا على أتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ منْكُمْ لَمْ يَزِدْ ذلكَ فى مُلْكِى شَيْئا ، يا عبادِى لَوْ أنَّ أوَّلكُمْ وآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كانُوا فى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فسألُونِى فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسانٍ مِنْهُمْ ما سأل لَمْ يَنْقُصْ ذلكَ مِنْ مُلْكِى شَيْئًا إلاَّ كما يَنْقُصُ البَحْرُ أنْ يُغْمَسَ المخِيطُ فِيهِ غَمْسَةً وَاحِدَةً ، ياعِبادِى إنَّمَا هِىَ أعْمالُكُمْ أحْفظُها عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ وَجَدَ خيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله عَزَّ وَجلَّ ، وَمَنْ وَجدَ غيْرَ ذلك فَلا يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ » اهـ ، والحديث متفق على صحته ، انظر الأذكار للنووى .

ثم (اللهمّ صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق الخ خمسين مرّة) ولا يكفى غيرها فى الوظيفة ، وقد تقدّم الكلام عليها مستوفى . ولا بأس أن نورد هنا بعض ماورد عليّ من شرحها ونصه : (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ اللهمّ) الألف إشارة إلى حضرة الأحدية والمتجلى فيها ولذلك لم يتصل ولم ينفصل ولا داخل ولا خارج ، واضمحلّ النطق عن دركه فهو الذات الساذج وعين العمى والطمس ، والحرفان حضرتان باطنتان ، والهاء حضرة عبودية غرقت فى هوية ، والميم مؤذنة

= الظلم على نفسى إلى آخر الحديث .

وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٦٠/٥ من طريق همام ثنا قتادة عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن أبى ذر ثم ذكره .

لاستغراق الهوية العبودة الصرفة ، و(صلّ) أمر بصلاة برزت من كلية الحضرات الأربع فردا فردا ، ومن بروزها من الأولى تكون واقعة على الثلاث صلاة فى الأولى ورضى فى الآخرتين ، ومن بروزها من إحدى الباطنتين ، والهاء تكون سرٌّ لايفشى ، ومن بروزها من الباطنة الأخيرة تكون صلاة وما وراء طوق العبارة وهو السرّ الذى لا يفشى ، ومن بروزها من الهاء تكون المراتب ثلاثا ظاهرة وهى مرتبة صلاة العبد على سيده ، و(على سيد) ذاك باطنة ، وعلى سيد سيد ذاك باطنة باطنة وهو السرّ أيضا لا يفشى ، و(نا) صالحة للكلّ ، واسم المرتبة كالمتقدّم مستغرق للحضرات الأربع وصلة الألف مجرّد تجلّ ، وإمداد بصفات . وصلاة لام الألف مجرّد قيام صفة على الموصوف ، وصلاة الهاء مجرّد غيبة واستغراق ، فسبحان ربك ربّ العزَة عما يصفون ، و(الفاتح لما أغلق) من تجليات النبوّة والولاية (والخاتم لماسبق) من تجليات النبوّة والسرّ ، يعنى مزيل الحجب وهو الحجاب الأعظم ، فتح بازالة الحجاب ، وختم بكونه عين الحجاب ، فصار مجمع الشئون والمحامد فنصر بإظهار الألوهية ، فهو (ناصر الحق) باظهار ألوهيته (بالحق) لتحقق الأحدية فهو الناصر المنصور (والهادى) بالتجلى (إلى صراطك المستقيم) الذى هو المتجلى (وعلى آله) مظهر الولاية (حقّ قدره ومقداره العظيم) أى حقّ قدر نبوّته وهو ولايته وهو مقداره العظيم ، وهو سرّ لا يفشى وحقيقة لا تذكر (اللهمّ صليّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحقّ بالحقّ ، والهادى إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم) وهب لى به وبسرّه الألفة والصدق والسيادة والمحامد والفتح واللطف والخلافة والسبق والنصر والتحقق بالحقّ والهداية والاستقامة والقرابة والقدر والمقدار والعظمة آمين يارب العالمين . ثم (سبحان ربك) الخ وقد تقدّم ، ثم

(لاإله إلا الله) مائة مرّة ، وقد تقدم . ويستطرد هنا مانقله صاحب البغية ونصه : وفى مفتاح الفلاح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبىّ ﷺ قال « يَفْتَحُ الله أَبْوَابَ الجَنَّةِ فَيُنادِى مُنادٍ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ : أَيَّتُها الجَنَّةُ وكُلُّ مافِيكِ مِنَ النَّفْعِ لِمَنْ أَنْتِ ؟ فَتُنادِى الجَنَّةُ وَما فِيها : نَحْنُ لأَهْلِ لا إلَهَ إلاَّ الله ، وَنَحْنُ مُحَرَّمُونَ على مَنْ لَمْ يَقُلْ لا إِلَهَ إلاَّ الله وَلَمْ يُؤْمِنْ بلا إِلَهَ إلاَّ الله ، وعِنْدَ هَذا يُقالُ للنَّار وَما فِيها مِنَ العَذابِ : لِمَنْ أَنْتِ ؟ فَتَقُولُ : لا يَدْخُلُنى إلاَّ مَنْ أَنْكَرَ لا إِلَهَ إلاَّ الله ، وَلا أَطْلُبُ إلاَّ مَنْ كَذَّبَ بِلا إِلَهَ إلاَّ الله ، وأنا حَرَامٌ على مَنْ قالَ لا إِلَهَ إلاَّ الله ، وَلا أَمْتَلِئُ إلاَّ بِمَنْ جَحَدَ لا إِلَهَ إلاَّ الله ، وَلَيْسَ غَيْظِى إلاَّ على مَنْ أَنْكَرَ لا إِلَهَ إلاَّ الله ، قالَ : فَتَجِئُ رَحْمَةُ الله وَمَغْفِرَتُهُ وَيَقُولان : إنَّا لِأَهْلِ لا إِلَهَ إلاَّ الله ، وَناصِرَتانِ لِمَنْ قالَ لا إِلَهَ إلاَّ الله ، وُمحِبّتانَ لِمَنْ قال لا إِلَهَ إلاَّ الله ، وَمُتُفَضَّلانِ على مَنْ قالَ لا إِلَهَ إلاَّ الله ، وَيَقُولُ الله تَبارَكَ وَتَعالى : أَبحْتُ الجَنَّةَ لِمَنْ قالَ لا إِلَهَ إلاَّ الله ، ومَا تَكَوَّنَتِ الجَنَّةُ إلاَّ لأَهْلِ لا إِلَهَ إلاَّ الله) اهـ .

ثم (سيدنا محمد رسول الله عليه سلام الله) وقد تقدم الكلام على السلام عليه ﷺ . ثم (اللهمّ صلّ وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعانى ونور الأكوان المتكوّنة الآدمى ، صاحب الحقّ الربانى البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكلّ متعرّض من البحور والأوانى ، ونورك اللامع الذى ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكانى ؛ اللهم صلّ وسلم على عين الحقّ التى تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التامّ الأسقم ؛ اللهمّ صلّ وسلم على طلعة الحقّ بالحقّ الكنز الأعظم ، إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرّفنا بها إياه) اثنتى عشرة مرّة ، وهى إن كانت داخلة فى جملة الصلوات على

رسول الله ﷺ فتخصّ بأمور لم تكن لغيرها من الصلوات . وفى الكوكب الوهاج : اعلم أن هذه الصلاة الشريفة المقدار الجامعة ينابيع المعارف والأسرار ، تلقاها سيدنا رضى الله عنه من حضرة سيد الوجود ﷺ مشافهة ، وذكر له فيها فضائل ، منها ما أشار إليه المصنف فيما تقدم بقوله : وخصّ بحصول فضل زيارة الجميع إن تلا الجوهرة بشروطها اثنتى عشرة مرّة ونوى زيارة الرسول انتهى . والأصل فيه ماقاله سيدنا رضى الله عنه : أعطانى رسول الله ﷺ صلاة تسمى بجوهرة الكمال من ذكرها اثنتى عشرة مرّة وقال : هذه هدية منى إليك يارسول الله ، فكأنما زاره فى روضته الشريفة ، وكأنما زار أولياء الله تعالى والصالحين من أوّل الوجود إلى وقته ، وفى رواية : إلى الأبد ؛ ومنها أن المرّة الواحدة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرّات . ومنها أن من لازمها فى كل يوم أزيد من سبع مرّات يحبه ﷺ محبة خاصة ، ولا يموت حتى يكون وليا ومنها أن من قرأها سبعا فأكثر يحضره النبىّ ﷺ والخلفاء الأربعة رضى الله عنهم مادام يذكرها ، ولما سمع بعض العلماء من أصحاب سيدنا رضى الله عنه بهذا أراد أن يثبت حقيقة ذلك ، فذكر لسيدنا رضى الله عنه ما بلغه ، فقال سيدنا رضى الله عنه : والله لو أنك دمت على ذكرها طول عمرك من غير فترة ما فارقك ﷺ فى جميع مدّة عمرك ا هـ . والحضور المذكور يكون بالأرواح والذوات حقيقة ، ولو كشف الحجاب عن الذاكرين لها أو عن بعضهم لشاهدوه ﷺ على صورته التى قبضه الله عليها ، وكذلك الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم ، وقد شوهد ﷺ هو والخلفاء رضى الله عنهم المرّة بعد المرّة ومنها أنّ من داوم عليها سبعا عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبىّ ﷺ اهـ . وناهيك بها فضيلة يحقّ أن تنفق فيها النفوس الجليلة ، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال « يَوَدُّ أَحَدُكُمْ لَوْ رَآنى بِجَمِيعِ ما يَمْلِكُ » .

ليته خصّني برؤية وجه

زال عن كلّ من رآه الشقاءُ   اهـ

وانظر بعين بصيرتك إلى ترتيب هذا الورد والوظيفة ، تر فيه من بدائع الأسرار مايبهر العقول ويضمحلّ معه المعقول . قلت يوما لبعض أحبائى : إن الوظيفة تخلى فيها الإنسان وتجرّد عن الإلباس فى المقاصد والاستغفار فتجلت له الذات بكمالها فى صلاة الله على سيدنا محمد ، فوحد الإنسان بلا إله إلا الله فجعل خليفة فى جوهرة الكمال فانتهت الوظيفة : إن الله وملائكته الخ .

وبتأمل الأوراد التجانية تتحقق كونها أعظم الأوراد وأفضلها . قال العلامة الحافظ ابن حجر فى فتاويه مانصه : وأوراد الصوفية التى يقرءونها بعد الصلوات على حسب عاداتهم فى سلوكهم لها أصل أصيل ، فقد روى البيهقى عن أنس رضى الله عنه أنّ النبىّ ﷺ قال « لأَنْ أذْكُرَ اللهَ تَعالى مَعَ قَوْم بَعْدَ صَلاةِ الفَجْرِ إلى طُلُوعِ الشَّمْسِ أَحبُّ إليَّ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيها ، وَلأَنْ أذْكُرَ اللهَ تَعالى مَعَ قَوْم بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ إلى أنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ أَحبُّ إليَّ مِنَ الدُّنْيا ومَا فِيها » (١) . وروى أبو داود عنه أنه ﷺ قال « لأنْ أقْعُدَ مَعَ قَوْم يَذْكُرُونَ اللهَ تَعالى مِنْ صَلاةِ الغَدَاةِ حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أعْتِقَ أرْبَعَةً منْ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ ، وَلأنْ أقْعُدَ مَعَ

---

(١) أخرجه الإمام البيهقى فى السنن الكبرى كتاب الديات باب تقدير البدل باثنى عشر ألف درهم أو بألف دينار على قول جعلها أصلين ٧٩/٨ - حدثنا أبو الحسن على ابن أحمد ابن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا العباس بن الفضل الأسفاطى ثنا سعيد ابن سليمان ثنا موسى بن خلف عن قتادة عن أنس وزيد الرقاشى عن أنس ثم ذكره .

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب مايفعل بعد صلاة الصبح والمغرب والعصر ١٠٥/١٠ عن أنس .

قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ مِنْ صَلاةِ العَصْرِ إلى أنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ أعْتِقَ أرْبَعَةً » (١) . وروى أبو نعيم أنه ﷺ قال « مَجالِسُ الذِّكْرِ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وتحُفُّ بِهِمُ المَلائِكَةُ وتَغْشاهُمُ الرَّحْمَةُ وَيَذْكُرُهُمُ اللهُ » (٢) . وروى أحمد ومسلم أنه ﷺ قال « لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » (٣) . وإذا ثبت أن لما يعتاده الصوفية من اجتماعهم على

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب العلم باب فى القصص ٣٢٢/٣ ح رقم ٣٦٦٧ - حدثنا محمد بن المثنى حدثنى عبد السلام يعنى ابن مطهر أبو ظفر ثنا موسى ابن خلف العمى عن قتادة عن أنس ثم ذكره .

وأخرجه أبو نعيم فى ذكر أخبار أصبهان ٢٠٠/١ فى ترجمة ابراهيم بن الحسن بن زياد عن أنس من طريق سليمان التيمى وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب الذكر باب مايفعل بعد صلاة الصبح والمغرب والعصر ١٠٥/١٠ عن أنس رضى الله تعالى عنه ثم ذكره بلفظه .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء فى ترجمة عمر بن ذر ١١٨/٥ - حدثنا حبيب بن الحسن ومحمد بن حميد قالا ثنا عبد الله بن ناجية قال ثنا محمد بن عمر وبه قال ثنا الجارود بن يزيد عن عمر بن ذر عن مجاهد عن أبى هريرة وأبى سعيد قالا سمعنا رسول الله ﷺ يقول مجالس الذكر تتنزل عليهم السكينة ثم ذكره .

وأخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٢٨/٣ فى ترجمة محمد بن عمرو بن عمرويه من طريق الحسين بن محمد بن حاتم حدثنا محمد بن عمرويه إلى آخر طريق أبو نعيم ولفظه .

(٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٤/٤ حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا إسحاق يحدث عن الأغر أبى مسلم أنه قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أنهما شهدا على النبى ﷺ أنه قال « لا يقعد قوم يذكرون الله ثم ذكره » .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٩٢/٣ مسند أبى سعيد الخدرى - قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة إلى آخر طريق مسلم ولفظه .

=

الأذكار والأوراد أصلاً صحيحا من السنة ، وهو ماذكرناه فلا اعتراض عليهم فى ذلك ، ثم إن كان هناك من يتأذّى بجهرهم كمصلّ أو نائم ندب الإسرار ، وإلا رجعوا لما يأمرهم به أستاذهم الجامع بين الشريعة والحقيقة لما مرّ أنه كالطبيب ، فلا يأمر إلا بما يرى فيه شفاء لعلة المرض ، ولذلك تجد بعضهم يختار الجهر لدفع الوساوس الرديئة والكيفيات النفسية ، وإيقاظ القلوب الغافلة ، وإظهار الأعمال الكاملة ، وبعضهم يختار الإسرار لمجاهدة النفس وتعليمها طرق الإخلاص وإيثارها الخمول وقد ورد أن عمر رضى الله عنه كان يجهر ؛ وأبو بكر رضى الله عنه كان يسرّ ، فسألهما النبىّ ﷺ ، فأجاب كلّ بنحو ما ذكرته فأقرّهما . والأخذ عن مشايخ متعدّدين يختلف الحال فيه بين من يريد التبرّك وبين من يريد التربية والسلوك ؛ فالأوّل يأخذ عمن شاء إذ لا حجر عليه ؛ وأما الثانى فيتعين عليه على مذهب القوم السالمين من المحظور واللوم ، حشرنا الله فى زمرتهم أن لا يبتدئ إلا بمن جذبه حاله إليه قهرا عليه ، بحيث اضمحلت نفسه لباهر حال ذلك الشيخ المحقّ وتخلت له عن شهواتها وإرادتها ، فحيئذ يتعين الاستمساك بهديه والدخول تحت جميع أوامره ونواهيه ورسومه حتى يصير كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء ، فإن لم يجذبه حال الشيخ كذلك فليتحرّ أورع المشايخ وأعرفهم بقوانين الشريعة والحقيقة ، ويدخل تحت إشارته ورسومه ، كذلك من ظفر بشيخ بالوصف الأوّل والثانى فحرام عليه

= وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الوتر باب ثواب قراءة القرآن ٧١/٢ - ٧٢ ح ١٤٥٥ - حدثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال مااجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتابه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .

عندهم أن يتركه وينتقل إلى غيره وإن سوّلت له نفسه أن غيره أكمل ، فإنه قد يضجر من حقّ ذلك الشيخ فتريد النفس أن تنقل صاحبها إلى باطل غيره ، وإنما محلّ اختيار الأعرف الأعلم الأورع الأصلح فى الابتداء ، وأما بعد الدخول تحت حيطة عارف أهل فلا رخصة عن الخروج عنه ، بل ولا رخصة عندهم للشيخ الثانى إذا علم أن للمريد الآخذ عنه أستاذا كاملا أن يسلكه ، بل يأمره بالرجوع لأستاذه ويعلمه أن ذلك الأستاذ لولا أنه على حقّ مانفرت النفس عنه ولما أحبت فراقه إلى غيره ، فهذا أوّل دليل على كماله وحقيقة طريقته ، وكثير من النفوس التى يراد لها عدم التوفيق إذا رأت من أستاذ شدّة فى التربية تنفر عنه وترميه بالقبائح والنقائص مما هو منه برئ ، فليحذر الموفق من ذلك لأن النفس لا تريد إلا اهلاك صاحبها فلا يطيعها فى الإعراض عن شيخه وإن رآه على أدنى حال ما أمكنه أن يخرج أفعاله على تأويل صحيح ومقصد مقبول شرعا . ومن فتح باب التأويل للمشائخ وغضّ عن أحوالهم ووكل أمورهم إلى الله واعتنى بحال نفسه وجاهدها بحسب طاقته فإنه يرجى له الوصول إلى مقاصده والظفر بمراده فى أسرع زمن . ومن فتح باب الاعتراض على المشائخ ونظر فى أحوالهم وأفعالهم والبحث عنها ، فإن ذلك علامة حرمانه وسوء عاقبته ؟ وأنه لا ينتج قطّ ، ومن ثم قالوا : من قال لشيخه : لِمَ ؟ لَمْ يُفلح أبدا : أى لشيخه فى السلوك والتربية لما تقرّر أنّ شأن السالك أن يكون بين يدى الشيخ كالميت بين يدى غاسله ، حتى لو كانت له علوم أو رسوم أو أعمال فليعرض عنها ولا يلتفت إليها ، فإن نار حقّ الأستاذ العارف تظهر الخبث فتزيله ، وتبقى الطيب وتبين صفاء جوهره ونفاسة جنسه ، والمراد بالإرادة والتحكيم ونحوهما أن من أراد السلوك إلى الله على يد بعض الواصلين ويسر الله له من هو كذلك أن يلزم نفسه طاعته والدخول تحت أوامره ونواهيه ؛ ثم الكيفية

المحصلة لهذا الارتباط تختلف المشائخ فيها ، فمنهم من يأمر بالذكر ، ومنهم من يلبس الخرقة ، ومنهم من يفعل غير ذلك بحسب طرقهم فإنها كثيرة جدا ، حتى قيل الطرق إلى الله بحسب أنفاس الخلائق . وليتعين على الموفق أيضا أن لا يدخل تحت حيطة أحد إلا بعد أن يقهره حاله أو يعلم منه الإحاطة بعلمى الشريعة والحقيقة لما أن الكاذبين والملبسين قد كثروا وادّعوا هذه الطريقة وهم منها بريئون وإلى النار صائرون لسوء أفعالهم وفساد أحوالهم وأقوالهم وتكالبهم على الدنيا الفانية وإعراضهم عن الآخرة الباقية ، إذ ليس قصدهم بادّعاء هذه الطريقة العلية إلا جمع الحطام ونيل لذّة أكل الحرام واستفراغ العمر فى الجهالات والآثام ، فحذار حذار من أمثالهم والاغترار بأقوالهم وأفعالهم ، فإن كل من اتبعهم زلّ قدمه وحقّ ندمه وحرم الوصول إلى شئ من الكمال ، ويأتيه من الله أعظم البوار والنكال ؛ وعليك إن أردت أن يظهر لك الحقّ وأن تتحلى بالصدق بمطالعة إحياء الغزالى رحمه الله تعالى ورسالة الإمام العارف القشيرى وعوارف المعارف للسهروردى والقوت لأبى طالب المكى ، فإن هذه الكتب هى النافعة المبينة لأحوال الصادقين وتلبيسات المبطلين ، والحاملة معالى الأخلاق وإيثار الفقر والإملاق وإدمان الطاعة وملازمة العبادات سيما الجماعات ، والإعراض عن سفاسف أقوام غلب عليهم الشيطان فسوّل لهم القبيح حسنا والمنكر معروفا والمذموم ممدوحا ، فاستغرقوا فى بحار شهواتهم وقبيح اعتقاداتهم وإراداتهم ، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يُحسنون صُنعا أو يحكمون وضعا ، وفقنا الله لمعرفة عيوب أنفسنا وأجارنا من شهواتها وأدام علينا رضاه مع السلام من كلّ فتنة ومحنة إلى أن نلقاه إنه الجواد الكريم الرءوف الرحيم ا هـ .

(وأما ذكر الهيللة) بعد العصر يوم الجمعة فكيفيتها الاستعاذة والبسملة والفاتحة مرّة ، واستغفار الوظيفة ثلاثا ، وصلاة الفاتح ثلاثا ، ثم

(إنَّ الله وَمَلائِكَتَهُ) الخ مرّة . ثم لا إله إلا الله إلى غروب الشمس إن كانوا جماعة ، وإلا أتم ألفا وألفا ومائتين أو ألفا وخمسمائة وهو الأمثل ، أو ألفا وستمائة وهو منتهى الأعداد . وقال الله تعالى فى حقّ يوم الجمعة ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الجمعة : ١٠] . وفى جامع المعيار للعلامة الونشريسى بعد كلام : وكان اجتماعهم يوم الجمعة بعد صلاتها فقد يهتدى إليه من قول الله سبحانه ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الجمعة : ١٠] اهـ .

وأما الأوراد والأذكار التجانية غير اللازمة فلا تحصى عددا ولا تخرج عما قرّرنا ، إما واردًا فى الشرع أو دعاء عربيا متضح المعنى مستندا لأصل شرعى واضح ، أو مستنبط بأفهام ولىّ أو كشف صحيح ، فلا يطعن فى أذكار القوم إلا جاهل أو معاند ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [سورة الأحقاف : ١١] .

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدا وبغضا إنه لذميم

وقال آخر :

كلّ العداوة قد ترجى إزالته ... سوى عداوة من عاداك عن حسد

ولكن ذمّ الناقص دليل على الكمال ، قال :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بأنى كامل اهـ

* * *

فصل
فى الكلام على شطحات المجاذيب

قال العلاّمة العارف بالله الجامع بين الشريعة والحقيقة القطب الشعرانى فى لطائف المنن نقل عن شيخ الطائفة أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه أنه قال : مكثت زمانا وعندى وقفة فى قول بعضهم : إن الذاكر لله تعالى يصل إلى حالة لو ضرب وجهه بالسيف لم يحسّ إلى أن وجدت الأمر كما قاله انتهى . ثم إن أكثر مع يقع فى الغلط فى ذلك المؤلفون لكتب الرقائق من المتصوّفين الذين لم يذوقوا مقامات الطريق فينقلون عن الولىّ كل مابلغهم عنه ، ولا يعرفون الفرق بين ماقاله ذلك الولىّ فى بدايته أو توسطه أو نهايته ، ويسمون كلّ مالم يذوقوه فى الطريق مقاما للكمل ، فإذا طالع الكامل فى كتبهم : أى أولئك المؤلفين عرف جهلهم ، ولو أن هؤلاء المؤلفين ذاقوا مقامات الطريق لم يذكروا عن الولىّ من مناقبه إلا ما عمله وقاله فى حال نهايته ، لأن هذا هو الذى يصلح أن يكون منقبة له كما فعلت أنا ذلك فى كتاب طبقات العلماء والصوفية ، فلم أذكر عن أحد منهم إلا ماقاله أو عمله حال نهايته . وسمعت سيدى عليا الخوّاص رحمه الله يقول : إذا كان رسول الله ﷺ أمر أن يسأل ربه الزيادة من العلم فما ظنكم بغيره ؟ هذا مع قوله ﷺ عن نفسه « إنه أوتى علم الأوّلين والآخرين » واعتقادنا أنه تعالى أجاب دعاءه وزاده علما عن علم الأوّلين والآخرين ، فعلم أن أحدًا لا يصحّ له مقام النهاية إلا إذا وصل إلى حالة لا مقام بعدها لأحد ، وهذا غير واقع لغيره ﷺ ؛ إذا علمت ذلك فإياك أن تنكر على فقير سمعته يقول : أنا عبد الله الآن لا خوفا من ناره ولا رجاء لثوابه ، فإن ذلك من مقامات المبتدئين فى الطريق لا من مقامات الكاملين ، وذلك أن المريد إذا واظب على

الذكر وأكثر منه ليلاً ونهارًا يرى حجابه ضرورة ، وإذا رقّ حجابه رأى الفعل لله تعالى لا للعبد ، ويسمع نداء الحقّ تعالى من فعله بنحو ما من معناه : ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار ، لولم أخلق جنة ولا نارا لم أكن أهلا لأن أعبد ، فيجعل العبد يستحيى من الله تعالى أن يعبد الله خوفا من نار أو رجاء لثواب ، لأن أحدا لا يطلب قطّ أجرا على فعل غيره ، وإنما يطلب الأجر على فعل نفسه فكل من رقّ حجابه من المريدين شهد أنه لا مدخل له فى وجود أفعاله إلا بقدر نسبة التكليف فقط أدبا مع الشريعة المطهرة ، ويرى كشفا ويقينا أنه كالآلة التى يحركها المحرّك على الفارغ ؛ كما أنه خالق لذات العبد ، فكذلك هو خالق لفعله ؛ ونظير ذلك أيضا ما إذا سمعت أحدا يقول : لا ملك إلا الله وليس أحد يملك معه شيئا ، فإن ذلك مقام يذوقه المريد أوّل دخوله فى الطريق وليس قائله يدّعى مقام النهاية كما قد يتوهم ، فإن من أوّل قدم يضعه المريد فى الطريق شهوده الملك لله ، إذ هو الخالق لكلّ شئ . وفى عبارة المنهاج للنووى : ولا يملك العبد بتمليك سيده فى الأظهر فافهم ؛ وإذا صحّ لعبد شهود الملك لله وحده صحّ له مقام الزهد فى الدنيا وعدم الشحّ بها على أحد من الخلق إلا لغرض شرعى . ومن علامة ذوق العبد لهذا المقام أيضا أنه لو كان عنده أردبّ من الذهب فسرقه أحد لم تتغير منه شعرة واحدة لأجله ، بل ينشرح لمن يأخذ منه خوفا من الحساب عليه من حيث المصرف يوم القيامة ، وصاحب هذا المقام يتساوى عنده عطاء الله تعالى ومنعه له على حدّ سواء من حيث عين العطاء والمنع ، لا من حيث ما على العبد نفسه من نحو الرضى لأنه لا يرى له ملكا مع ربه فى الدارين ، ولو أعطاه شيئا لا يرى أنه يملكه إلا بقدر نسبة العطاء إليه لأجل الشكر لا غير ثم يتبرأ منه إلى ربه الذى هو

المالك الحقيقى له ولذاته اهـ . وقال فيه أيضا مانصه : وكان السرىّ السقطى يقول : لا فرق بين قول العبد : إن الله خلقنى ورزقنى وصوّرنى وعلمنى العلم والقرآن وجعلنى مباركا ؛ وبين أن يقول : أنا ولىّ الله وأنا من العلماء العاملين ونحو ذلك ، لأنه كل مؤمن ولىّ لله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٧] ولا يخلو العالم قطّ من العمل بعلمه ولو فى سنة واحدة فيشكر الله تعالى الذى جعله من العلماء العاملين ، ومن نفى عن نفسه الولاية والعلم مطلقا فقد قل شكره انتهى . وكان الإمام الليث بن سعد يقول : أنا أعرف شخصا منذ وعى على نفسه ماعصى ربه قطّ ، فكان أصحابه يتحدثون فيما بينهم أنه يعنى بذلك نفسه ، لأن أحدا لا يعرف ذلك من غيره إلا بوحى من الله تعالى . وغمز رجل قدم أبى العباس السيارى أحد رجال رسالة القشيرى فقال أبو العباس : أتغمز قدما ما مشى إلى معصية الله قط ؟ ، وكان الشيخ عبد القادر الجيلى يقول : قدمى هذه على رقبة كل ولىّ لله عزّ وجلّ : يعنى من أهل عصره . وكان أبو القاسم الجنيد يقول : لا يكمل أحد فى مقام الشكر لله حتّى يرى نفسه أنه ليس بأهل أن تناله رحمة الله عزّ وجلّ ، وإنما رحمة الله تعالى له من باب المنة والفضل . وكان الشيخ أبو عبد الله القرشى يقول : صحبت ستمائة شيخ ثم وزنت بهم فرجحتهم . وكان أبو العباس المرسى يقول : والله ماسارت الأبدال من قاف إلى قاف إلا ليصادفوا رجلا مثلى يربيهم ويرقيهم إلى مقامات الرجال ، وكان يقول : والله لو احتجب عنى رسول الله ﷺ ساعة واحدة ماعددت نفسى من جملة المسلمين ؛ وكان يقول كثيرا : والله لو علم أهل العراق والمغرب والشام ومصر ماتحت هذه الشعيرات - ويشير إلى لحيته - من العلوم والأسرار لأتوها ولو سعيا على الوجوه .

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى يقول : مابقى بحمد الله عند غيرنا من أهل عصرنا علم نستفيده ، وإنما ننظر فى كلام غيرنا لنعرف ما مَنّ الله به علينا دونهم بما هو فوق مقامهم ، فنشكر الله على ذلك . وأخبرنى الشيخ علىّ الشاذلى ربيب الشيخ أبى المواهب قال : سمعت سيدى أبا المواهب يقول : كنت وأنا مريد أتكدر من مدح الشاذلية نفوسهم وأقول : كيف ينبغى لفقير أن يزكى نفسه بين الناس حتى وصلت إلى مقامهم الذى مدحوا منه نفوسهم ، فرأيت أن تلك من أوجب الواجبات على العبيد ، وأنه لا يكفى الإنسان أن يشكر ربه فى نفسه فقط من غير لفظ ، وإنما عليه أن يشيع ذلك بين العباد حتى يعلم به الخاصّ والعامّ ، فإنه تعالى يحبّ من عباده أن يشكروه ويذكروا فضله وإحسانه عليهم بين عباده ، ويصفوه بالجود والكرم والفضل اهـ . قال : ورأيت بخطّ الشيخ جلال الدين فى كتابه التحدّث بالنعمة مانصه : أنا أعلم خلق الله الآن قلما وفما ، ثم قال : فإن اعترض علينا معترض قلنا له : هذا موكول إلى تخصيص العقل ذلك بالعالم زماننا أو بلدنا أو إقليمنا لاغير ، وعلى ذلك حمل العلماء قوله تعالى فى بنى إسـرائيل ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٤٧] وقالوا : لا يدخل فى ذلك الأنبياء ولا الملائكة . قال الشيخ جلال الدين : ولولا اعتبار هذه القاعدة التى ليس عنها براح لكان التلقيب بقاضى القضاة وأقضى القضاة محرّما غير مباح لأنه شامل لكلّ نبىّ بل ولربّ العالمين انتهى . وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى يقول كثيرا لأصحابه : أعلنوا بطاعتكم إظهارا لعبوديتكم كما يتظاهر غيركم بالمعاصى ، وعليكم بالإعلام للناس بما منحكم الله تعالى من العلوم والمعارف ، فهذه بعض نُقُول من كلام السلف الصالح تؤذن بأن العلماء والصالحين مامدحوا نفوسهم فخرًا

ورياء ، حاشاهم من ذلك ، إنما بنوا أمرهم فى ذلك على قواعد صحيحة وأغراض شرعية ، فإياك يا أخى أن تبادر إلى الإنكار على أحد من العارفين إذا مدح نفسه وتحمله على الأغراض النفسانية بعد اطلاعك على هذه الأدلة والنقول التى ذكرناها ، وعليك بحملهم على أحسن المحامل ، وقد مدح الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه بقولــه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [سورة الزمر : ١٨] اهـ .

قال : وسمعت سيدى عليًا الخوّاص رحمه الله تعالى يقول : لا يسوغ الإنكار شرعا إلا إذا لم يقبل ذلك الأمر التأويل اهـ . وكان يقول أيضا : من كمال الفقير أن يحمل كلام الأكابر على أحسن المحامل لخروجهم عن مقام التلبيس والرعونات النفسانية ، وإن عجز عن الجواب عنهم فى قول قالوه أو فعل فعلوه ، فيسلم لهم وليكفّ عن الإنكار ، لأن منازعهم حقيقة على عقول أمثالنا ، لا سيما الأئمة المجتهدون وكبراء مقلديهم ، وأنى لأمثالنا أن نتصدّى لردّ كلامهم ؟ وقد تصدّى شخص للردّ على الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه وأرضاه اهـ . وقال فيه أيضا : وقد يكون سبب إنكار المنكر جهله بمصطلح القوم رضى الله تعالى عنهم ، وعدم ذوقه لمقاماتهم كما فى كلام سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه فى التائية وغيرها ؛ فالعاقل من ترك الإنكار وجعل مالم يفهمه من جملة مجهولاته ، لا سيما ولم يبلغنا عن أحد من الأولياء رضى الله تعالى عنهم أنه أمر الناس بترك وضوء أو صلاة أو صوم أو غيرها مما يخالف الشريعة أبدا ، بل رسائلهم وكتبهم طافحة بالأمر بالتقيد على الكتاب والسنة وعلاج أخلاقهم وأعمالهم وتنقيتها من الدسائس والعلل القادحة فى الإخلاص وتحمل الأذى وترك الأذى والزهد والورع

والخوف والخشية ، وربما كان المنكر عليهم بالضدّ من هذه الصفات كلها ، وربما تكلم العارف فى نظمه أو غيره على لسان الحقّ تبارك وتعالى ، وربما تكلم على لسان رسول ﷺ ، وربما تكلم على لسان القطب فيظن بعضهم أن ذلك على لسانه هو فيبادر إلى الإنكار فافهم اهـ. وقال فيه أيضا : ومن خاصية طريق القوم أن الصادق من المريدين إذا دخل طريقهم يعرف جميع ما اصطلحوا عليه بالخاصية من أوّل قدم يضعه فى طريقهم حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح ، وليس ذلك لغير الصادقين فى طلب الطريق ولا لغيرهم من أهل سائر العلوم ، فلابدّ لهم من شيخ يوقفهم على مصطلح أهل ذلك العلم كما هو مقرّر فى كتب المتكلمين والمناطقة وأهل الهندسة ؛ ثم إنه قد يكون ذلك الكلام الذى أنكره بعضهم على ذلك الولىّ مثلا مدسوسا عليه فى كتبه أو مفترى عليه كما وقع ذلك فى كتب الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه ، فإنهم دسوا عليه جملة من الأمور المخالفة لظاهر الشريعة فى كتاب الفتوحات المكية التى ألفها رضى الله تعالى عنه ، وفى الفصوص أيضا الذى ألفه رضى الله تعالى عنه كما قاله الشيخ بدر الدين بن جماعة وغيره ، وكما وقع لى فى بعض كتبى كما مرّت الإشارة إليه أوائل هذا الكتاب اهـ .

وفى فتاوى العلامة الحافظ ابن حجر رحمه الله مانصه : وسئل نفع الله به بما لفظه : ما الذى يجاب به عما وقع من شطحات الأولياء كقول أبى يزيد : سبحانى مافى الجبة إلا الله ، وقول الحلاج : أنا الحقّ ونحو ذلك مما لا يخفى من كلماتهم وإشاراتهم التى ظاهرها انتقاد وباطنها حقّ إلا عند أهل المقت والعناد ؟. فأجاب بقوله : ماوقع لهم رضوان الله عليهم من الشطحات للأئمة العلماء العارفين الحكماء الذين

حماهم الله بالسلامة من حرمان الإنكار ومَنّ عليهم بالاعتقاد فى أوليائه وحمل ما صدر عنهم على أحسن المحامل وأقومها عنها أجوبة مسكتة وتحقيقات مبهتة ، لا يهتدى إليها إلا الموفقون ولا يعرض عنها إلا المخذولون ، فاحذر أن تكون ممن يتحسى كأس سمّ الإنكار فيهلك لوقته ، وبادر إلى السلامة من غضب الله ومحاربته ومقته ، فقد قال على لسان الصادق المصدوق « مَنْ عادَى لى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ »(١) أى أعلمته أنى محارب له : قال الأئمة : ولم ينسب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاه إلا للمنكرين على أوليائه وآكلى الربا ، ومن حاربه الله لا يفلح أبدا . أحد تلك المسالك أن تلك الكلمات حكاية عن حضرة الحقّ ونطق عما يليق وما شاهدوه من أنوارها وغلبة التجوّز فى نحو ذلك من مقامات المحبة والعبودية والقرب يبسط لهم العذر ويرفع عنهم الإصر ، وممن اعتمد هذا المسلك الشهاب السهروردى المجمع على إمامته فى العلوم الظاهرة والباطنة فى عوارفه حيث قال : ماحكى عن أبى يزيد رضى الله عنه من قوله : سبحانى . حاشا الله أن يعتقد فى أبى يزيد أن يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى ، قال : وذلك مما ينبغى أن يعتقد فى الحلاج رحمه الله فى قوله : أنا الحقّ ، إلى أن قال ثالثها أنهم قد يؤمرون تعريفا لجاهل أو شكرا وتحدّثا بنعمة الله كما وقع للشيخ عبد القادر أنه بينما هو بمجلس وعظه وإذا هو يقول : قدمى هذه على رقبة كل ولىّ لله ، فأجابه فى تلك الساعة أولياء الدنيا ، قال

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق باب التواضع ١٣١/٨ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الفتن باب من ترجى له السلامة من الفتن ١٣٢٠/٢ - ١٣٢١ ح ٣٩٨٩ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

جماعة : بل وأولياء الجنّ جميعهم وطأطئوا رءوسهم وخضعوا له واعترفوا بما قاله إلا رجل بأصبهان فأبى فسلب حاله ، وممن طأطأ رأسه أبو النجيب السهروردى وقال : على رأسى على رأسى ، وأحمد الرفاعى وقال حميد منهم ، وسئل فقال : الشيخ عبد القادر يقول كذا ، وكذا وأبو مدين فى المغرب وأنا منهم ، اللهمّ إنى أشهدك وأشهد ملائكتك أنى سمعت وأطعت ، فسئل فأخبر بما قاله الشيخ ببغداد فأرّخ ، فكان قول أبى مدين عقب قول الشيخ عبد القادر ذلك ، وكذا الشيخ عبد الرحيم القناوى مدّ عنقه وقال : صدق الصادق المصدوق ، فسئل فأخبر بما قاله الشيخ ، وذكر كثيرون من العارفين الذين ذكرناهم وغيرهم أنه لم يقل إلا بأمر إعلاما بقطبيته فلم يسع أحدا التخلف ، بل جاء بأسانيد متعدّدة عن كثيرين أنهم أخبروا قبل مولده بنحو مائة سنة أنه سيولد بأرض العجم مولود له مظهر عظيم يقول ذلك ، فتندرج الأولياء فى وقته تحت قدمه » .

وحكى إمام الشافعية فى زمنه أبو سعيد عبد الله بن أبى عصرون قال : دخلت بغداد فى طلب العلم فوافقت ابن السقا ورافقته فى طلب العلم بالنظامية وكنا نزور الصالحين ، وكان ببغداد رجل يقال له الغوث يظهر إذا شاء ويختفى إذا شاء ، فقصدنا زيارته أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر وهو يومئذ شاب ، فقال ابن السقا ونحن سائرون : لأسألنه مسئلة لا يدرى لها جوابا ، وقلت : لأسألنه مسئلة وأنظر ما يقول فيها ، وقال الشيخ عبد القادر : معاذ الله أن نسأله شيئا ، أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته ، فدخلنا عليه فلم نره إلا بعد ساعة ، فنظر الشيخ إلى ابن السقا مغضبا وقال : ويحك يا ابن السقا تسألنى عن مسئلة لا أدرى لها جوابا هى كذا وجوابها كذا ، إنى لأرى نار الكفر تلتهب فيك ؛ ثم نظر إلىّ

وقال : ياعبد الله أتسألنى عن مسئلة لتنظر ما أقول فيها ، هى كذا وجوابها كذا ، لتحزن الدنيا عليك إلى شحمة أذنيك باساءة أدبك ، ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر وأدناه منه وأكرمه وقال : ياعبد القادر لقد أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك كأنى أراك ببغداد وقد صعدت الكرسى متكلما على الملأ وقلت : قدمى هذه على رقبة كل ولىّ لله ، وكأنى أرى الأولياء فى وقتك وقد حنوا رقابهم إجلالا لك ، ثم غاب عنا فلم نره . قال : وأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت أمارات قربه من الله ، وأجمع عليه الخاصّ والعامّ وقال : قدمى الخ ، وأقرّت الأولياء فى وقته له بذلك . وأما ابن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها وفاق كثيرا من أهل زمانه واشتهر بقطع من يناظره فى جميع العلوم ، وكان ذا لسان فصيح وسمت بهىّ ، فأدناه الخليفة منه وبعثه رسولا إلى ملك الروم ، فرآه ذا فنون وفصاحة وسمت ، فأعجب به وجمع له القسيسين والعلماء بالنصرانية ، فناظرهم وأفحمهم وعجزوا فعظم عند الملك فزادت فتنته ، فتراءت له ابنة الملك فأعجبته وفتن بها ، فسأله أن يزوّجها له ، فقال : إلا أن تتنصر ، فتنصر وتزوّجها ثم مرض فألقوه بالسوق يسأل القوت فلا يجاب ، وعلته كآبة وسواد حتى مرّ عليه من يعرفه ، فقال له : ماهذا ؟ قال : فتنة حلت بى سببها ماترى ، قال له : هل تحفظ شيئا من القرآن ؟ قال لا إلا قوله : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٢] قال : ثم خرجت عليه يوما فرأيته كأنه قد حرق وهو فى النزع فقلبته إلى القبلة فاستدار إلى الشرق ، فعدت فعاد وهكذا إلى أن خرجت روحه ووجهه إلى الشرق ، وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنه أصيب بسببه . قال ابن أبى عصرون : وأما أنا فجئت إلى دمشق ، فأحضرنى السلطان نور الدين الشهيد وأكرهنى على ولاية

الأوقاف ، فوليتها وأقبلت عليّ الدنيا إقبالا كثيرا ، فقد صدق قول الغوث فينا كلنا .

وفى هذه الحكاية التى كادت أن تتواتر فى المعنى لكثرة ناقليها وعدالتهم فيها أبلغ زجر وآكد ردع عن الإنكار على أولياء الله تعالى ، خوفا من أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقا من تلك الفتنة المهلكة الأبدية التى لا أقبح منها ولا أعظم منها . نعوذ بالله من ذلك ونسأله بوجهه الكريم وحبيبه الرءوف الرحيم أن يؤمننا من ذلك ومن كل فتنة ومحنة بمنه وكرمه . وفيها أيضا أنه حضّ على اعتقادهم والأدب معهم وحسن الظنّ بهم ما أمكن اهـ .

* * *

فصل

فى أن قول المريد الفانى فى حال سكره وغيبته : رأيت الله وما رأيت إلا الله ونحو ذلك من العبارات لا ينبغى أن ينكره من لا معرفة له ، بل ذلك موكول إلى الشيخ الكامل فهو محكّ المريدين ، وذلك لأن التعبير بالرؤية قد كثر فى كلام القوم من عصر الصحابة إلى هلم جرًا ، والأعمى لا ينقد على البصير

قال الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محيى الدين بن عربى الحاتمى فى الفتوحات المكية فى الباب الحادى والخمسين وثلاثمائة فى صحيفة ٢٢٧ : وصل الحدود الذاتية الإلهية التى يتميز بها الحقّ من الخلق لا يعلمها إلا أهل الرؤية لا أهل المشاهدة ولا غيرهم ولا تعلم بالخبر ، لكن قد تعلم بعلم ضرورى يعطيه الله من يشاء من عباده لا يلحق بالخبر الإلهى ، وماثم أمر لا يدرك إلا بالخبر الإلهى إلا هذا ، وما عدا هذا فلا يعلم إلا بالخبر الإلهى أو العلم الضرورى لا غير ، فحدود الموجودات على اختلافها هى حدود الممكنات من حيث أحكامها فى العين الوجودية ، وحدّ العين الوجودية الذاتى ليس إلا عين كونها موجودة فوجودها عين حقيقتها ، إذ ليس لمعلوم وجود أصلا ، وغاية العارفين أن يجعلوا حدود الكون بأسره ، والحدّ الذاتى لواجب الوجود والعلماء بالله فوق هذا الكشف ، والمشهد كما ذكرناه قبل ، وهم رضى الله عنهم يتحفظون على هذا المقام لسرعة تفلّته من قلوبهم ، فإنه من لم تستصحبه الرؤية دائما مع الأنفاس لا يكون من هؤلاء الرجال ، وهذا

مقام من يقول : مارأيت إلا الله ، فإن قيل له فمن الرائى ؟ قال هو : فإن قيل له فمن القائل ؟ قال هو ، فإن قيل له فمن السائل ؟ قال هو ، فإن قيل له فكيف الأمر ؟ قال : نسب تظهر فيه منه له فما ثم فى ثم إلا هو ، وهو عين ثم ، وهذا مذهب أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه بالحـــال اهـ . وقال فيه أيضا فى الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة فى صحيفة ٤٦٤ : فإنّ الله ما سوّى بين الخلق فى العلم به ، فلابدّ من التفاضل فى ذلك بين عباد الله ، فإن المعتزلى يمنع الرؤية ، والأشعرى يجوزها عقلا ويثبتها شرعا فى مقتضى نظره ، والفيلسوف ينفيها عقلا ، إذ لا قدم له فى الشرع والإيمان ، وأهل الله يثبتونها كشفا وذوقا اهـ منه بلفظه وهو نفيس جدًّا . وفى الباب الأحد والثلاثين وثلاثمائة فى معرفة منزل الرؤية والقوّة عليها والتدانى والترقى بعد كلام : فلا تظنّ أن سؤال موسى رؤية ربه أنه فاقد للرؤية التى كانت حالة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه فى قوله : مارأيت شيئا إلا رأيت الله قبله ، هذه الرؤية ماهى الرؤية التى طلبها موسى من ربه ، فإنها رؤيه حاصلة له لعلوّ مرتبته ، فإن ذوق الصادق ماهو ذوق الصدّيق فالرؤية ثابتة بلا شكّ ذوقا ونقلا لا عقلا ، فإن رؤية الله من محارات العقول انتهى العرض منه بلفظه . وقال بعد كلام فى هذا الباب : ومنها من ادعت ذلك على بصيرة وصحو وتحقق معرفة فى مجلس لقرينة حال اقتضاها المجلس لما رأوا أن الحق حين قواهم وماهم هم إلا بقواهم ، وبقواهم يقولون مايقولون ، فقواهم القائلة لاهم ، وهى عين الحقّ كما أخبر الحقّ وكما أعطاه الشهود بانخراق العادة فى قولهم عندهم ، فقالوا : أنا الله وإنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون كأبى يزيد ممن نقل عنه مثل هذا مع صحوه وثبوته وعلمه بأن الحقّ هو الظاهر بأفعاله فى أعيان الممكنات ، وأنه فى بعض

الأعيان قد نصّ أنه هو ، وفى بعض الأعيان لم يذكر أنه هو ، ولذلك قال بعض العارفين فى حقّ التلميذ الذى استغنى بالله على زعمه عن رؤية أبى يزيد ، لأن يرى أبا يزيد مرّة خير له من أن يرى الله ألف مرّة ، فعبر أبو يزيد ، فقيل له : هذا أبو يزيد ، فعند ماوقع بصره عليه مات التلميذ ، فقيل لأبى يزيد فى موته ، فقال : رأى مالا يطيق ، لأنه تجلى له من حيث أنا فلم يطقه كما صعق موسى ، لأن الله من حيث أنا مجلاه أعظم من حيث المجلى الذى كان يشهده فيه ذلك المريد اهـ .

وفى المعيار فى مسئلة الرجل المنسوب إلى الصلاح ، فذكر من الدعوى الخارقة مانصه بعد كلام : وذكر المازنى فى تعليقه على أحاديث الجواز فى حكاية الرجل الذى كان بالقيروان معلوما بالصلاح : رأيت كذا وكذا لأشياء تنفر منها العقول ، وكان ابن أبى زيد إذا ذكر له ذلك يقول نعم صحّ أن يراه فى المنام ، فيرى النائم فى منامه أكثر من هذا ، فقيل له يوما قال : رأيت البارى جلّ وعلا ، فقال الشيخ : هذا عظيم ولكن يصحّ أن يرى الإنسان ربّ العزّة فى منامه ، فبلغ ذلك الرجل ، فقال : ما رأيته إلا فى اليقظة ، فلما بلغ أبا محمد ذلك أنكره وألف تأليفا فى الإنكار على هذا الرجل ، فقام معه فقهاء القيروان وشنعوا عليه وقالوا : هذا إنكار للكرامات وهو مذهب المعتزلة اهـ الغرض منه . وانظر يا أخى إلى جلالة قدر ابن أبى زيد فى العلوم مع إن أهل المذهب يلقبونه بمالك الأصغر ، وقد شنع عليه لما أنكر رؤية هذا الولىّ البارى جلّ وعلا حتى رجع عن إنكاره ؛ ولما أرسلوا بالمسئلة إلى القاضى أبى بكر بن الطيب ألف مجلدين فى الانتصار للرجل سماه الفرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، واستفتحه بأن قال : وشيخنا أبو محمد مع اتساع علمه فى الفروع واطلاعه على شئ من الأصول

لا ينكر كرامات الأولياء ويذهب إلى مايذهب إليه المعتزلة ، وإنما أراد بقوله كذا ، وجعل يتأوّل قوله ، وأخرجه مخارج تليق به ، فأين تجويز رؤية البارى جل وعلا فى اليقظة من رؤية الملائكة ، مع أن الذى صحح عياض فى كتاب الشفاء أن رسول الله ﷺ رآه بعينه وجارحة إبصاره ، وعلى قاعدة أن كل ماثبت معجزة فى حقّ النبىّ جاز أن يكون كرامة فى حقّ الولىّ فلا مرية فى وقوع ذلك الخ كلامه ، انظر المعيار للعلامة الوانشريسى .

وفى روح البيان عند قوله ﴿ اللهُ لا إِلَهَ إلاّ هُوَ ﴾ الجملة خبر للمبتدأ وهو الجلالة ، والمعنى أنه المستحقّ للعبادة لاغير .

وحكى أن تسبيح قطب الأقطاب ياهو ، ويا من هوهو ، ويامن لا إله إلا هو ، فإذا قال ذلك بطريق الحال يقدر على التصرّفات . وللتوحيد ثلاث مراتب : توحيد المبتدئين لا إله إلا الله . وتوحيد المتوسطين لا إله إلا أنت ، لأنهم فى مقام الشهود فمقتضاه الخطاب . وأما الكمل فيسمعون التوحيد من الموحد وهو لا إله إلا أنا ، لأنهم فى مقام الفناء الكلى لا يصدر منهم شئ أصلا .

قال ابن الشيخ فى حواشى سورة الإخلاص : لفظ « هو » إشارة إلى مقام المقرّبين ، وهم الذين نظروا إلى ماهيات الأشياء وحقائقها من حيث هى هى ، فلا جرم ما رأوا موجودا سوى الله ، لأن الحقّ هو الذى لذاته يجب وجوده ، وأما ما عداه فممكن ، والممكن إذا نظر إليه من حيث هو هو كان معدوما ، فهولاء لم يروا موجودا سوى الحقّ سبحانه اهـ .

وفى الفتوحات الإلهية على شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة مانصه :

فهذه الحقيقة النفسيه موصولة بحضرة القدسيه
وإنما يعوقها الموضوع ومن هنا يبتدئ الطلوع

قلت : المراد بالحقيقة النفسية هى الروح اللطيفة السارية فى الأشباح الكثيفة القائمة بها ، والحضرة القدسية هى العظمة الأزلية القديمة اللطيفة الخفية المعبر عنها بعالم الجبروت ، وهى التى فسرها ابن الفارض فى خمريته حيث قال رضى الله عنه وأرضاه :

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبير أجلْ عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم
تُقدَّم كلُّ الكائنات حديثها قديم ولا شكل هناك ولا رسم
وقامت بها الأشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لاله فهم

فالأشياء التى قامت بالخمرة الأزلية هى الموضوعات التى تكشفت وظهرت فقد وضعها الله أوانى حاملة للمعانى . ومنها أشباح بنى آدم فإنها موضوعات للسرّ الربانى الذى هو الروح ، والروح متصلة بتلك الخمرة الأزلية ، وإنما يعوقها ويمنعها من اللحوق بأصلها هذا الموضوع الذى وضعه الله لها وأسكنها فيه فهو كثيف وهى لطيفة ، فمن غلبت كثافته على لطافته ، أو ثقول بشريته على روحانيته بقى دائما مسجونا بمحيطاته محصورا فى هيكل ذاته ؛ ومن غلبت لطافته على كثافته أو ثقول روحانيته على بشريته ، اتصلت روحه بالحضرة القدسية ورجعت إلى أصلها فلم يحجبها عن أصلها أرض ولا سماء ولا عرض ولا كرسى حتى قال بعضهم : العرش والكرسى مندقان فى ترسى . وقال آخر : لو أن العرش فى زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ به . وفى الحكم العطائية : الكائن فى الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون

بمحيطاته محصور فى هيكل ذاته ؛ مفهومه إذا فتحت له ميادين الغيوب لم يحصره هيكل ولا كون بل يترقى إلى فضاء الشهود وتتصل روحه بالملك المعبود اتصالا يعرفه أهل الأذواق وينكره أهل الأوراق . وقد ضرب عزّ الدين بن عبد السلام مثلا ربما يزيل ذلك الإشكال ويوضح لك المثال إن لم تذق ماذاقت الرجال ، قال فى حلّ رموزه وفتح كنوزه : فاعلم أن القلب غيب والربّ غيب ، فاطلع الغيب على الغيب ، فكان اطلاعه نزولا لا حلولا ، واعلم أن لطيفة ذلك أن القلب خلق كامل الوصف فله وجهان : ظاهر ، وباطن ، فظاهره ترابى أرضى مظلم طبيعى جثمانى ، وباطنه سماوى علوى نورانى روحانى ، فكثافة ظاهره لمباشرة القوى الطبيعية البشرية ، ولطافة باطنه لمواجهات الملكوتيات العلوية الربانية الروحانية ، فعلى قدر مواجهته لها ومقابلته إياها انعكست عليه أشعة أنوارها ، وتجلت لأسراره بأسرارها ، فشاهدها بالأنوار التى فاضت عليه ، وأدركها بالأسرار التى أبدتها إليه ، وهذا معنى العكس والمقابلة ، فهو يشهد جمالية محبوبه فى مرآة قلبه من غير حصر ولا تحير ولا حلول ولا انفصال ولا اتصال ، فهو فى المثال كمرآة لها وجهان : ظاهرها كثيف مظلم ، وباطنها لطيف مضئ ، فلو قابلها من الكائنات ماقابلها من صغير أو كبير أرته ممثلا فيها مع صغر جرمها وكبر المرئىّ فيها ؛ ولو كان جملا أو جبلا أرته بكل أجزائه فيها من غير حلول فيها ولا اتصال بها ولا تحيز فى شئ منها ، فكذلك الحقّ سبحانه وتعالى إذا تجلى على قلب عبده المؤمن يشاهده بعين قلبه ويجتليه ببصر بصيرته من غير حلول ولا تحيز ولا اتصال ولا انفصال ، وأوضح من هذا المثال ما أشرحه فى هذه الأبيات :

ولما تجلى من أحبّ تكرّما وأشهدنى ذاك الجناب المعظما

تعرّف لى حتى تيقنت أننى أراه بعينى جهرة لا توهما
وفى كلّ حال أجتليه ولم يزل على طور قلبى حيث كنت مكلما
وماهو فى وصلى بمتصل ولا بمنفصل عنى وحاشاه منهما
وماقدر مثلى أن يحيط بمثله وأين الثرى من طلعة البدر إنما
أشاهده فى صفو سرّى فأجتلى كمالا تعالى عزّه أن يقسما
كما أنّ بدر التمّ يظهر وجهه بصفو غدير وهو فى أفق السما

اهـ

وقال شيخنا القطب الختم التجانى رضى الله عنه كما فى جواهر المعانى مانصه : فأما النسبة المذكورة للرجال فإنها أقرب النسبة ، فإن الحضرة القدسية فى غاية الصفاء لا تقبل التلويث بوجه من الوجوه ، فإن من دخلها غاب عنه الوجود كله ، فلم يبق إلا الألوهية المحضة حتى نفسه تغيب عنه ، ففى هذا الحال لا نطق للعبد ولا عقل ولا وهم ولا حركة ولا سكون ولا رسم ولا كيف ولا أين ولا حدّ ولا علم ، فلو نطق العبد فى هذا الحال لقال : لا إله إلا أنا سبحانى ما أعظم شأنى ، لأنه مترجم عن الله جلّ وعزّ ، وفى هذا الميدان قال أبو يزيد قولته التى قال فى وسط أصحابه وهم دائرون به : سبحانى ما أعظم شأنى ، فهابوا أن يكلموه وعرفوا أنه غائب ؛ فلما صحا من سكرته وتحققوا منه الصحو أخبروه بما سمعوا منه فقال : ماعلمت بشئ وهلا قتلتمونى فى تلك الحالة ؟ فإنكم لو قتلتمونى لكنتم غزاة فى سبيل الله وكنت شهيدا ، قالوا له : لم نقدر على ذلك ، وقد قلنا إن الحضرة فى غاية الصفاء لاتقبل الغير والغيرية ، لأن الله تعالى إذا تجلى بكمال جلاله للعبد أماته عن جميع الأكوان فلم يعقل لاغيرا ولا غيرية فهذا غاية الصفاء . قال سيدنا رسول الله ﷺ مخبرا عن ليلة الإسراء حيث أخبر عن رؤيته لربه

« وَلَمْ أَرَ عِنْدَ رُؤْيَةِ رَبِّى أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ حتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ مَنْ فى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ كُلَّهُمْ قَدْ ماتُوا » فهذا هو الصفاء والقرب ، ومعنى القرب : هو نسيان الغير والغيرية ، وكان الوجود فى محطه الأوّل هو فى غاية البعد عن الحضرة الإلهية إلا من رفع عنه الحجاب منهم : يعنى من الموجودات ، فرأى القرب بعينه والباقى كلهم مشتغلون عن الله تعالى ، فإن ذواتهم لما ظهرت أنستهم الخالق سبحانه وتعالى ، فانعطفت ذواتهم على طلب مصالحها والسعى فى دفع مضارّها ، فبهذا الحدّ بعدوا عن الله تعالى . قال ابن عباس رضى الله عنهما : إنما شغل الخلق عن الله تعالى تدبيرهم لأنفسهم ، فلو أنهم تركوا التدبير لأنفسهم وخرجوا عنه لنظروا كلهم إلى الله عيانا اهـ . وفيه أيضا مانصه : قيل للشاذلى رضى الله عنه : ورد فى بعض الأخبار فى الحديث أنه يقول : « من خرج لى عن كل شئ بهجرانه لكل شئ تجليت له فى كل شئ حتى يرانى فى كلّ شئ » قال الشاذلى للسائل : هذه طريقة العوامّ ليست طريق الخواصّ الأكابر . وأما طريقة الخواصّ كأنه يقول : من أقبل لى على كلّ شئ يحسن اختيارى فى كلّ شئ قطعته عن كلّ شئ حتى يرانى أقرب إليه من كل شئ . فالأوّل مشهد العارفين ، والثانى مشهد الأفراد ، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين ، انتهى من إملائه علينا رضى الله عنه . وفيه أيضا فى الجواب عن الشطحات مانصه : إن للعارف وقتا يطرأ عليه الفناء والاستغراق حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده ، ويخرج عن جميع مداركه ووجوده ، لكن تارة يكون ذلك فى ذات الحقّ سبحانه وتعالى فيتدلى له من قدّوس اللاهوت من بعض أسراره فيض يقتضى منه أن يشهد ذاته عين ذات الحقّ لمحقه فيها واستهلاكه فيها ، ويصرّح فى هذا الميدان بقوله سبحانه لا إله إلا أنا وحدى الخ من التسبيحات ،

كقوله : جلت عظمتى وتقدّس كبريائى ، وهو فى ذلك معذور ، لأن العقل الذى يميز به الشواهد والعوائد ، ويعطيه تفصيل المراتب بمعرفة كل بما يستحقه من الصفات غاب عنه وانمحق وتلاشى واضمحلّ ، وعند فقد هذا العقل وذهابه وفيض ذلك السر القدسى عليه تكلم بما تكلم به ، فالكلام الذى وقع فيه خلقه الحقّ فيه نيابة عنه فهو يتكلم بلسان الحقّ لا بلسانه ومعربا عن ذات الحقّ لا عن ذاته ، ومن هذا الميدان قول أبى يزيد البسطامى : سبحانى ما أعظم شأنى وقول الحلاج وأنا الحقّ ومافى الجبة إلا الله ، وكقول بعض :

* فالأرض أرضى والسماء سمائى *

وكقول التسترى رضى الله عنه :

انظر أنا شئ عجيب لمن يرانى
أنا المحبّ والحبيب ما ثم ثانى

وكقوله أيضا :

* أنا من أهوى ومن أهوى أنا * البيت

وأقوال ابن الفارض مثل هذا كثيرة ، وهذا مما يعطيه الفناء والاستغراق فى ذات الحقّ ، وهذا أمر خارج عن المقال يدرك بالذوق وصفاء الأحوال فلا يعلم حقيقته إلا من ذاقه ، وتارة يكون الاستغراق للعارف والفناء فى ذات النبىّ ﷺ لغيبته عن ذاته فى ذات النبى ﷺ فيتدلى له ﷺ ببعض أسراره ، فإذا كسيت ذاته ذلك السرّ فلا يشهد ذاته إلا ذات النبى ﷺ ، ويعلمه الله ببعض ما اختص به نبيه ﷺ من الخصوصيات التى لا مطمع فيها لغيره ﷺ ، فيتكلم بلسان النبىّ ﷺ

نيابة عنه ببعض ما اختصّ الله به نبيه ﷺ من الخصوصيات العظام ماله به علوّ وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيئين والمرسلين ، فهو يخبر عما أعطى الله نبيه ﷺ مخبرا عن نفسه ، فمن يسمعه يظنّ أنه ينسبه لنفسه ، وإنما نسبه للنبيّ ﷺ لغيبته فى ذاته ، فإذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق ورجع لحسه وشاهده تبرأ من ذلك لعلمه بمرتبته ، وسق هذا المساق فى كلّ ماتسمع من الشيوخ مما يقضى لهم أن لهم شفوفا على مراتب النبيئين والمرسلين اهـ . وإذا أمعن النظر أخو الإنصاف الملهم نور التصديق علم يقينا أن التعبير بالرؤية غير بدع عند هذه الطائفة ، بل من أعظم البدع الإنكار على مدّعى الرؤية ولم تنكر إلا بعد القرون الثلاثة لما ظهرت البدع وفرق المعتزلة والفلاسفة الضالين والمضلين ، وقد تقدّم الكلام على الفرق الضالة ، وقد شرعتُ فى تأليف كتاب سميته « تبصرة الأنام ، فى جواز رؤية الله فى اليقظة والمنام » ولعلّ أن يأتى فيه مزيد بيان فى مسئلة الرؤية ، ويلحق بهذا الفصل قصيدة شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب الربانى والوارث الصمدانى حسان طريقنا السيد مُحمد – بضم أوله وسكون ثالثه – ابن السيد العلامة عبد الله العلوى فى الردّ على المنكرين الضالين المضلين ، لأنها لم تبق مقالا لقائل ونصها :

آبنى الزور هدءة الرقاد ... فاعترى القلب منه مثل العداد
ذكر الصبّ بالحبيب وولى ... بثْ من بعده ضجيع السهاد
لا أذوق المنام إلا فواقا ... حسو طير الثماد ماء الثماد
بتّ أحجو أن المزار قريب ... فإذا زورها أتى ببعاد
رابنى أنها رداح لغوب ... لم تجاوز مضارب الأوتاد
أم شجانى من الجنوب هبوب ... وهبوب الجنوب شجو الفؤاد
إنها من شذا الأحبة هبت ... بنسيم يروى غليل الصاد

ذكرتنا معاهدا للغوانى   واجتماعا لها على ميعاد
لست أنسى مسيرهنّ بعينى   مقصرا لا يردن غير اصطياد
يتهادين نحوه لاغبات   يتحدّثن فى ذرى الأنجاد
أصبح العلم ميتا فى البلاد   واكتسى الدهر منه ثوب الحداد
أصبحت محصناته بعد صون   وحجاب لها بأيدى الأعاد
قد أذيلت وكن أهل مهور   غاليات تشقّ بالمرتاد
فأحلّ افتضاضهنّ فسادا   كلّ نذل ولسن أهل الفساد
فغدا بعد عزّه وعلاه   لعبة للجهال والأوغاد
كلّ قرعى غدت لتستنّ فيه   سنن المهر من عتاق الجياد
فغدا منشدا لقد هزلت حتـ   ـتى بدا من هزالها كلّ باد
فترى منهم كلّ أخرس أعمى   ماله من غنى عن القواد
مقعدا لا يطيق منه نهوضا   متغاش أصمّ مثل الجماد
منكرا من قصوره وعماه   رؤية المبصر السميع الهاد
عجب نقد ذا على مثل ذاكم   أيمارى الأيقاظ أهل الرقاد
أو هل مطلق يرى مثل عان   أرهقته خوالد الأقياد
أنكروا جاهلين فعل أمور   شرعها واضح لأهل المباد
مثل شمس النهار ينكرها الأعمـ   ـى عمى والمريض طعم الشهاد
أين أهل الحجاب يالهف نفسى   والهوى من محاسن الأفراد
من يبل معجبا بجانب بحر   ويراه كالبحر فى الإمداد
كان أضحوكة وضرب مثال   فى الحماقات فى القرى والبواد
زعموا العلم مثل ماهم عليه   كذب الزعم منهم بالعواد
جعلوه تمشدقا وهجاء   وجدالا مزوّقا بعناد
أىّ علم تبا لعلمك يهدى   لهجاء الأقطاب والأوتاد

ليس علم اللسان ويكم بعلم   إنما العلم خشية فى الفؤاد
ليس يغنى علم اللسان نقيرا   عن ذويه بموقف الأشهاد
مثل شأن الحمار يحمل أسفا   را ولما يزد على الإجهاد
إن تكن سائلا عن العلم يمم   صوب أشياخنا نجوم الدآد
تلق منهم إذا أردت بحورا   زاخرات تموج بالأزباد
ضيعوا فى جناه طهر العذارى   ونأوا عن بساطها والوساد
ثم آبوا بعلم كل عويص   كلّ عنه جهابذ النقاد
وتغشوا من العلوم رياضا   لم تطأها نجائب الروّاد
أخذوه من العباد ابتداء   وتلقوه من إله العباد
عاينوا الحقّ جهرة وعيانا   فهم كلّ لحظة فى ازدياد
وسعوا علم كلّ ماقد أرادوا   بتوالى الفيوض والإمداد
سعة لم تكن لسبع أراض   إن تقسها ولا لسبع شداد
فلياليهم ليائل قدر   وسرور الأيام كالأعياد
لو تألوا على البقاع لدكت   وتداعت جبالها لانهداد
أعَلى مثلهم يسوغ نكير   من جهول أخى البطالة باد
إنّ فى حرب ربهم للمناوى   لغنى عن سهام كلّ معاد
فتأثل مدا حياتك نقدا   إنما الكفر ويك بالمرصاد
ربّ إنى بما أتوه برئ   من دياناتهم بشرّ انتقاد
إن يَرمِهم مضلل بانتقاد   فأنا فى جنابهم ذو اعتقاد
أو يكن عند ذى الشقاوة دخل   فلدينا للقوم صفو الوداد
إنهم أُسرتى ومعتّل عزّى   وملاذى لهول يوم التناد اهـ

* * *

فصل

وحاصل المسئلة أن رؤية الله بالبصر اليوم فى الدنيا جائزة عقلا وإن لم تثبت شرعا . وأما بالبصيرة والذوق والكشف فواقعة قطعا . واختلفت عبارات القوم فى الرؤية ، فبعضهم عبر بالرؤية حيث لم ير وجودا سوى الحقّ ، وبعضهم عبر بالفناء ، وبعضهم عبر بالوصول ، وبعضهم بالجمع إلى غير ذلك قال :

عبارتنا شتى ومعناك واحد
وكل إلى ذاك الكمال يشير

وقال الإمام الشعرانى فى الدرر : سألت أخى أفضل الدين رضى الله عنه عن قوله تعالى عن موسى عليه السلام « قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى » كيف سأل الرؤية فى الدنيا ورسول الله ﷺ يقول « لَنْ يَرَى أَحَدٌ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ » (١) فهل ثم مقام فى الرسالة يطلب الرؤية فى الدنيا أم لا ؟ وإذا لم يطلبها فهل قوله ﷺ « فلن يرى أحد ربه » نفى عامّ أو خاصّ . فقال رضى الله عنه : قد سئل الشيخ محيى الدين رضى الله عنه عن مثل ذلك فقال : هذا لا يجهله رسول ، فما بقى إلا أن فى الرسالة مقاما يطلب الرؤية فى الدنيا ، وقوله ﷺ نفى عامّ ، فإن موسى عليه السلام ما رأى ربه تعالى حتى خرَّ صعقا ميتا ، فرآه فى صعقته ، قلت موتا ؟ قال موتا كما أخبر بذلك عليه السلام حين اجتمع به من

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الفتن باب ذكر ابن الصياد ٢٢٤٥/٤ قال ابن شهاب وأخبرنى عمر بن ثابت الأنصارى أنه أخبره بعض أصحاب النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت » .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الفتن باب فى علامة الدجال ٥٠٨/٤ بنفس طريق مسلم ولفظه . وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

طريق الكشف الروحانى ، فقلت له : إن نبينا ﷺ شكّ فى أمره فقال «أنا أوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرْضُ فانْظُرُ فإذَا مُوسَى مُتَعَلِّقٌ بقائِمَةِ العَرْشِ فَلا أدْرِى أجُوزِىَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ فَلَمْ يُصْعَقْ فى نَفْخَةِ الصَّعْقِ ، أمْ كانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى الله ؟ » (١) فقال رضى الله عنه : كان هذا القول منه ﷺ قبل أن يعلمه الله به ، ثم إن الله أعلمه أن موسى جوزى بصعقة الطور فما رآه حتى مات ثم أفاق فعلم من رأى واستحيته رؤيته أبد الآبدين ، ولذلك قال : تُبت إليك ؛ فإنه مارجع إلا إليه ، وكان قبل الرؤية يراه ولكن مايعلم أنه هو ؛ فلما اختلف عليه الموطن ورآه علم من رأى فهذا ماخصّ به على غيره ، وإلا فغيره يراه ولا يعلم أنه يراه ، وإذا كان فى

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الخصومة باب مايذكر فى الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودى ٩٥/٢ ح ٢٤١١ حدثنا يحيى بن قزعة حدثنا ابراهيم ابن سعد عن ابن شهاب عن أبى سلمة وعبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة قال استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود قال المسلم والذى اصطفى محمدًا على العالمين فقال اليهودى والذى اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودى فذهب اليهودى إلى النبى ﷺ فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم فدعا النبى ﷺ المسلم فسأله عن ذلك فأخبره فقال النبى ﷺ لا تخيرونى على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش جنائب العرش فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى أو كان ممن استثنى الله ، ص ٣٦٩ كتاب الأنبياء باب وفاة موسى وذكره بعده ح ٣٤٠٨ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى إلى آخر طريق البخارى الأول ولفظه ، ٤٤٠/٤ كتاب التوحيد باب فى المشيئة والإرادة ح ٧٤٧٢ من طريق يحيى بن قزعة حدثنا إبراهيم إلى آخر طريق الذى فى الخصومات وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل باب فضائل موسى عليه السلام من طريق يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبى عن ابن شهاب إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٢٦٤/٢ مسند أبى هريرة رضى الله عنه من طريق أبو كامل ثنا إبراهيم ثنا ابن شهاب إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

قلبك لقاء شخص وأنت لا تعرفه بعينك ، فلقيك وسلم عليك وأنت لم تعرفه فقد رأيته وما رأيته ، فقلت له : إن الله عزّ وجلّ أحال موسى فى الرؤية على الجبل ، وذكر عن نفسه تعالى أنه تجلى للجبل لا لموسى ، فقال رضى الله عنه : قد تجلى له ولكن لا يثبت لتجليه شئ فلابدّ من تغيير الحال ، فكان الدكّ للجبل والصعق لموسى ، فالذى دكّ الجبل لموسى أصعقه ، فقلت له : فلم رجع موسى إلى صورته ولم يرجع الجبل بعد الدكّ إلى صورته ؟ فقال رضى الله عنه : إنما زالت عين الجبل لخلوّه عن الروح ، بخلاف موسى عليه السلام لم تزل صورته وعينه حتى خرّ صعقا لأنه كان ذا روح . فروحه تمسك صورته على ماهى عليه ، بخلاف الجبل لم يرجع بعد على ماكان جبلا ، لأنه لم يكن له روح تمسك صورته ، فقلت له : فهل الشهود الذى يقول به الطائفة هل هو الرؤية أو غيرها ؟ فقال رضى الله عنه : الشهود غير الرؤية ، والفرق بينهما أن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئى ، بخلاف المشاهدة يتقدمها علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ، ولهذا يقع الإقرار والإنكار فى شهود التجلى الأخروى ولا يكون فى الرؤية إلا الإقرار وما سمى الشاهد شاهدا إلا لأن ما رآه يشهد بصحة ما اعتقده . فقلت له : بماذا سمع موسى عليه السلام كلام الله ؟ قال : بسمعه ، قلت : وما سمعه إذ ذاك ؟ قال : هو عند عامة أهل الكشف ، فقلت له : فبم خصص ؟ قال : بذوق فى ذلك لا يعلمه إلا صاحبه ، قلت له : فأصحاب الأذواق كلهم كذلك قال : نعم ولكن الأذواق على قدر المراتب ، ومن هنا خصّ موسى عليه السلام بالمراجعة ليلة الإسراء فى شأن الصلوات لذوقه ذلك فى بنى إسرائيل قبل نبينا ﷺ ، فإن للمباشرة حالا لا يدرك إلا بها ، فكان ذلك من فوائد الذوق ، فقلت له : إن أكابر المعتزلة أنكروا رؤية البارى جلّ وعلا فى الدنيا والآخرة خلاف ماوردت به الآيات والأخبار ، فقال رضى

الله عنه : صحيح ما أنكروه ، لأن أحدا لا يرى الحقّ تعالى قطّ إلا من خَلْف رداء الكبرياء كما ورد فى تجلى الحقّ تعالى فى جنات عدن من قوله ﷺ « وليس على وجهه تعالى إلا رداء الكبرياء » (١) ووجه الشئ ذاته ، فالمراد حجاب دائما بينك وبينه مانع من وصول الرؤية إليه ، وصدق الله تعالى فى قوله لموسى (لن ترانى) فإن الأعين لاتصل إلا إلى الرداء فتأمل ، هذا مشهد أكابر المعتزلة وأما عامتهم من المقلدين فأخذوا بظاهر الأمر ومنعوا الرؤية أصلا فصادموا الشريعة فأخطئوا اهـ منها باللفظ .

وفى فرائد الفوائد قال ابن الزياتى : الولاية على قسمين : صغرى ، وكبرى فالصغرى أن يتولى العبد ربه بالعكوف على طاعته ومنابذة أسباب سخطه وامتثال المأمورات واجتناب المنهيات ومجاهدة ضبط الحواسّ ومحاولة مراعاة الأنفاس . والكبرى أن يتولى الله عبده بأن يمحق من قلبه كلّ ماسواه ويجمعه عليه بحيث لا يرى إلا إياه ، فلو حاول التفاته لغيره لم يجد إلى ذلك سبيلا ، بل لا يتصوّر ذلك فى حقه ، لأن الالتفات للشئ فرع الشعور به ولا شعور له بغير مطلوبه ومرغوبه ، فأهل الولاية الكبرى يحصل هذا لجميعهم إن شاء الله ، وأهل الولاية الصغرى قد يحصل ذلك لبعضهم لا لجميعهم اهـ .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير باب فى سورة الرحمن ١٨٢/٢ عن عبد الله بن قيس رضى الله عنه .

وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١٦٣/١ حديث رقم ١٨٠ عن عبد الله بن قيس رضى الله عنه .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الجنة باب ماجاء فى صفة عرف الجنة ٦٧٣/٤ - ٦٧٤ ح رقم ٢٥٢٨ عن عبد الله بن قيس وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٦٦/١ - ٦٧ ح رقم ١٨٦ عن عبد الله بن قيس .

قلت : وبهذا تعلم أن تعبير من عبر باستحالة الرؤية لغير خاتم الأنبياء تعبير فاسد من جاهل بمواضع الألفاظ ومعانيها ، لأن المستحيل لا يتصوّر وجوده ، فلو استحال لايقع لأحد ، لأن وقوع المحال محال يوجب قلب الحقائق لزوما ، واعلم أن الله لا يستحيل عليه شئ إلا أن يكون له شريك تعالى عن ذلك علوّا كبيرا ، وغير ذلك من مستحيلات علماء الكلام مستحيل عرضى ، فإن الله غير مستحيل عليه أن يرسل رسولا بعد محمد مثله أو خيرا منه ، لكنه لم تتعلق إرادته عليه فصار عارض الاستحالة فافهم .

وقال فى المعيار : وسئل قاضى الجماعة بتونس أبو عبد الله محمد ابن عبد السلام هل يمكن بحسب القدرة أن يخلق الله عزّ وجلّ أفضل من نبينا محمد ﷺ أولا ؟ . فأجاب أنه يمكن بحسب القدرة لكنه لم يقع ، فبلغ ذلك بعض معاصريه من علماء تونس وهو الشيخ الفقيه الصالح أبو الحسن بن المنتصر رحمه الله ، فكتب إلى ابن عبد السلام : يامحمد ليت أمك لم تلدك وليتها إذ ولدتك لم تتعلم وليتك إذ تعلمت لم تتكلم . وقيل إن الشيخ ابن عبد السلام خرج من هذا الكلام فقال : وما للمرابطين والدخول فى هذا الفضول إذا كان السؤال منسوبا للشيخ الصالح أبى محمد عبد الهادى الصوفى رحمه الله اهـ .

قال الخطيب أبو سعيد الشلوى : والصواب أن يقال : القدرة لا تتعلق إلا بالممكنات ، وأما المستحيل فليس بمقدور عليه ولا معجوز عنه ، والنبىّ ﷺ لما خلقه الله أفضل البشر استحال أن يكون غيره أفضل منه اهـ . قال الونشريسى : قال بعضهم : واعتراض المعترض على ابن عبد السلام قصور وتحامل عليه وانتقاد لجوابه من غير تدبر ، لأن المسئلة خلافية .

قال الشيخ القاضى العلامة أبو عثمان سعيد العقبانى فى شرحه للعقيدة البرهانية مانصه : فرع اعلم أنّ الشئ قد يكون ممكنا فى نفسه ويعرض له أمر يصيره محالا . مثاله : إيمان أبى جهل ممكن فى نفسه ، لكن لما تعلق علم الله بعدم وقوعه صار من هذا الوجه محالا ، فما يكون مثل هذا هل تتعلق به القدرة نظرا إلى إمكان ذاته ، أو لا تتعلق به لأن العلم القديم يؤذن بأنه محال ؟ اختلف فيه وأراد الغزالى ردّ القولين إلى وفاق ، وأن معنى القول بأنه تتعلق به القدرة : أى من حيث ذاته . ومعنى القول الآخر من حيث تعلق العلم بعدم وقوعه ، وتعلق العلم بعدم وقوعه لا يخرجه أن تتعلق به القدرة ؛ وبيان ذلك أن القدرة لا تتعلق بالمحال ولا تتعلق بالواجب ، وكما أن ماعلم الله تعالى أنه لايقع يستحيل من هذا الوجه وقوعه ، فكذلك ماعلم الله أنه يقع فإنه يجب من هذا الوجه وقوعه فلو كان علمه تعالى بعدم الوقوع مخرجا للممكن عن تعلق القدرة به لأجل صيرورته واجبا من هذا الوجه و كل شئ ، فلابد من تعلق العلم بوقوعه أو بعدم وقوعه ، فيلزم أن لا يبقى للقدرة متعلق البتة ، تعالى الله عن ذلك اهـ كلامه رحمه الله . فيظهر لك من كلام الشيخ النزاع ، والخلاف فى المسئلة بين المتكلمين ، وأن الأرجح عنده تعلق القدرة به ، وهو جواب الشيخ ابن عبد السلام رحمه الله ، وإذا تأملت ذلك كله ظهر لك صحة جوابه رحمه الله ، وصواب ردّ الغزالى القولين إلى وفاق مما أورده العقبانى رحمه الله فيه نظر وبحث لمن تدبره ، لأن الكلام هنا فى الممكن الجائز الذى لا يلزم من وجوده ولا من عدمه محال و كذلك هو إيمان أبى جهل فى نفس الأمر مع قطع النظر عما علم من مثاله لافى الجواز والمستحيل عقلا فتأمله حق التأمل اهـ .

* * *

فصل

اعلم يا أخى رحمك الله أن الله من تقرّب إليه شبرا تقرّب إليه ذراعا » الخ الحديث القدسى ، ولم يخصّ بذلك متقدما ولا متأخرا ولا أحمر ولا أسود ، وسواد الجسم لا يمنع من بلوغ درجة المقرّبين ، بل قد ورد فى الحبشة وهم السودان « الإيمَانُ لَوْ كانَ فى الثُرَيَّا لنَالُوهُ » وورد « سَلْمَانُ منّا أهْلَ البَيْتِ » . وفى الجواهر الحسان عند قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة الجمعة : ٣] وقد سئل رسول الله ﷺ « مَنِ الآخِرُون فأخذ بيد سلمان فقال : لَوْ كان الدّينُ فى الثُّريَّا لَنَالَهُ رِجالٌ مِنْ هَؤُلاءِ » (١) خرّجه مسلم والبخارى اهـ ، فانظر رحمك الله كيف خصّ ذلك بقوم سلمان وليس بالمجلس أسود

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب التفسير « سورة الجمعة » باب قوله وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ٢٨٨/٣ ح ٤٨٩٧ - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثنى بن بلال عن ثور عن أبى الغيث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا جلوسًا عند النبى ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم » قال قلت من هم يارسول الله فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا وفينا سلمان الفارسى وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال « لو كان الإيمان عند الثريا لناوله رجال أو رجل من هؤلاء وفى رواية لنا وله رجال من هؤلاء .

وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضل فارس ١٩٧٢/٤ - ١٩٧٣ حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز يعنى ابن محمد عن ثور إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير باب سورة الجمعة ٤١٣/٥/٤١٤ ح ٣٣١٠ - حدثنا على بن الحجر أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنى ثور إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه أحمد فى مسنده ٤١٧/٢ مسند أبى هريرة رضى الله عنه بنفس طريق الإمام مسلم .

غيره علمت أن السواد لربما كان فيهم الخير ، رزقنا الله فهم أسرار كلامه وكلام نبيه إنه وليّ ذلك والقادر عليه . وانظر فى الفتوحات المكية للشيخ الأكبر ابن عربى الحاتمى فى الباب التاسع والعشرين فى معرفة سرّ سلمان الذى ألحقه بأهل البيت والأقطاب الذين ورثه منهم ومعرفة أسرارهم تجد مايشفى الغليل ويبرئ العليل . وفى روح البيان عند الآية المتقدّم ذكرها . وروى سهل بن سعد الساعدى أن النبىّ عليه الصلاة والسلام قال « رأيْتُنِى أسْقِى غَنَمًا سُودًا ثُمَّ أتْبَعْتُها غَنَمًا عُفْرًا ، أوِّلْها يا أبا بَكْرٍ ، فقال : يا نبىّ الله أما السود فالعرب ، وأما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب ، فقال عليه الصلاة والسلام : كَذَلِكَ أوَّلَها المَلَكُ » (١) يعنى جبريل عليه السلام اهـ .

وفى الفتوحات المكية فى الباب السادس والستين والثلاثمائة حيث تكلم على الخليفة فى القرن الذى ذكر أنه رابع القرون الثلاثة ، وعلل بأن رجاله على أقدام الصحابة رضوان الله عليهم مانصه : وإن الله يستوزر له طائفة خبأهم الله فى مكنون غيبه ، أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وماهو أمر الله عليه فى عباده ، فبمشاورتهم يفصل مايفصل وهم العارفون الذين عرفوا ماثمّ ، وأما هو يعنى الخليفة فصاحب سيف حقّ وسياسة مدنية يعرف من الله قدر ماتحتاج إليه مرتبته ومنزلته ، لأنه خليفة مسدّد يفهم منطق الحيوان يسرى عدله فى الإنس والجانّ من أسرار علم وزرائه

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ٥/٤٥٥ ثنا عبد الصمد ثنا حماد بن سلمة ثنا على ابن زيد عن أبى الطفيل قال قال رسول الله رأيت فيما يرى النائم كأنى انزع أرضًا وردت على غنم سود وغنم عفر فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين وفيهما ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر فنزع فاستحالت غربًا فملأ الحوض وأروى الواردة فلم أر عبقريا أحسن نزعًا من عمر فأولت السود العرب وأن العفر العجم .

الذين استوزرهم الله له قوله ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الروم : ٤٧] وهم على أقدام رجال من الصحابة (صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ) وهم من الأعاجم الخ كلامه ، انظر الفتوحات . وفى روح البيان عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] تعليل للنهى عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقى ، كأن قيل إن الأكرم عنده تعالى هو الأتقى وإن كان عبدا حبشيا أسود مثل بلال ، فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى وبفضل الله ورحمته بل بالله تعالى ، ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام « أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ » (١) أى ليس لى بالسيادة والرسالة بل بالعبودية فإنها شرف وأىّ شرف ، كفى شرفا تقديم العبد على الرسول فى قوله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . وروى « أن رسول الله ﷺ مرّ فى سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول : من اشترانى فعلى شرط أن لا يمنعنى

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ١٧٨٢/٤ - حدثنا الحكم بن موسى حدثنا هقل يعنى ابن زياد عن الأوزاعى حدثنى أبو عمار حدثنى عبد الله بن فروخ حدثنى أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير باب سورة بنى اسرائيل ٣٠٨/٥ ح رقم ٣١٤٨ - حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن على بن زيد بن جدعات عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر « جزء من حديث طويل » وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ، كتاب المناقب باب فى فضل النبى ﷺ ٥٨٧/٥ ح ٣٦١٥ - حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان إلى آخر طريق الترمذى السابق ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٢/٣ مسند أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه من طريق هشيم عن على ابن زيد إلى آخر سند الترمذى ولفظه.

الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ ، فاشتراه رجل فكان رسول الله يراه عند كل صلاة ، ففقده فسأل عنه صاحبه ، فقال : محموم ، فعاده ثم سأل عنه بعد أيام ، فقيل : هو كابئ متهيئ للموت الذى هو لاحق به ، فجاء وهو فى بقية حركته وروحه ، فتولى غسله ودفنه ، ودخل على المهاجرين والأنصار أمر عظيم ، فنزلت الآية ﴿ إن الله عَلِيمٌ ﴾ بكم وبأعمالكم ﴿ خَبِيرٌ ﴾ ببواطن أحوالكم . قال ابن الشيخ فى حواشيه : والنسب وإن كان معتبرا عرفا وشرعا حتى لا تتزوّج الشريفة بالنبطى . قال فى القاموس : النبط محركة : جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين ، وهو نبطىّ محركة انتهى ، إلا أنه لا عبرة به عند ظهور ماهو أعظم قدرا منه وأعزّ وهو الإيمان والتقوى ، كما لاتظهر الكواكب عند طلوع الشمس ، فالفاسق وإن كان قرشىّ النسب ، وقارون النشب لاقدر له عند المؤمن التقىّ وإن كان عبدا حبشيا والأمور التى يفتخر بها فى الدنيا وإن كانت كثيرة لكن النسب أعلاها من حيث إنه ثابت مستمرّ غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك بخلاف غيره كالمال مثلا ، فإنه قد يحصل للفقير مال فيبطل افتخار المفتخر به عليه ، وكذا الأولاد والبساتين ونحوها ، فلذلك خصّ الله النسب بالذكر ، وأبطل اعتباره بالنسبة إلى التقوى ليعلم منه بطلان اعتبار غيره بطريق الأولى انتهى. وفى الحديث « إن رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وأبوكُمْ وَاحِدٌ . لا فَضْلَ لِعَرَبِىٍّ على عَجَمِى وَلا لِعَجَمِىٍّ على عَرَبِىٍّ وَلا لِأَحْمَرَ على أَسْوَدَ وَلا لِأَسْوَدَ على أَحْمَرَ إلاَّ بالتَّقْوَى » (١) وعلى هذا إجماع العلماء كما قال فى بحر العلوم .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٤١١/٥ - حدثنا اسماعيل ثنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة حدثنى من سمع خطبة رسول الله ﷺ فى وسط أيام التشريق فقال ياأيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على أعجمى ثم ذكره .=

قال بعض الكبار : المفاضلة بين الخلق عند الله لنسبهم لا لنسبته ، فهم من حيث النسبة واحدة ، ومن حيث النسب متفاضلون ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] ولا يصحّ التفاضل بالأعمال ، فقد يسبق التابع المتبوع ، ولو كان الشرف للأشياء من حيث شأنها أو مواطنها لكان الشرف لإبليس على آدم فى قوله ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] ولكن لما كان الشرف اختصاصا إلهيا لايعرف إلا من جانب الحقّ تعالى جهل إبليس فى مقالته تلك وصحّ الشرف لآدم عليه السلام عليه والخيرية . وسئل عيسى عليه السلام : أىّ الناس أشرف ؟ فقبض قبضتين من تراب ثم قال : أى هذين أشرف ؟ ثم جمعهما وطرحهما وقال : الناس كلهم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم قال سلمان الفارسى رضى الله عنه :

أبى الإسلام لا أب لى سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

وفى الحديث : « إنَّ اللهَ لايَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ولكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ » (١) وقال عليه الصلاة والسلام « ياأَيُّهَا النَّاس إنَّمَا

= وأخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء فى ترجمة المنذر بن مالك ١٠٠/٣ - حدثنا أبوعمرو بن حمدان قال ثنا الحسن بن سفيان قال ثنا العلاء بن سلمة البصرى قال ثنا شيبة أبو قلابة القيسى عن الجريرى عن أبى نضرة عن جابر رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ أيام التشريق فى حجة الوداع فقال « ياأيها الناس ألا إن ربكم واحد ... ثم ذكره .

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب البر باب تحريم الظلم ١٩٨٧/٤ - حدثنا عمر الناقد حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن الله لاينظر إلى صوركم ثم ذكره .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الزهد باب القناعة ١٣٨٨/٢ ح رقم ٤١٤٣ حدثنا أحمد بن سنان ثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان إلى آخر طريق مسلم ولفظه .
=

النَّاسُ رَجَلٌ مُؤْمِنٌ تَقِى كَرِيمٌ على اللهِ ، وفَاجِرٌ شَقِىٌّ هَيِّنٌ على الله »(١)
وعن ابن عباس رضى الله عنهما « كَرَمُ الدُّنْيا الغِنَى ، وكَرَمُ الآخِرَة
التَّقْوَى » . وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه « أَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ
القِيامَةِ ثُمَّ يُوقَفُونَ ثُمَّ يَقُولُ اللهُ لَهُمْ : طالَمَا كُنْتُمْ تَتكلَّمُونَ وأنا ساكِتٌ
فاسْكُتُوا اليَوْمَ حتَّى أَتَكلَّمَ ، إنىّ رَفَعْتُ نَسَبِى وأَبَيْتُمْ إلاَّ أنْسابَكُمْ ، قُلْتُ :
إن أكْرَمَكُمْ عنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ ، وأَبَيْتُمْ أَنْتُمْ فَقُلْتُمْ لابَلْ فُلانُ بْنُ فُلانٍ وَفُلانُ
ابْنُ فُلان ، فَرَفَعْتُمْ أنْسابَكُمْ وَوَضَعْتُمْ نَسَبِى فالْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبى وأَضَعُ
أنْسابَكُمْ ، سَيَعْلَمُ أَهْلُ الجَمْعِ اليَوْمَ مَنْ أصْحابُ الكَرَم ، أَيْنَ المُتَّقُونَ ؟ »
كما فى كشف الأسرار . قال الشافعى : أربعة لا يعبأ الله بهم يوم
القيامة : زهد خصىّ ، وتقوى جندى ، وأمانة امرأة ، وعبادة صبىّ . وهو
محمول على الغالب كما فى المقاصد الحسنة . قال فى التأويلات
النجمية يشير لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾
[سورة الحجرات : ١٣] إلى خلق القلوب أنها خلقت من ذكر وهو الروح ،
وأنثى وهى النفس ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] أى
جعلناها صنفين : صنف منها شعوب وهى التى تميل إلى أمها وهى

= وأخرجه أحمد فى المسند ٢٨٥/٢ مسند أبى هريرة رضى الله عنه من طريق محمد بن بكر البرسانى ثنا جعفر بن برقان إلى آخر طريق مسلم ولفظه .

(١) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب التفسير باب سورة الحجرات ٣٨٩/٥ ح ٣٢٧٠ - حدثنا على بن حجر أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال ياأيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان برتقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب ... الخ وقال أبو عيسى هذا حديث غريب وعبد الله بن جعفر مضعف ضعفه يحيى بن معين وغيره .

النفس والغالب عليها صفات النفس وصنف منها قبائل وهى التى إلى أبيها وهو الروح ، والغالب عليها صفات الروح (لِتَعارَفُوا) أى لتتعارفوا أصحاب القلوب وأرباب النفوس لا لتتكاثروا وتتنافسوا وتتباهوا بالعقول والأخلاق الروحانية الطبيعية ، فإنها ظلمانية لايصلح شئ منها للمتفاخر به مالم يقرن به الإيمان والتقوى فلم تكن الأفعال مشوبة بالرياء ولا الأخلاق مصحوبة بالأهواء ، ولا الأهواء منسوبة إلى الإعجاب ، فعند ذلك تصلح للتفاخر والمباهاة بها كما قال تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] وقال عليه الصلاة والسلام « الكَرَمُ التَّقْوَى » (١) فأتقاهم من يكون أبعدهم من الأخلاق الإنسانية ، وأقربهم إلى الأخلاق الربانية ، والتقوى هو التحرّز ، والمتقى من يتحرّز عن نفسه بربه وهو أكرم على الله من غيره اهـ .

* * *

(١) الغزالى فى إحياء علوم الدين ٣٣١/٣ باب بيان التواضع وعزاه العراقى إلى ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين مرسلاً واسند الحاكم أوله من رواية الحسن وقال صحيح الإسناد .

وانظر المغنى عن عمل الأسفار للعراقى ٩٥٥/٢ ح رقم ٣٤٧٩

فصـــل

اعلم أن التأنيث لايمنع اللحوق بعباد الله المصطفين الأخيار ، فالله تبارك وتعالى ماذكر الرجال فى مقام من المقامات إلا وقرن ذكرهم بذكر النساء كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥] إلى قوله ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥] ولم يبق مقام من المقامات بعد الرسالة والنبوّة والقطبانية يبلغه الرجال إلا وتزاحم فيها النساء المؤمنات التقيات الطاهرات الصالحات القانتات الطيبات . وانظر إلى ما ورد فى القرآن العزيز الذى ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [سورة فصلت : ٤٢] من ذكر مريم والتنويه بها وبأمرها ، حتى إنها ورد ذكرها فى القرآن فى ثلاثين موضعا حتى وقع الخلاف فى نبوّتها وعدم نبوتها ، والحقّ أنها صدّيقة إذ النبوءة لا تتأتى إلا من الرجال بدليل قوله تعالى : ﴿ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ فعلم أن الصديقية إلى أسفل المقامات ليس فيها مقام محجور عن النساء . وقد وجد نساء أدركن مقامات ما أدركها إلا قليل من الرجال كرابعة العدوية ومن على أقدامها إلى هلمّ جرا وكلال مناة فى عصر شيخنا ، وكآمنة بنت الخال وغيرهنّ إلى مالا نهاية له . قال الشاعر :

فلو كان النساء كما ذكرنا   لفضلت النساء على الرجال

فلا التأنيث لاسم الشمس عيبا   ولا التذكير فخرا للهلال

وفى جواهر المعانى : وسألته رضى الله عنه عن معنى قوله تبارك وتعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٢] وعن قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ

﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [سورة القصص : ٧] الآية ، هل كلام الملائكة يستلزم نبوّتها ؟ وكذلك الوحى لأمّ موسى هل يستلزم نبوتها أم لا ؟ وهل السيدة مريم وسيدتنا فاطمة رضى الله عنهما أيتهما أفضل ؟ نساء العالمين ثم آسية بنت مزاحم ثم خديجة ثم عائشة ثم فاطمة رضى الله عن جميعهن فأجاب رضى الله عنه بما نصه : الجواب والله الموفق بمنه وكرمه للصواب اعلم أن نبوّة السيدة مريم واحتجاج القائل بها بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [سورة آل عمران : ٤٢] الآية ، وكذلك القول بنبوّة أمّ موسى تمسكا بقوله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [سورة القصص : ٧] فكل هذه الأقاويل باطلة لايعوّل منها على شئ ، والقول الحقّ الذى يجب المصير إليه أن النبوة مستحيلة على النساء لا سبيل لهنّ إليها ، ثم إن مريم وآسية قال فيهما ﷺ « كَمُلَ مِنَ الرِّجالِ كَثِيرٌ وَلَم يَكْمُلْ مِنَ النَّساءِ غَيْرُ آسِيَةَ بِنْتِ مُزاحِمٍ وَمَرْيَمُ ابْنَةِ عِمْرانَ » (١) والمراد بذلك أنهن أدركن مرتبة الصدّيقية التى ليس فوقها فى العلم بالله والمعرفة به والرسوخ فى العلم إلا القطبانية والنبوة ، وهذا غاية ما أدركن . وأما خديجة فقد صرّح ﷺ بفضلها فى أحاديث حتى قالت عائشة رضى الله

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الأنبياء باب وفاة موسى وذكر بعده ١٩٣/٤ عن أبى موسى .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها عن أبى موسى .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب الأطعمة باب ماجاء فى فضل الثريد ٢٧٥/٤ ح رقم ١٨٣٤ عن أبى موسى وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب الأطعمة باب فضل الثريد على سائر الطعام ١٠٩١/٢ ح ٣٢٨٠ عن أبى موسى الأشعرى .

عنها : ما كنت أغار على امرأة من نسائه ﷺ إلا من خديجة من كثرة ما يذكرها ﷺ ويعظمها (١) . وقد نقل ابن سبع فى شفائه أنه ﷺ قال يوما للناس « ألا وَإنَّ صَفوَتى مِنْ نِسائى عائِشَةُ ابْنَةُ الصّدّيقِ إلاَّ ما جَعَلَ اللهُ مِنَ الفَضْلِ لخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ » فأظهر فضلها عليها هنا . وقد نقل أيضا ابن سبع فى الشفاء حديثا أنه ﷺ قال يوما لفاطمة رضى الله عنها « أنْتِ سَيِّدَةُ نِساءِ العَالَمِينَ ، فوضعت يدها على رأسها حياء ، قالت له : فأين آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد ؟ فقال لها ﷺ : آسِيَةُ سَيِّدَةُ نِساءِ عالَمِها ، وَمَرْيَمُ سَيِّدَةُ نِساءِ عالَمِها ، وَخَدِيجَةُ سَيْدَةُ نِساءِ عالَمِها ، وأنْتِ سَيِّدَةُ نِساء عالَمِكِ » (٢) وقد قال يوما لعلىّ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب النكاح باب غيرة النساء ووجدهن ٣٨٠/٣ ح ٥٢٢٩ - حدثنا أحمد بن أبى رجاء حدثنا النضر عن هشام قال أخبرنى أبى عن عائشة أنها قالت ماغرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها وثنائه عليها وقد أوحى إلى رسول الله أن يبشرها ببيت لها فى الجنة من قصب .

وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها ١٨٨٨/٤ من طريق أبو أسامة حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة بنحو رواية البخارى .

وأخرجه الترمذى فى سننه كتاب المناقب باب فضل خديجة رضى الله عنها ٧٠٢/٥ ح رقم ٣٨٧٥ - من طريق حفص بن غياث عن هشام إلى آخر طريق البخارى ولفظه وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب النكاح باب الغيرة ٦٤٣/١ ح رقم ١٩٩٧ من طريق عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة إلى آخر طريق البخارى ولفظه .

وأخرجه أحمد فى المسند ٥٨/٦ بنفس طريق مسلم ولفظه .

(٢) أورده الزبيدى فى اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٢٢٧/٨ وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد كتاب المناقب باب مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ ٢٠١/٩ عن ابن عباس بنحوه .

رضى الله عنه بعد ما عقد له على فاطمة ، قال له « زَوَّجْتُكَ سَيِّدَةَ نِساءِ العالَمِينَ » . وأما عائشة فقد قال ﷺ « فَضْلُ عائِشَةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ على سَائِرِ الطَّعامِ » (١) . وقد تعارضت أقاويل العلماء فى التفضيل فيما بين فاطمة وعائشة ، كل طائفة مالت إلى تفضيل إحداهن محتجين بهذين الحديثين وقد قال مالك رضى الله عنه : أما أنا فلا أفضل أحدا على بضعته ﷺ ، مع كون جماعة من العارفين أجمعوا من طريق الكشف لا من طريق السمع على أن فاطمة أدركت من بعد أبيها ﷺ مرتبة القطبانية العظمى ، وحيث كان الأمر هكذا فلا نسبة بين فاطمة وعائشة . قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] وليس فى خلق الله عزّ وجلّ كله عموما وإطلاقا من بعد الأنبياء من البشر والملائكة من يتأتى منه أن يصل إلى مقدار ألف جزء من تقوى قطب الأقطاب ولو بلغ ما بلغ ، فهو أفضل جماعة المسلمين فى كل عصر إلا ما كان من مفاتيح الكنوز فهو أفضل منهم فى أمور وهم أفضل منه فى أمور ، فإذا تعقلت هذا ففاطمة أفضل من عائشة قطعا ومن مريم وآسية ، وكونها رضى الله عنها أدركت القطبانية دون سائر النساء لكونها لاتحيض ، ومن كونها أعطيت مرتبة الكمال من أبيها مالا مطمع فيه للنساء ، فلذلك أدركت القطبانية ، والقطب سيد الوجود فى كل عصر إلا ماكان من مفاتيح الكنوز . وسبب عدم حيضتها أن تكوين نطفتها التى تكوّنت فى صلبه ﷺ تكوّنت من أكله تفاحة من تفاح الجنة ، فلذا قال فيها أبوها « هى حوراء آدمية » . وكونها حوراء لأنها لم تخلق من فضلات التراب التى مادتها سارية فى جسد آدم عليه السلام

---

(١) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

إلى سائر بنيه ، فإنما كانت مادة نطفتها من معانى الجنة وأسرارها التى خلق الله منها الحور ، فكملت طهارتها من ملابسة أحوال البشرية التى تلابس النساء ، فكانت بذلك حوراء آدمية ، وبذلك وصلت المرتبة العليا بين يدى الحقّ سبحانه وتعالى التى ليس فوقها إلا النبوّة ، وعائشة وغيرها لامطمع لهنّ فى هذا ، فبان لك حينئذ أنها أفضل من جميع النساء الفاضلات .

وأما القول بنبوّة مريم قلنا إنه باطل ، وهو بابطاله أن القطب فى كل عصر له وجهة إلى كلّ ذرّة من الموجودات يمدّها ويقوّمها كل الوجود ذرّة ذرّة فى هذا ، فما من ساجد سجد لله تعالى فى الوجود أو راكع ركع لله تعالى أو قائم قام لله تعالى أو ذاكر ذكر الله تعالى بأىّ ذكر فى جميع الوجود ، فالقطب فى ذلك هو المقيم له فبه سبح الشيخ وبه عبد العابد وبه سجد الساجد وبه وقعت الوجهة الأخرى التى لاتذكر . فحاصل الأمر فيه أنه للوجود كله بمنزلة الروح للجسد ، كما أن الجسد لا قيام له ولا تعقل له إلا بالروح ولا حركة له إلا بالروح ، وجميع خواصّ الجسم الظاهرة والباطنة من حيث ماهى هى كلها بالروح الحيوانى المتعلق به ، فإذا انعدمت الروح منه انعدمت جميع خواصّ الجسم وصار ميتا معدوما كذلك جميع أجساد الوجود فى نسبتها إلى القطب هو لها كالروح للجسد ، فلو زالت روحانيته منها لانعدم الوجود كله ، فهو روح الوجود وكلّ خواصّ الوجود بأسرها على التئامها وافتراقها وعمومها وخصوصها وإطلاقها وتقييدها كلها لا تلازم ذوات الوجود إلا وجود روحانية القطب فيها ، فإذ أزال القطب روحانيته عنها انعدم الوجود كله وصار ميتا لا خاصية له ، وهذه القوّة له من تحمله السرّ الأعظم وسريانه فى كلية عوالمه ، وبسرّ الاسم الأعظم صار بين يدى الله تعالى قائما

مستكملا آداب الحضرة الإلهية ، ومستكملا أداء حقوقه سبحانه وتعالى فى جميع تجلياته الأسمائية والصفاتية والذاتية فى كل آن وفى كل مقدار طرفة عين ، ولا نهاية لما يتجلى به ربنا سبحانه وتعالى فى كل مقدار طرفة عين من استمرار الزمان من أسمائه وصفاته وذاته وتقلب شئونه ، والقطب فى ذلك كله بين يدى الله تعالى يعطى جميع تلك التجليات ما تستحقه من الآداب والوظائف والخدمة فى كل مقدار طرفة عين ، وإن كثرت التجليات إلى غير نهاية فهو يوفى جميع حقوقها وآدابها ، فليس فى الوجود من يقدر على تحمل جميع ما يتجلى به الحقّ سبحانه وتعالى فى جميع غيره ، فهو فى هذا فى كل مقدار طرفة عين من عمره ، ولو أن جميع الصديقين وقفوا مع الله فى هذا الموقف لا نعدموا فى أسرع من طرفة عين وهذا دأبه ديدنا . فإذا عرفت هذا فالنساء لا قدرة لهنّ على هذا التحمل لضعفهنّ ، ولكون الحيض شاغلا لهنّ عن إقامة الحقوق الإلهية ؛ فلو أن امرأة قامت مقام القطبانية لتعطل القيام بحقوق الله تعالى فى تجلياته فى أيام من عمرها وهى أيام الحيض ، فإذا تعطل القيام بواجبات حقوق الله تعالى انهدمت المرتبة : أعنى القطبانية وبهدمها ينهدم الوجود . فإذا عرفت هذا عرفت أنه لا نسبة للنساء فى تحمل مرتبة القطبانية ، هذا فى القطبانية ، فانقطاع طمعهنّ فى النبوءة أحرى وأولى ، لأن النبوءة أكبر من القطبانية . وأما فاطمة رضى الله عنها فإنها وصلت مرتبة القطبانية لأنها استمدت الكمالات الإلهية التى تتحمل بها سرّ الاسم الأعظم اهـ .

* * *

فصل

وأما مواجيد المجاذيب والمحبين وتولههم بذكر الله أو إنشاد أشعار المحبين فلهم فى ذلك أصل متين وعمدة قوية ، فقد تواجد ﷺ حتى سقط رداؤه ، فوهبه للذين ذكروا الحبيب ، وقال ما معناه : ليس بالكريم من لم يهتزّ لذكر الحبيب . وفى الفتوحات المكية فى آخر بعض وصاياه : حدثنا أحمد بن مسعود بن شدّاد المقرئ الموصلى بالموصل سنة إحدى وستمائة وكان ثقة قال : حدثنا أبو جعفر بن القاض قال : حدثنا يوسف بن القاسم الديار بكرى ، حدثنا جمال الإسلام أبو الحسن على بن أحمد القرشى الهكارى حدثنا أبو الحسن الكرخى ، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الفضل النهاوندى قال : سمعت شيخى جعفر بن محمد الخلدى يقول : كنت مع الجنيد رحمه الله فى طريق الحجاز حتى صرنا إلى جبل طور سيناء ، فصعده الجنيد وصعدنا معه ، فلما وقفنا فى الموضع الذى وقف فيه موسى عليه السلام وقعت علينا هيبة المكان ، وكان معنا قوّال فأشار إليه الجنيد أن يقول شيئا فقال :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألّق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظرا إليه وصدّه سبحانه
فالنار مااشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سحت به أجفانه

قال : فتواجد الجنيد وتواجدنا ، فلم يدر أحد منا أفى السماء نحن أو فى الأرض ، وكان بالقرب منا دير فيه راهب فنادى : يا أمة محمد بالله أجيبونى ، فلم يلتفت إليه أحد لطيب الوقت ، فنادانا الثانية بدين الحنيفية إلا أجبتمونى ، فلم يجبه أحد ، فنادى الثالثة بمعبودكم فلم يردّ

إليه أحد جوابا ، فلما فترنا من السماع وهمّ الجنيد بالنزول قلنا : إن هذا الراهب نادانا وأقسم علينا فلم نردّ عليه ، فقال الجنيد : ارجعوا بنا إليه لعلّ الله يهديه إلى الإسلام ، فناديناه فنزل إلينا وسلم علينا فقال : أيما منكم الأستاذ ، فقال الجنيد : هؤلاء كلهم سادات وأستاذون ، فقال : لابدّ أن يكون واحد هو أكبركم ، فأشاروا إلى الجنيد ، فقال : أخبرنى عن هذا الذى فعلتموه هل هو مخصوص فى دينكم أو معموم ؟ فقال : بل مخصوص ، فقال الراهب : لأقوام مخصوصين أو معمومين ؟ فقال : بل لأقوام مخصوصين ، فقال : بأىّ نية يقومون ، فقال : بنية الرجاء والفرح بالله تعالى ، فقال : بأىّ نية تسمعون ؟ فقال : بنية السماع من الله تعالى ، فقال : بأىّ نية تصيحون ؟ فقال : بنية إجابة العبودية الربوبية لما قال الله تعالى للأرواح (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا) قال : فما هذا الصوت ؟ قال : نداء أزلى ، قال : بأىّ نية تقعدون ؟ قال : بنية الخوف من الله تعالى ، قال : صدقت ، ثم قال الراهب للجنيد : مدّ يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمد ﷺ عبده ورسوله ، وأسلم الراهب وحسن إسلامه ، فقال له الجنيد : بم عرفت أنى صادق ؟ قال : لأنى قرأت فى الإنجيل المنزل على المسيح ابن مريم : خواصّ أمة محمد ﷺ يلبسون الخرقة ويأكلون الكسرة ويرضون بالبلغة ويقومون فى صفاء أوقاتهم ، بالله يفرحون وإليه يشتاقون وفيه يتواجدون وإليه يرغبون ومنه يرهبون ، فبقى الراهب معنا ثلاثة أيام على الإسلام ثم مات ، رحمه الله . وما تقدّم الكلام على السماع فى فصل الاجتماع فراجعه .

* * *

فصـل

وقد سئل الشيخ سيدى المختار الكنتى : ما العلة فى منع تلاوة القرآن فى الخلوة ؟. فأجاب : إن قراءة القرآن لاتمنع بحال إلا لمانع شرعى ، وإنما تركت حالة الخلوة اقتصارا على الاسم ليكون التجلى واحدا حتى ينطبع ذلك التجلى الواحد فى مرآة بصيرة المريد ، فإذا فتح واحد صار بابا لجميع الفتوحات ، وتجليات القرآن متعدّدة ، فإذا كثرت التجليات تفرّقت الهمة على قدر ذلك ، فيطول السير على المريد ، وبغيته قصر المسافة فإنه بصدد الترقيات وليس هو بصدد طلب الأجور . وإلا فما تقرّب المتقربون بمثل كلامه تعالى اهـ . وسئل هل يجوز الدخول فى الطريقة قبل الفراغ مما يحتاج إليه من العلم أم لا ؟ فأجاب إنه يجوز ، وإن قلنا بوجوبه لم يبعد لأنه لايزيده إلا علما لانخراطه فى سلسلة المشائخ . وأما الذى لاينبغى الدخول فيه قبل مايحتاج إليه من العلم فالعزلة والتبتل ، إذ لا يتأتى معهما التعلم والتعليم .

وقد عنّ لى أن أثنى عنان العلم عن الزيادة على هذا التذييل مخافة مملّ التطويل . والله أسأل أن يرزقنا كمال الرضا والقبول ، كما أسأله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة ، وأن يحشرنا فى زمرة التجانى الختم ولىّ ذلك والقادر عليه ، وأن يكفينا ماأهمنا ومالم يهمنا من أمر الدنيا والآخرة ، وأن ينفعنا وينفع بنا جميع عباده المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، آمين ياربّ العالمين .

وكان الفراغ منه ثامن يوم من المحرّم عام ١٣٥١ ببليدة كوس

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾
وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الصافات : ١٨٠] .

* * *

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه تمّ طبع كتاب :

كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبى العباس
للسيد إبراهيم بن عبد الله بن محمد التجانى
وذيله للمؤلف

مصححًا بمعرفة لجنة التصحيح
بـ [الشركة الدولية للطباعة بالإشتراك مع مكتبة الخانجى]

القاهرة فى ٢٠ ذو القعدة سنة ١٤٢١ هـ
١٤ فبراير سنة ٢٠٠١ م

مدير الشركة
محمد الخانجى

تقاريظ

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله ، وبعد : فقد عرضت تأليفى هذا المسمى بـ « كاشف الإلباس » على جماعة من أهل عصرى أهل الحلّ والعقد وجهابذَة النقد فى علمى الشريعة والحقيقة ، فهم سادة الخليقة وقادة رجال الطريقة ، وكلهم - ولله الحمد - أثنى عليه خيرا وكتب له تقريظا ، فأحببت أن ألحق هنا تقاريظهم وشهاداتهم ليعلم المنصف الواقف على هذا الكتاب أنى ليس لى فى هذا الكتاب إلا مجرّد الجمع ، فالكلام فيه كلام العلماء ، والمذهب الذى بنى عليه مذهب الأصفياء ، والله يقول الحقّ وهو يهدى السبيل اهـ .

- ١ -

قال العلامة المبرز المحرّر المميز ، جامع أشتات العلوم والمعارف ، الدامغ أباطيل الخرافات من كل خارف محمد عبد الرحمن بن السلك ابن باب العلوى :

حدّث حديثك عن أبى العباس ... واكشف لنا عن كاشف الإلباس
وأدر علينا من علومك أكؤسا ... ينفين ما فى النفس من أرجاس
وافتح لنا باب الوصول وبالذى ... منه يواسيك المهيمن واس
ما إن رعى عبد حقوق إلهه ... إلا وقلده حقوق الناس
فلأنت من قوم هم القوم الأُلى ... بنى العلى بهم على آساس
ومن الذين علومهم جلت عن الـ ... أوراق والأقلام والأنفاس
وكفاك أن الله ألبسك التقى ... ولباس تقوى الله خير لباس
ما فى رضاك إمام هدى يهتدى ... بك فى الطريق إلى الهدى من باس
إنا نراك وأنت صاحب فيضها ... جدّدت من آثارها الأدراس

ما خاب من يهوى إليك به الهوى　مستنشقا من عَرف ذاك الآس
إن كان ذا جهل فإنك عالم　أو كان ذا داء فإنك آس
لم يبق من مدن البلاد مدينة　إلا ومنك بها سنا نبراس
أسند أحاديث الرباط وعن سلا　حدّث وحدّث عن شمائل فاس
فالله بارك فى عباب السودد الطا　مى وفى جبل العلوم الرأسى
« الشيخ إبراهيم » خير مؤمّل　لقضاء حاج المستهام الآس
فى صدره كشف الحجاب وقد نرى　فى راحتيه غنى ذوى الإفلاس
غوث غياث مرشد مستشعر　هدى النبىّ محاسب الأنفاس
ينهى ويأمر حسبة لايقتنى　غير الثناء موقر الجلاس
متبوّئ بذرى الكمال منازلا　نال الجليس بها بديع جناس
لم تلفه الأيام إلا ذاكرا　حكما لناس أو مذكر ناس
يا فوز قوم قلدوه فإنهم　مستمسكون بأوثق الأمراس
تقفوه فى السنن القويمة أئمة　يسقيهم من سرّه بالكاس
فهداهمُ للحقّ أقوم مهيع　وألان منهم كلّ قلب قاس
وطوى المفاوز عنهمُ حتى انتهوا　لعلى مقام فى المعارف شاس
فبدوا مقابيس الظلام وإنه　فى الشمس ما يغنى عن المقباس
صلى الإله على الذى نالت به　شرفا على شرف بنو إلياس

— ٢ —

وقال الشاعر الفقيه والحافظ النبيه ، سحبان أوانه وعنترة إبانه ، محمد عبد الله بن السيد محمد المختار العلوى :

إنّما نور كاشف الإلباس　عن حلى الدين كاشف الإلباس
فهو آسى القلوب من كل جهل　وهو آسى قاسى القلوب القواسى

وهو نبراس كلّ حبر مهدى　　للهدى حين ليس من نبراس
وهو مقياس كلّ بحر قدوق　　زاخر حين ليس من مقياس
وهو كاسى أرامل ويتامى　　عيل حين ما لهم من كاس
وهو ساقى المحبّ من كلّ كاسٍ　　فى الحوايا لها دبيب الكاس
وهو سلك لكلّ درّ　　نفيس نظمته يدا أبى العباس
وهو حاكى كعب وحاكى إياس　　يا لحاكى كعب وحاكى إياس
وهو فاس به تطلّ عداه　　وحسام مستخرج من فاس
طود حلم من قبله يتداعى　　منذ هدى راسى الجبال الرواسى
وهو ما هو فلست أحصيه عدًا　　آينى إحصا حصا بطياس
من يحلى القرطاس يرجو مداه　　إنما رام ضيعة القرطاس
هب وهنا على رياض علوم　　بنسيج معطر الأنفاس
فتغنى طير الفنون الخفايا　　فوق غصن من النقى مياس
وتهادت به غوانى المعالى　　فوق دعص من الكبا والآس

– ٣ –

وقال العلامة المحقق والحافظ المحرّر المدقق ، الفقيه الورع العابد ، جامع أشتات المحامد ، الشاعر المفلق الآخذ الأحوط الأوثق ، أحمد ابن السيد محمد المختار بن السيد محمود الحنف العلوى :

حين دين الهدى بدا ذا التباس　　كشف اللبس كاشف الإلباس
بنقول من الكتاب صحيحا　　ت المبانى ومحكمات الأساس
وأحاديث مسندات لطه　　نيرات كجذوة المقباس
كم حوى من براهين قاطعات　　حجج الجهل مثل قطع المواسى
نزّه الطرف منه فى روص علم　　بين ورد عذب الورود وآس

ولتغص لجّ بحره لتحلى من لآليه راسبات الرواسى
وترقّ فى كلّ أصليه ترقى قنن المجد فوق شمّ الرواسى
فاغترف من بحر الشريعة منه منزعا فى العلوم صعب المراس
واغتبق من علم الحقيقة منه مع شرب الكرام قهوة كاس
وصلاة على شفيع البرايا لا تناهى بالطرس والأنقاس

- ٤ -

وقال العلامة القاضى ، العالم النحرير والشاعر الخنذيذ ، من جرّ ذيل النسيان على الفرزدق وجرير محمد عبد الله بن المصطفى .

كشفت لنا الإلباس ياكاشف اللبس
بما صير الإلباس أوضح من شمس
بنيت على أسى كتاب وسنة
ولم تثبت البنيان إلا على أس
برزت إلينا من ذخيرة عارف
فلم نعن عنه بالجنيد ولا فارسى
وفوق مقام الفرقدين مقامه
ولم تحصل الجوزاء منه على اللمس
مقامات أقطاب البرية . رامها
فأقعده الرحمن منها على الكرسى
خديم أبى العباس حائز سرّه
ووارثه فيضا على العين والرأس
فما زدتنا علما بما هو أهله
ولكنما البرهان أشهى إلى النفس

فلم تبصر الأبصار مثلك دفترا
ولا خطت الأقلام مثلك فى طرس
ففيك إفادات تكون مفيدة
لمن كان ذا ميل إلى مجلس الدرس
وفيك حكايات يلذّ سماعها
لدى من له ميل إلى حضرة القدس
فلم أر تقريظا بحقك وافيا
ولو لزهير كان أو لامرئ القيس
ولا للبيد مطمع فى الوفا به
ولا مطمع فيه لعنترة العبسى
صلاة وتسليم على سيد الورى
وأصحابه من خزرجىّ ومن أوسى

- ٥ -

وقال فتى الفتيان من جرّ على سحبان ذيل النسيان ، وحاز قصب الرهان فى فنون العلوم من بين الأقران السيد محمد عال بن فتى العلوى ما نصه :

أَضياء صبح أَم سنا مقباس ... أَم ضوء بدر لاح أَم نبراس
أم درّة صدفية محجوبة ... كانت مغيبة عن أيدى الناس
لم تهتد الغُوّاص لاستخراجها ... حتى أتاها كاشف الإلباس
عمدا فأبرزها لنا مزفوفة ... فى لبسة الأعياد والأعراس
محجوبة عن كلّ محجوب ومن ... كشف الحجاب اندك طودراس
ولربما فاضت بعين ثرّة ... فيها مشاهد من أبى العباس

ومشاهد مِن جدّه مَن رامها قسرا يخرّ لذقنه والراس
كنز الحقيقة كان تحت جدارها فأقام هذا الشيخ كلّ أساس
يا درّة نشرت فطاب بنشرها فى الخافقين مجالس الجلاس
يا سائلى عن أسها فأساسها نصّ الكتاب بظاهر وقياس
وحديث أحمد ذى الجمال وصحبه صلى عليه بارئ الأنفاس

- ٦ -

وقال الفتى الأديب الأريب ، والشاعر المجيد ، سيدى محمد بن السلك المتقدّم ذكره :

أضوءٌ من النبراس فى غيهب يفرى
أم البدر ذو عشر ودال مع العشر
أم الشمس فى صحو تبدّت لنا ضحى
أم الدرّ من عقد يتيه على الدرّ
بودّ نظام العشر منظوم نثره
على أنه أربى على النظم والنثر
تحلت به بيض الصحائف بعدما
تمنته كلّ البيض حليا على النحر
فلما ترقى عز منارات مصره
وسار بنور العلم فى ذلك المصر
تحلت به أسرار كلّ خبيئة
من العلم كانت فى مصون من السرّ
فأنشدت والإنشاد إنشاء منشد
مقالا قديما كان من أحسن الشعر

فلما رآه حمص استخفت بقدره
على أنها كانت به ليلة القدر
تحمل عنها والبلاد عريضة
كماسلّ من عمد الدجا صارم الفجر

وقال أيضا :

سلامٌ كالوصال المستطاب من الأحباب من بعد اغتراب
يجدّد من عهود ما تناست خطاب منه فى فصل الخطاب
يخصّ جنابكم ولربّ عزّ جناه من جنا ذاك الجناب

إلى أن قال :

أيا روض الفتوّة والفتاوى وفى التصدير يا لبّ اللباب
كشفت اللبس عمن شكّ فيه بكاشفه على طبق الجواب
بفيض من أبى العباس مبنا ه مأخوذ من أنباء الكتاب

– ٧ –

وقال العلامة الأورع الأوحد ، الفهامة المدقق ، الأستاذ الأمجد السيد محمد سالم بن قثم الشمسدى العلوى :

ألا طلعت لطلعة ذا الكتاب سعود الرشد فينا والصواب
فأدبر آفلا دبران جهل بدين الله عم على التراب
به جادت قريحة بحر علم شديد الموج ذى زبد عباب
بناه على قواعد من أساس بسنة خير هاد والكتاب
وأقوال الذين لهم رسوخ من العلماء فى ذاك الجناب
وما يبنيه بانيه على ذا فلم أره يخاف من الخراب
على ذكر الإله يحض فيه ويأمر بامتثال واجتناب

يخاطبكم به ندس ويبدو هداكم فيه من فحوى الخطاب
فلبوا حيث خاطب واستطيبوا لذيذات الخطاب المستطاب
زكاة العلم فرقها عليكم وحتم أن يزكى ذو النصاب
لأهل فتوحكم منه نصيب وقد عظم النصيب لذى الحجاب
ألا يا أيها الشيخ المربى وللتعليم من هو ذو انتصاب
ومن أخذ العلوم بكلّ وجه صحيح ليس فيه من اضطراب
ومن معروفه سيان فيه غريب المعتفين وذو اقتراب
بتصنيف أتيت لنا بديع وفيه جئت بالعجب العجاب
أفدت المنصفين لما حواه بكلّ فصوله وبكلّ باب
وإن ألفيت منتقدا عليه فكن عليه ضنينا بالجواب
أعره أذنك الصماء عنه وكن عنه بوجهك ذا انقلاب
فإن الحقّ يَعلو ليس يُعلى عليه وليس فيه من ارتياب
ولا يغنى سواه عنه إلا كما يغنى السراب من الشراب
ورثت المجد من آباء صدق بطينى ودينى انتساب
طريف المجد حزت على تليد وموهوب العلوم وذا اكتساب
وبذل المخصبين بحال جذب وختم الشيب فى سنّ الشباب
وملكك الرقيب رقاب قوم وحقّ لمثلكم ملك الرقاب
عصى السير ألقينا لديكم وكنتم منتهى أمد الذهاب
ومن يك مثل ذلك ليس إلا جديرا بالغنيمة والإياب
وبنت الفكر ذى زفت إليكم بعيد نسجها من كل عاب
بدأناها ونختم منتهاها بذكر شفيعنا يوم الحساب
محملا الله يشفعها سلام عليه وآله ثم الصحاب

* * *

فهرس الكتاب

فهرست

كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبى العباس

* * *